مُذكَّراتٌ تَارِيخيَّةٌ عَنْ حملة إبراهيم باشا علىٰ سُوريا

Historical Memoranda on Campaign of Ibrahīm Pāshā in Syria

مُؤَلّف مَجْهُول

Anonym

www.muhammadanism.org
March 7, 2007
Arabic

تحقيق وتقديم المحامي

أحمد غسان سبانو

Checked out by the advocate

Aḥmad Ghassan Sbānū

سلسلة دراسات ووثائق تاريخ دمشق والشام
دمشق في منتصف القرن التاسع عشر
٢

مُذكَّراتٌ تَارِيخيَّةٌ
عَنْ
حملة إبراهيم باشا علىٰ سُوريا

لِمُؤَلِّفٍ مَجْهُولٍ

تحقيق وتقديم
المحامي
أحمد غسان سبانو

إهداء

إلى الغَالِيَة

دِمَشْقَ الشَّام

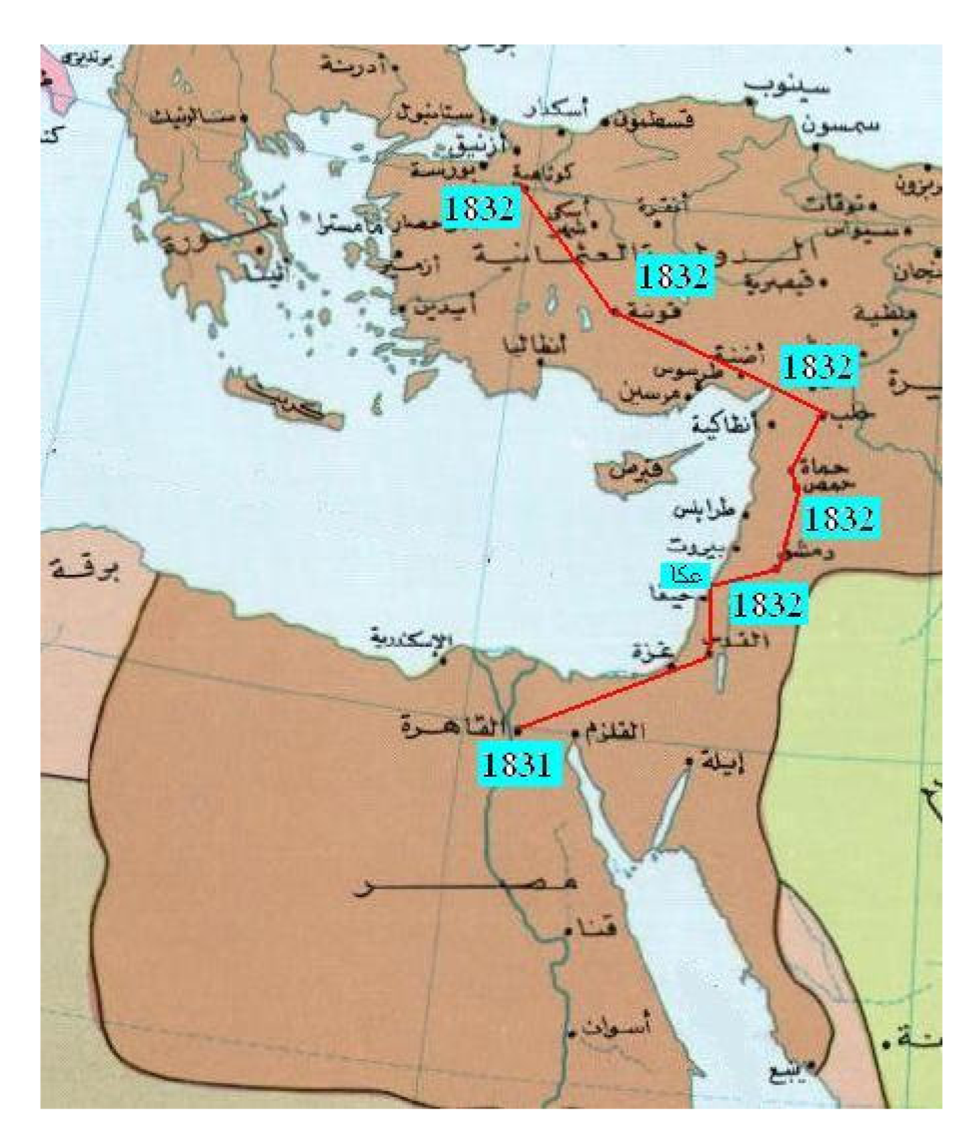
شَامَةُ اللَّهِ في أرضِهِ

[Blank Page]



إبراهيم باشا

فتح المصريين لسورية في عهد محمد علي



خارطة تبين خط سير حملة إبراهيم باشا على سوريا

المقدمة

يتميز كتاب «مذكرات تاريخية» بوفرة ودقة معلوماته وانحصارها بفترة محددة جداً هي فترة توسع محمد علي باشا واحتلاله بلاد الشام. ووصف الحروب والثورات الداخلية التي واجهت ابنه إبراهيم باشا قائد الحملة وحروبه للعساكر العثمانية مع بيان التدخل الأجنبي في تلك الفترة.

ورغم أهمية المعلومات التي يقدمها الكتاب إلاّ أنّ القليل من دارسي هذه الفترة قد عرفوا هذا الكتاب. بالنظر لقلة نسخه وفقدها منذ القديم.

عرفت هذا الكتاب منذ نحو عشرين عاماً وقد عزمت على إعادة تحقيق هذا الكتاب وشرحه ونشره منذ ذلك الحين إلى أن هيأ الله لي الوقت فباشرت العمل لتحقيقه وتقديمه لباحثي ودارسي هذه الفترة. ليقدم صورة كاملة عن دمشق خاصة وبلاد الشام عامة في فترة الحكم المصري في منتصف القرن التاسع عشر. فيذكر حريق دمشق وثورتها ثم يذكر أخبار حملة إبراهيم باشا على سوريا وأخبار الثورات المحلية التي واجهته ثم يذكر حادثة البادري توما، وأخيراً ثورة الحكم العثماني.

والكاتب مجهول الهوية تعمّد عدم ذكر اسمه على عادة كثير من مؤلفي تلك الفترة وذلك خوفاً على نفسه من أن يتهم بعدوان على جهة أو أخرى أو أنه لم يرغب بتدوين اسمه عليها لأنها مرسلة بالأساس لجهات رسمية أوربية فإذا وقعت بأيدي السلطات المحلية اتهمته بالخيانة العظمى.

ويعترف صاحب المذكرات بأنه أحد كتاب الحكومة المحليين لذلك فإن كتابته تعلقت بالتقارير والبلاغات الرسمية ولم يقم بتمحيص الأخبار أو تدقيقها كما لم يقم بتقصّي أسباب الحوادث ونتائجها مما يؤكد أن واضعها كان كاتباً في الحكومة وعادة كاتب الحكومة التسجيل فقط.

ولذلك جاءت لهجة الكاتب طبيعية صادقة حارة في أسلوب عامي وبلهجة دمشقية مع تعبيرات طرابلسية قليلة (أو على الأقل بعيدة عن لهجة دمشق) وقد حافظت على لهجة المؤلف وأسلوبه وعاميته حفاظاً على الروح العلمية وحرارة اللهجة التي تشيع شعوراً بصدق كاتبها.

وأصل الكتاب مخطوط وحيد محفوظ في مكتبة برلين برقم ٩٧٨٧ أخذت الجامعة الأمريكية في بيروت صورة عنه حفظتها في مكتبتها وهذه الأخيرة هي

التي اعتمد عليها الخوري قسطنطين باشا في نشره للمذكرات إلاً أن عدد النسخ وانتشارها كان محدوداً.

والآن أعيد تحقيق هذا الكتاب بشرح وتحقيق جديد بعد أن مضى على نشره السابق قرابة القرن، إضافةً إلى ذلك فإنّ محققه لم يقم بشرح كلماته وعباراته الغامضة بشكل كامل وكان هذا سبباً لنقده في ذلك الحين (لطفاً راجع الملحق رقم ١).

وقد قمت معتمداً على نص المذكرات المنشور بشرح العبارات الغامضة ووضعت العبارات التي شرحها قسطنطين الباشا ضمن قوسين حفاظاً على الأمانة العلمية واكتفيت بشرح النص دون معارضته أو مقارنته بالنصوص الأخرى.

كذلك قمت بوضع ملاحق رأيت إضافتها اتماماً للفائدة من جهة ولتعلقها بالفترة المدروسة من جهة أخرى. كذلك وضعت مدخلاً تاريخياً للكتاب يشرح الظروف التي أدت للحوادث التي جاءت عليها المذكرات.

وأخيراً وضعت الفهارس اللازمة لإتمام الفائدة. راجياً الله أن يسد هذا الكتاب بعض النقص الحاصل في مصادر تاريخ هذه الفترة والله الموفق.

المدخل

الإطار العام لحوادث المذكرات

اشتد الصراع الاستعماري بين الفرنسيين والإنكليز حول البحر الأبيض المتوسط، ورافق ذلك ضعف في أوصال الامبراطورية العثمانية، فكانت أولى المحاولات الأوربية للسيطرة على المنطقة، قدوم الحملة الفرنسية، بقيادة نابليون بونابرت لاحتلال مصر بحجة تأديب المماليك لاعتداءاتهم المتكررة على التجار الفرنسيين.

إلاّ أن بريطانيا لم تسكت على عمل فرنسا هذا فقامت، بالاتفاق مع السلطان العثماني، بتطويق الحملة بحرياً، بعد أن قام الأسطول البريطاني بقيادة «نلسون» بتدمير الأسطول الفرنسي في خليج أبي قير. بينما أرسل السلطان العثماني حملة، اتجهت من دمشق نحو مصر، وبعد معارك كثيرة رحل الفرنسيون عن مصر، ليبدأ صراع جديد بين العثمانيين والإنكليز، الذين ساندوا مماليك مصر ضد العثمانيين.

إلا أن انسحاب الإنكليز النهائي ما بين عاميْ ١٨٠٢ ــ ١٨٠٣ ترك مصر في فوضى داخلية. واشتد الصراع بين المماليك والأتراك، ذاك الصراع الذي حسمه تحالف بين وحدة من الجيش التركي وهي وحدة مؤلفة من الألبانيين وبعض المماليك والتي شكلت وفقاً لأوامر الباب العالي، والتي كانت بقيادة محمد علي باشا وجاءت من مكودنيا من (قاله). أما محمد علي باشا فقد ولد في مكدونيا في (كافاله) أو (قاله) عام ١٧٦٩ وعاش يتيماً بظل أسرة غنية هي أسرة (علي آغا) حاكم (قوله) والذي زوج محمد علي من إحدى قريباته وعينه مساعدا له في قيادة هذه الوحدة، التي بلغ عدد أفرادها ثلاثمائة عسكري. إلا أن اضطرار (علي آغا) لمغادرة مصر جعلت (محمد علي باشا) هو قائد هذه الوحدة التي نقلت بأمر من الباب العالي لمصر. وهناك حسمت الموقف بالاتفاق مع بعض المماليك. وأصبحت مصر تحكم

من قبل سلطة ثلاثية محمد علي واثنين من المماليك. إلا أن ثورة القاهرة وميل ميزان القوى ضد المماليك جعل محمد علي باشا ينحاز للثوار ويتعاون معهم على سحق المماليك، وكان له النصر، وقد أصبح ذا شعبية واسعة أقلقت السلطان العثماني الذي استدعاه وما لبث أن أقر بقاءه في مصر والياً نتيجةً الاضطرابات والمواكب الشعبية التي طالبت ببقائه في القاهرة. ومن الأسباب التي ساهمت في قرار السلطان العثماني انشغاله بالحرب الصربية. عند ذلك تم لمحمد علي باشا القضاء على الانكشارية، وهم بقايا السلطة العثمانية في مصر، ومن ثم القضاء على المماليك.

واستقل بالحكم في القاهرة وقوي مركزه عندما صدر الأمر من الاستانة بتعيينه والياً على مصر عام ١٨٠٥ م. ونتيجة للصراع بين الإنكليز والفرنسيين حول المسألة الشرقية، اضطر السلطان العثماني لدخول هذا الصراع إلى جانب فرنسا، مما حدا بالإنكليز لعداء العثمانيين وقامت إنكلترا بمحاولة للهجوم على البوسفور، ولما فشلت في ذلك، قامت بالهجوم على مصر عام ١٨٠٧. إلاّ أن محمد علي تصدى للإنكليز، واستطاع أخيراً الزحف إلى الاسكندرية مركز تجمع الإنكليز وطردهم عام ١٨٠٧.

أخذ محمد علي الذي (أعتبر بطلاً قومياً) يتجه بمصر ليجعل منها دولة حديثة مفجراً ثورة فعلية اجتماعية وإدارية وثقافية وعسكرية واقتصادية، ما لبث أن قطف ثمارها، فأصبحت مصر دولة تفوق الامبرطوارية العثمانية بتنظيمها وتطورها وتقدمها العلمي.

هنا بدأت مطامع محمد علي تظهر للوجود وهو الذي يرى أنه من سلالة الاسكندر الأكبر المكدوني، والذي ولد في نفس منطقته، ويرى من ناحية ثانية أنه قد ولد في نفس اليوم الذي ولد فيه نابليون بونابرت، لذلك رأى أن له الحق بالسيطرة على امبراطورية واسعة.

إلا أن هذه الأحلام لم تكن لتخفى على السلطان العثماني، كما وأن إنكلترا لم تغفل عنها، وفرنسا، صحيح أنها كانت تساعد محمد علي مساعدة كبيرة وتقدم

له العون والخبرة والتكنولوجيا الحديثة، إلا أنها معه طالما هو معها.

وقد خدمت الظروف محمد علي، إذ اضطر السلطان العثماني لطلب مساعدته في القضاء على ثورة (الصرب)، وكذلك في الوقوف بوجه الوهابيين، والحد من سلطتهم، وقد قبض محمد علي ثمن هذه المساعدات غالياً. إذ قام بالتوسع باتجاه السودان ثم باتجاه المشرق العربي.

وجاءت الضربة القاصمة التي وجهها محمد علي للعثمانيين في زحفه على سوريا وهجومه على آسيا الصغرى، مما حدا بالسلطان العثماني، وبمساعدة من بريطانيا، العدو اللدود لمحمد علي وحليفته فرنسا، بالوقوف بوجه محمد علي وارغامه على وقف العمليات العسكرية أولاً ثم العودة إلى مصر ثانياً، وبقاء سلطاته بمصر فقط له ولأولاده يرثون حكمها من بعده.

انتهى تدخل محمد علي بسوريا عسكرياً، إلاّ أن ذيول تدخله تفاعلت وتطورت وكانت امتداداً لتطور حركته في مصر. لذلك يرى كثير من المؤرخين أن أهم أسباب نهضة الأمة العربية الحديثة يعود لحملة نابليون على مصر وقيام دولة محمد علي في مصر أيضاً.

كان محمد علي يعتمد في حكمه وفي إدارته وقيادته العسكرية على أولاده، وعلى التحديد ابنيْه طوسون وإبراهيم باشا، إلا أن الأخير فاق أخوته جميعاً بما قام به، وخصوصاً قيادته للحملة المصرية على سوريا والأناضول.

ولد إبراهيم باشا عام ١٧٨٩م وهو الابن الأكبر لمحمد علي باشا، وذلك (نصرتلي) قرب (قوله) بالروملي (مقدونيا). وقد استدعاه والده مع شقيقه طوسون إلى مصر عام ١٨٠٥م بعد أن عين محمد علي باشا والياً على مصر من قبل السلطان العثماني، وفي مصر أخذ إبراهيم باشا تعليمه وثقافته، وكذلك بدأ في ممارسة شؤون الحكم، إذ في اليوم الثاني لوصول إبراهيم وطوسون عين الأول حاكماً على قلعة القاهرة (والبعض يقول إن التعيين قد تم لطوسون ومنها يستنتج

البعض أن إبراهيم باشا ليس ابناً لمحمد علي بل ابن زوجته من زوج قبله ولكن المرجح عدم صحة هذه الروايات).

وقد اضطر محمد علي لإرسال إبراهيم باشا كرهينة للسلطان التركي، وللتعبير عن حسن نواياه. وذلك في عام ١٨٠٦، وأعيد للقاهرة في ١٨٠٧/٩/٢٦ حيث عيّنه والده دفتر داراً (مفتشا عاما للحسابات). ثم عينه قائداً للحملة التي وجهت لقتال المماليك. ثم عينه في عام ١٨٠٩ حاكماً على الصعيد إضافة لمنصبه (الدفتر دار).

وأخيراً عينه قائداً للحملة المصرية على الحجاز عام ١٨١٦م، التي قام فيها بقتال الوهابيين واستمرت حروبه حتى عاد لمصر عام ١٨١٩، وبقي مسؤولاً عن المنطقة الشرقية في مصر وكذلك اضطلع ببعض المهام في السودان، إلى أن قامت ثورة اليونان، عندها أرسل لحرب اليونان عام ١٨٢٤، وبقي في حربه حتى عام ١٨٢٨، إذ عاد لمصر لعمله السابق وللاشراف على بناء أسطول بحري قوي بدلاً من الأسطول الذي خسره في اليونان، وتأهباً لغزو سوريا، الذي بيت عليه محمد علي باشا منذ مدة طويلة.

ففي عام ١٨١٠ لجأ يوسف كنج باشا والي الشام إلى مصر، فاراً من وجه سليمان باشا والي صيدا، فاعتبر محمد علي باشا هذا الحادث فرصة للتدخل في الشام، فقام بالسعي لدى السلطان العثماني لإعادة يوسف كنج باشا لحكم الشام، بعد أن شرط على الأخير أن يكون معيناً له في مد سيطرته على سوريا. وقد صرح محمد علي باشا في أكثر من مناسبة أنه يرغب في تولية ابنه طوسون باشا على عكا. وقد كانت مخاوف سليمان باشا والدول الأوربية من امتداد زحف الجيش المصري الذي غزا الجزيرة العربية نحو سوريا، إلا أن خوف محمد علي من مقاومة الأتراك لحملته، وعدم رضى السوريين عن حكمه، وتعارض مصالحه مع مصالح الدول الأوربية، كل هذه الأسباب أجبرت محمد علي على تأجيل حملته حتى عام ١٨٣١، وذلك بعد أن زالت الأسباب التي كانت تمنعه من تنفيذ مشروعه، فقد انشغل الأتراك

بثورة البوسنة، واضطرابات ألبانيا، وكانت سوريا خالية من القوات العسكرية، لعدة أسباب أولها انشغال معظم القوات في القضاء على والي بغداد المتمرد (داود باشا) وبسبب ثورة دمشق ضد واليها سليم باشا، وأخيراً بسبب اضطرابات صيدا. بينما انشغلت الدول الأوربية في تسكين الاضطرابات والثورات التي نشأت من تأثير الثورة الفرنسية.

أما من جهة سكان سوريا فقد أمّن محمد علي باشا حاكم جبل لبنان لطرفه مع سكان جبل لبنان، والمسيحيين عامة، لأن المسيحيين في سوريا عرفوا بمعاملة محمد علي باشا الحسنى للأقباط في مصر ومناداته بالحرية والمساواة.

أما باقي السكان فقد اعتمد محمد علي باشا على تأييدهم له بسبب كرههم للأتراك، ولحكمهم السيئ، وبسبب كرههم للأقطاع والأغوات الذين تسلطوا على الشعب. وقام محمد علي باشا تمهيداً لغزو سوريا بإعلان مشروع قيام الدولة العربية، وأيده في هذه الدعوة ابنه إبراهيم باشا تأييداً مطلقاً.

وفي أواخر تموز سنة ١٨٢٢ فر إلى مصر الأمير بشير شهاب حاكم جبل لبنان الذي ساند عبد الله باشا حاكم صيدا بسبب نزاعه مع درويش باشا والي الشام، فصدر أمر من السلطان العثماني بعزل عبد الله باشا والأمير بشير، إلا أن عبد الله باشا تمرد على هذا الأمر، مما اضطر السلطان محمود لإصدار أمر إلى درويش باشا والي الشام ومصطفى باشا وزير حلب بالزحف على عكا لإخضاع عبد الله باشا.

لقد رأى محمد علي باشا هذه فرصة عظيمة في سبيل تنفيذ مشروعه، فكاشف الأمير بشير بمرامه بعد أن أكرمه وأجاره وقام بالسعي لدى الباب العالي لإصدار عفو عن الأمير بشير وعبد الله، وفعلاً نجح بعد أخذ ورد وعاد عبد الله باشا حاكماً لعكا.

وفي عام ١٨٢٥ وقعت الفتنة بين الأمير بشير حاكم الجبل والشيخ بشير جنبلاط

كبير مشايخ الدروز. ووصلت أنباء الفتنة إلى محمد علي باشا، الذي طلب من عبد الله باشا أن يتدخل لانجاد الأمير بشير، فقام عبد الله باشا بإنجاده، وتم النصر للأمير بشير، فألقى القبض على الشيخ بشير وقاده إلى عكا سجيناً عنده وهناك أحسن وفادته.

إلا أن محمد علي باشا والأمير بشير طلبا من عبد الله باشا التخلص من الشيخ بشير. ونظراً لإلحاحهما عليه بذلك، قام عبد الله بقتل الشيخ بشير، وبذلك قوي نفوذ الأمير بشير شهاب، وبنفس الوقت ازدادت روابط تبعتيه لمصر، بينما زادت أحقاد الدروز على الأمير بشير ومحمد علي باشا.

أدرك عبد الله باشا أطماع محمد علي باشا في سوريا، وأدرك خطورة هذا وتعارضه مع أطماعه الخاصة ومركزه، لذلك كان من المعارضين لسياسة محمد علي باشا رغم ممالئته له، وقد فشل محمد علي باشا في ضمه تحت جناحيه رغم مساعدته له عند الضيق. واستغل السلطان محمود هذه الناحية وقام بمحاولة اسقاط حكومة محمد علي باشا بأن دفع لطيف باشا للتآمر على خلع محمد علي باشا، وحاول أيضاً بذر بذور الفتنة بين محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا بأن أنعم على إبراهيم باشا بولاية جده ولقّبه شيخ الحرم المكي الذي يجعله مقدماً على والده في المقامات الرسمية.

إلا أن الأسباب الرئيسية للخلاف بين عبد الله ومحمد علي باشا يمكن حصرها بما يلي:

١ ــ رفض عبد الله باشا إعادة الفلاحين المصريين الهاربين إلى سوريا من التجنيد بحجة أن سوريا ومصر تابعة للسلطان والسكان في كلا البلدين من رعاياه ولهم حق الاقامة في أي مكان يختارونه.

٢ ــ رفض عبد الله باشا تسديد دينه الذي دفعه محمد علي باشا عنه للسلطان العثماني كشرط لعودة عبد الله باشا لولاية صيدا.

٣ ــ منع عبد الله تصدير بزر دود الحرير من لبنان اضراراً بمحمد علي، الذي كان يعتمد عليه في صناعة الأقمشة الحريرية.

٤ ــ قيام عبد الله باشا بتشجيع التهريب في مصر اضراراً باقتصاد حكومة محمد علي باشا.

تلك الأسباب جعلت محمد علي باشا يقدم على غزو سوريا واضعاً ستاراً شرعياً أمام السلطان العثماني وهو تأديب عبد الله باشا، الذي كثر تمرده على السلطان العثماني، ومحاولاته الاستقلال عن السلطنة. ولم يكن ستار الشرعية هذا ليخدع السلطان العثماني الذي أدرك أهداف محمد علي. بدأت حملة محمد علي على سوريا بتوجيهه ابنه إبراهيم باشا مع ثلاثين ألف رجل وأربعين مدفعاً ميدانياً آخر من مدافع الحصار تساندهم قوة بحرية قوامها ثلاث وعشرون سفينة حربية وسبع عشرة سفينة نقل بقيادة أمير البحر عثمان نور الدين بك.

توجهت الحملة البرية من القاهرة باتجاه غزة في تشرين الأول عام ١٨٣١ حيث احتلت غزة ويافا وحيفا واقتربت من عكا في أواخر تشرين الثاني، وبعد حصار دام ستة أشهر، سقطت عكا في ٢٧ أيار ١٨٣٢، وكان قسم من الجيش المصري قد تابع زحفه باتجاه دمشق التي سقطت دون مقاومة، واتجهت القوات باتجاه حمص حيث وقعت أول معركة مع الأتراك في ٨ تموز ١٨٣٢، كان النصر فيها لصالح إبراهيم باشا، الذي تابع زحفه إلى حماه وحلب، واتجه نحو مضيق بيلان، حيث تجمعت القوات التركية. وفي يوم ٢٩ تموز ١٨٣٢ شهد انكسار الجيش التركي، وهروب قائده حسين باشا مع بقية قواته إلى أضنة، وتابع إبراهيم باشا ملاحقتهم، واستولى على أضنة، مما اضطر السلطان العثماني لتبديل قائده حسين باشا برشيد محمد باشا، الذي جمع ستين ألف مقاتل في قونية ليواجه ثلاثين ألف من القوات المصرية. ولكن براعة إبراهيم باشا جعلت النصر حليفه.

عندها طلب السلطان مساعدة الدول الأوربية، فكانت فرنسا منحازة لمصر بشكل سافر، بينما وقفت روسيا بجانب السلطان، أما إنكلترا فقد كانت تسعى

للصلح بين محمد علي الذي تكن له العداء، وبين السلطان، وذلك لتفويت الفرصة على روسيا، ومنع تدخلها في المنطقة.

ورغم الإنذار الروسي لمحمد علي بالتدخل، ووعد الأخير بوقف العمليات العسكرية، إلا أن الاضطرابات قد وقعت في مناطق التماس، واحتل إبراهيم باشا كوتاهية في ٢/٢/ ١٨٣٣، مما أجبر السلطان على أن يطلب من روسيا المعونة، وقد سارعت بإرسال أسطولها إلى مياه البوسفور، وقامت بإنزال عشرين ألف عسكري على الشاطئ الآسيوي من البوسفور في هنكار اسكلسي قرب قصر السلطان الصيفي، وأرسلت روسيا أيضاً فيلق روسي آخر من جهة الدانوب ليصل إلى استامبول (القسطنطينية) بطريق البر.

لكن التدخل الروسي أجبر كلاً من فرنسا وإنكلترا للسعي لمصالحة محمد علي مع السلطان، حيث تم صلح كوتاهية في ٤ أيار ١٨٣٣، وبموجبه أصدر السلطان فرماناً بتثبيت حكم محمد علي على مصر والجزيرة العربية والسودان وكريت، ويكون هذا وراثياً لمحمد علي، أما بلاد الشام، فتبقى تحت حكم إبراهيم باشا لمدة أربع سنوات شريطة بقاء محمّد علي تابعاً للسلطان، وشريطة جلاء إبراهيم باشا عن الأناضول.

وقد قام إبراهيم باشا بعدة اصلاحات في سوريا أهمها:

١ ــ إعادة تنظيم الدولة إدراياً واعتماد المركزية في الحكم.

٢ ــ زيادة وتنشيط التجارة الداخلية والخارجية والترانزيت.

٣ ــ إجراء إصلاحات في التعليم وتأسيس أول مطبعة في لبنان عام ١٨٣٤ واعتماد اللغة العربية في التعليم.

٤ ــ بث الروح القومية العربية بين صفوف الشعب.

٥ ــ تنشيط الزراعة وتشجيعها وتحديد الضرائب الزراعية بدقة.

٦ ـــ زيادة المساحات المزروعة.

٧ ـــ تشجيع إنشاء القرى الجديدة.

٨ ـــ حصر الجمارك بيد السلطة الحاكمة وتحديدها بدقة.

٩ ـــ توطين البدو.

وقد اعتمد إبراهيم باشا في حكمه بسوريا على القوى السياسية التالية:

١ ـــ اعتمد على الأمير بشير الشهاب في منطقة لبنان.

٢ ـــ اعتمد على شيوخ عبد الهادي في منطقة نابلس.

٣ ـــ اعتمد على المسيحيين في أكثر المناطق الأخرى وذلك للأسباب التالية:

آ ـــ اعتماده عليهم في الإدارة كما اعتاد في مصر لأن محمد علي كان يعتمد عليهم، إذ كان يرى أن المناصب الكبرى في الدولة يجب أن تكون إما من نصيب الأتراك أو المسيحيين، ولم يكن محمد علي ليسمح بأن ترسل رسالة إلى أي كان إلا عن طريق كاتب تركي أو مسيحي. وكان محمد علي يرى أن من يتحدث التركية في مصر هو بطبيعة الأمر من طبقة راقية اجتماعياً. (وهذا يفسر سر اعتماد اللغة التركية من قبل أبناء الطبقات الارستقراطية في مصر للعصر المتأخر).

ب ـــ قيام المسيحيين بالخدمة في حكومته بإخلاص بسبب جو الحرية والتسامح والمساواة الذي أعطاه للطوائف الدينية. إضافةً إلى ذلك قيام إبراهيم باشا بإلغاء الحظر المفروض على الطوائف غير المسلمة والتي أوجدها الأتراك مثل تحريم ركوب الدواب واقتناء الجواري ولبس العمائم وسواها. علماً بأن أول شخص غير مسلم يعطى لقب (بيك) كان لبحري بك الذي أنعم عليه به، نظراً لخدماته في حكومة محمد علي وإبراهيم باشا في سوريا.

جـ ـ قيام المسيحيين بتأييد دخول قوات إبراهيم باشا في سوريا ومساعدته ودعمه.

د ـ اعتماده على قوات عسكرية أجنبية مسيحية في جيشه جعله بطبيعة الأمر يعتاد التعامل مع المسيحيين بسوريا.

هذه الأسباب كانت ممهدة للفتن والحوادث التي أدت فيما بعد إلى حوادث عام ١٨٦٠. خصوصاً أن الأغوات والمتنفذين الذين ساءهم حكم إبراهيم باشا واصلاحاته ومحاولاته القضاء على نفوذهم، استغلوا هذه الناحية لضرب السلطة والحكم. وقد ساعد أيضاً إبراهيم باشا في تثبيت إقدامه في بلاد الشام دعوته لقيام دولة عربية موحدة، وكانت دعوته هذه صادقة تنبع من قلبه ووجدانه، عكس أبيه الذي يعتبر الحملة على سوريا مغامرة عابرة، وتفسير ذلك أن إبراهيم باشا كان يرد على ناقديه بدعوته هذه التي تأتي من حاكم غير عربي، بأنه ولد غير عربي لكنه عاش في مصر العربية، وقد حولت شمسها دمه إلى دم عربي. كان إبراهيم باشا يقتنع تماماً بضرورة قيام دولة عربية موحدة تحمي الحرمين الشريفين، وقد كان لثقافته الشرقية أثر كبير في ذلك، إذ كان يتقن اللغات التركية والعربية والفارسية، وربي تربية شرقية أصيلة، وكان عالماً بتاريخ الشرق، ولو أنه تعلم الفرنسية فيما بعد، إلا أنه لم تفتنه المظاهر الخلابة للثقافة الأوربية. كما أنه عاش في زمن يغاير زمن أبيه، لذلك لم يكن للأتراك والسلطان عنده أي أهمية أو هيبة أو ربط مع الخلافة الإسلامية، كما كانت عند أبيه.

إن أعمال إبراهيم باشا في بلاد الشام لم ترق للشعب، خصوصاً قيامه بطلب **(الفرده)** والتجنيد. لذلك واجه العديد من الثورات، كان أولها وأخطرها ثورة الفلاحين في فلسطين، ثم ثورة الدروز، وجبل لبنان، وتتابعت الثورات هنا وهناك مما أربك وضع إبراهيم باشا.

أضف إلى ذلك ظهور مسألة استقلال محمد علي باشا عن الدولة العثمانية، وجاءت فترة انتهاء مدة بقاء إبراهيم باشا في سوريا حسب المعاهدة المذكورة، فأخذ

محمد علي باشا يتباطئ في تنفيذ المعاهدة والانسحاب، وكان لمساندة الإنكليز للدولة العثمانية الأثر الأكبر في إنهاء حكم محمد علي باشا في سوريا إذ لم يكن الإنكليز على رضى من بقائه في سوريا، وهم يريدون أبعاده أيضاً، لأنه يحمل التغلغل الفرنسي في المنطقة. وبقاؤه في سوريا يعطي الروس ذريعة للتدخل. لذلك ساندت إنكلترا السلطان ضد محمد علي، مما شجع السلطان العثماني على بدء القتال ضد قوات إبراهيم باشا في سوريا. ففي ١٨٣٩/٤/٢١ عبرت القوات العثمانية نهر الفرات ضمن ممتلكات محمد علي، وقد حدثت معركة كبيرة صباح ١٨٣٩/٦/٢٤ بالقرب من نصيبين كان النصر فيها حليف إبراهيم باشا، وأصبح الطريق إلى استامبول مفتوحة أمامه. ولكنه لم يفكر في هذه المغامرة، لأنه كان يدرك خطورتها الدولية، وبعد هذه المعركة توفي السلطان محمود الثاني وأخذت الدول الكبرى روسيا وبروسيا وإنكلترا وفرنسا في إجراء المشاورات حول الوضع الخطير، وأخذت هذه الدول تهدد محمد علي، وقد استمرت المشاورات ما يقرب العام، إلى أن أقنعت فرنسا الدول الأخرى بحل القضية سلمياً، واختلفت الآراء حول سوريا ففرنسا ترى إعطاءها لمحمد علي مع مصر، بينما ترى إنكلترا إبقاءه بمصر فقط، واستطاعت فرنسا بمعزل عن الدول الكبرى أن تقنع مصر وتركيا على توقيع معاهدة يمنح السلطان بموجبها لمحمد علي حكماً وراثياً على مصر وسوريا.

إلا أن إنكلترا رفضت المعاهدة، واستغلت حوادث جبل لبنان عام ١٨٤٠، وأبرمت اتفاقية بين الدول الكبرى وتركيا في لندن عام ١٨٤٠، قررت بموجبها حصر محمد علي وممتلكاته، وذلك بأن يبقى لمحمد علي حكم مصر وراثياً له ولأولاده، وإعطاؤه إدارة ولاية عكا مدى حياته فقط، وإعادة باقي ممتلكاته إلى السلطان، على أن يعلن محمد علي قبوله ذلك خلال عشرة أيام، وألا انحصر حقه بمصر وحدها، وإن لم يستجب خلال عشرين يوماً، يقوم السلطان بمساعدة الدول الكبرى بعزله.

رفض محمد علي الإنذار، مما حدا بإنكلترا وبروسيا مع تركيا لبدء عمليات بحرية مشتركة، وقد أنزلت قوات في بيروت في ١٨٤٠/٩/١١ قوامها ١٥٠٠ جندي إنكليزي و٧٠٠٠ ــ ٨٠٠٠ جندي تركي، وأخذ الحلفاء في توزيع السلاح على

الأهالي، وحاول محمد علي الاعتماد على معونة فرنسا، ولكنها لم تفعل سوى التهديد بالسلاح، مما زاد إرباك محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا.

وقد وقعت قرب بيروت أولى المعارك بين الدول المتحالفة وقوات إبراهيم باشا في ١٠/١٠/١٨٤٠، وسحبت قوات إبراهيم باشا، وتابع الحلفاء في مد سيطرتهم على الساحل السوري، وفي ٣/١١/١٨٤٠ سقطت عكا، وقطع الطريق الساحلي على قوات إبراهيم باشا وعلى تموينها. كذلك قام الأسطول الإنكليزي بالاقتراب من الإسكندرية مهدداً.

شعر محمد علي بأنه بقي وحده في المعركة وأنه لا يستطيع الاستمرار، مما حدا به للتوقيع على اتفاقية تقضى ببقاءه في مصر فقط، وتسليم باقي ممتلكات السلطان فوراً، وكان ذلك في ٢٧/١١/١٨٤٠. وفي ٢٩/١١/١٨٤٠ أصدر محمد علي مرسوماً بالجلاء الفوري عن بلاد الشام. كانت الحالة في الجبهة السورية بالنسبة لإبراهيم باشا محرجة جداً وصفها بيير كريتيس بكتابه إبراهيم باشا (ترجمة محمد بدران طبعة عام ١٩٣٧ ص ٢٦٩ ـــ ٢٧٠) كما يلي: «المسيحيون الأروذكس يحاربونه لأن حكمه ينذر بالقضاء على حقوقهم التقليدية المكتسبة فيحرمهم من الأرباح الطائلة التي يجنونها من الحروب، والمسلمون يقاومونه لأنه يؤمن بالحرية الدينية والمساواة أمام القانون، والدروز قائمون عليه لأن المارونيين الكاثوليك انضموا تحت لوائه في أول الأمر، وإنكلترا تسلط سيف الفتنة وتمد العصاة بالمال، وتشجع الفوضى بضرب الحصار على شواطئ الشام، وإطلاق القنابل على إحدى نقط البلاد الحرجة، ولو أن إبراهيم لم يكترث بذلك كله وأراق دم جنوده من غير جدوى لكان عمله هو الخرق بعينه».

بعد أن تبلغ إبراهيم باشا مرسوم والده بتسليم سوريا أخذ يجمع جنوده في دمشق ومن ثم توجه جنوباً عبر منطقة الأردن، مبتعداً عن السواحل التي احتلها الإنكليز والأتراك، وقد وصل غزة (٢٤ ألف جندي فقط) من أصل ٦٠ ألف جندي، نتيجة الجوع والعطش والبرد وهجمات السكان.

وقد تمت تسوية القضية في أول حزيران عام ١٨٤١، بأن صدر مرسوم سلطاني ببقاء محمد علي باشا بمصر والسودان فقط دون سائر الأقاليم الأخرى، وتخفيض جيشه إلى (١٨ ألف محارب)، ومنعه من حق بناء السفن الحربية، وتعيين قيادات الجيش، واعترف محمد علي باشا بسلطة السلطان العثماني، وتعهد بدفع الجزية.

وقد أخذ الجنود السوريون بالعودة من مصر إلى سوريا بعد أن أنهى محمد علي تجنيدهم عنده اعتباراً من أواسط أيلول (سبتمبر) عام ١٨٤١، وقد بلغ عدد الجنود المعادون ما يقارب العشرة آلاف.

أصيب إبراهيم باشا في سبتمبر سنة ١٨٤٥ بنزلة معوية حادة اضطرته إلى أن يسافر إلى سان جيتانو بجوار بيزا للعلاج ومنها سافر إلى فرتيه في جبال البرانس.

وعاد إلى الإسكندرية في ٨ آب سنة ١٨٤٦. وفي عام ١٨٤٨ استلم إبراهيم باشا الحكم بدلاً عن والده، وصدر في الثاني والعشرين من سبتمبر عام ١٨٤٨ فرمان رسمي بتولي إبراهيم باشا بدلاً عن أبيه بسبب إصابة والده باختلال عقلي.

وأخذت تسوء حالة إبراهيم باشا الصحية حتى توفي في ١٠ نوفمبر تشرين الثاني عام ١٨٤٨ في الساعة الواحدة صباحاً وهو في التاسع والخمسين من عمره وخلفه عباس باشا ابن طوسون. ومن أغرب ما كتب عن إبراهيم باشا ما قاله أدوار ديسبي في كتابه «قصة الخديوية»:

«لقد كان إبراهيم باشا أقدر الناس على تنفيذ سياسة محمد علي ولكنه قبل موته كانت تنتابه اضطرابات عقلية وقد أصيب بالأرق حتى أصبح لا يستطيع النوم كما أخبر هو عن نفسه لأنه كان يرى في أحلامه أشباح القتلى الذين أزهق أرواحهم».

كما توفي محمد علي باشا في ٢ آب ١٨٤٩ الساعة الثانية عشر والنصف صباحاً عن عمر يناهز التاسع والسبعين وله ٣٩ طفلاً عاش منهم فقط خمسة أولاد وبنتان.

فصل في ثورة دمشق
على محمد سليم باشا العثماني والحريق الكبير
الذي وقع سنة ١٨٣١م

أول دخوله:

أنه في ١٥ آب سنة ١٨٣١ يوم عيد السيدة دخل إلى دمشق وزير اسمه محمد سليم باشا(١) ودخوله كان بموكب عظيم والناس هابته وخافته لأن اليوم الذي دخل فيه تخفى (تنكر) ودار في المدينة دورة عظيمة وكان معه جملة عساكر دخلوا معه وقيل أنهم كانوا نحو خمسة آلاف وكان دخوله في تجبر (أبهة) عظيم. وقيل عنه أنه لما كان وزير أعظم(٢) أغضب السلطان محمود على وجاق الانكشارية في إسلامبول(٣) وكان يومها ستون ألف انكشاري فغرق هذا الوزير عدا الانكشارية الذين قتلهم ستة آلاف حرمة من نسوان الانكشارية فلما دخل لدمشق خافت الخلق منه.

وثاني يوم من حكمه طالع منادي بتنبيه مشاع على الزبالة بأن تعزّل من جميع حارات البلد. فلما سمع الناس التنبيه فمن زيادة خوفهم ففي مدة يوم وليلة عزلوا جميع حارات البلد وما بقي زبالة فيها مطلقاً وصار يدور في البلد كل يوم ولما تسمع الناس بمروره تهرب من وجهه حتى الناس الذين كانوا في القهاوي يهربوا.

---

(١) جاءت توليته بعد عزل الوالي عبد الرؤوف باشا أثر الاضرابات التي نشأت في الشام.
(٢) رئيس الوزراء.
(٣) استانبول.

أيام السلف:

ومن جملة أعماله أنه دخل إلى القلعة وطلع إلى الأبراج وصار يتمايز حارات البلد ولما نظرها واقعة تحت مدافع القلعة أمر بأن تتذخر[١]. والناس توهموا منه لأنه كان على زمان سالفه عبده الرؤوف باشا والي دمشق حضر فرمان من الدولة العلية بأن يأخذ صليان[٢] من دمشق على الدكاكين والمخازن والمغالق في الشهر شي معلوم وأعلن تنبيهاً عاماً عبد الرؤوف[٣] على مشي الصليان فلما سمع التنبيه الأهالي فحالا سكروا دكاكينهم وتجمعوا وحضروا إلى باب الجابية وضربوا المنادي فوصل الخبر إلى السرايا بأن المدينة هاجت وشغبت فأتى من السرايا جملة مواصلة وكراكته[٤] وأوضباشي[٥] حسب أمر عثمان باشا الذي كان كتخدا[٦] الوزير عبد الرؤوف باشا فلما نظر وهم أطلقوا عليهم الرصاص وقتلوا منهم اثني عشر رجلاً والذين أطلقوا الرصاص عليهم أغلبهم من أهالي الميدان فرجع حينئذ بقية التوفكجية[٧] للسرايا لأجل أن يحسموا الفتنة لكن كان بوقتها موجوداً في الميدان رجل صاحب سطوة وهو أبو عرابي الشوملي فهذا نزل ركز في قهوة السويقة وصحبته آغاوات الميدان وصاروا يرجعوا الناس ولا يتركوا أحداً ينزل في ذلك اليوم وثاني يوم سار المجتمعون من الميادنة وأهالي أثمان المدينة بأهبة القتال إلى منازل المواصلة والكراكتة ونهبوها وكلما وجدوا أحداً منهم يقتلوه فقتلوا كم واحد من المواصلة والكراكته واستمرت البلد مخبوطة ثلاثة أيام.

---

(١) تجهز للرمي.
(٢) رسم يفرض للحماية والحراسة.
(٣) والي دمشق عن عام ١٢٤٣ هـ/١٨٢٧م وبقي ثلاث سنوات.
(٤) وهم جنود مأجورون من الموصل وكركوك وهم غير الانكشارية الذين كان أكثرهم من دمشق.
(٥) أي رئيس الغرفة أو الخيمة الكبيرة في الحرب وهو بمثابة رئيس التشريفات.
(٦) أمين السر أو المساعد.
(٧) توفكجية وأصلها تفنكجية قوة تشبه الشرطة تعود أمرتها للوالي تتسلح بالبنادق وكانت قبل القرن التاسع عشر محصورة بالجند فقط.

أما عبد الرؤوف باشا فاذ علم أن أهل البلد طايشة (هايجة) عليه حيث قتل منهم ناس في هذا الحرب فحالا أرسل المنادي ينادي أن الصليان بطل وأن يكون الجميع بأمن وأمان فقلت المعارضة وهديت الطوشة إذ بطل الصليان واطمأنت الناس وفتحت دكاكينها ومن جرى ضعف الحكم فأهل البلد بقيت مطمهزة[١] والذين لهم نفسانية على المواصلة والكراكته صاروا كلما نظروا موصلي وكوركتلي يقتلوه وكلما سمعوا في أحد منهم أنه في قرية أو في بستان يتوجهوا ويقتلوه. ومن الجملة كان في قرية حرستا واحد أوضباشي كوركتلي توجهوا ليلاً إليه فقتلوه وقتلوا معه اثنين من جنسه كانوا موجودين عنده وأحضروا رؤوسهم إلى الشاغور وكل يوم يطوش الحال معهم على المواصلة والكراكته حتى عملوهم شغلتهم (دائماً) فلما نظر أعيان البلدان هذه الطوشات يومية ولا هو مأمول أن تنخصم تراموا على الوزير أنه ما دام المواصلة والكراكته في البلد فلا يخلص هذا الشر فأمر الوزير بأن يرحلوا من البلد فتوجهوا جميعاً من دمشق وراقت البلد ولما بلغ الخبر إلى الدولة العلية بأن الصليان ما مشي وأهالي دمشق متزربنة[٢] فبعد رجوع الحج إلى دمشق عزلوا عبد الرؤوف باشا ونصبوا وزيراً على دمشق محمد سليم باشا المذكور.

عــود:

وقبل أن سافر سليم باشا من اسلامبول أرسل أمراً وبموجبه أعلن المتسلم في دمشق الجوربجي[٣] الداراني محمد آغا فتسلم البلد المومى إليه وحكم بالعدل والانصاف نحو عشرين يوماً وفي أثناء حكومته دخل الجوربجي المذكور أحد السكمان وغافله وسحب عليه اليطقان وأراد أن يقتله ولو ما كان يقظان لكان فرط فيه (فتك به) وإذا كان هذا هاجت المدينة والسكماني حالاً قتل وذاع الكلام ان هذا السكماني مرسله أغاة القلعة السكمان باشي ليقتل المتسلم عن أمر الوزير

---

(١) متوترة.
(٢) تزربن صار زربى ومعناها في دمشق كالقبضاي في بيروت شارد أو متمرد.
(٣) الجوربجي والشوربجي في التركية صاحب الشوربا والمراد به آغا الانكشارية في البلد قديماً.

وبعد كم يوم حضرت الأخبار بأن محمد سليم باشا وصل إلى دوما فتوجه الجوربجي ملاقياً له فنظر وجهه مغضباً وقبل وصوله للشام شاع الخبر أنه رجل شديد البأس وأن الدولة العلية أرسلته حتى يمشي الصليان ويحضر قناصل الإفرنج إلى دمشق ويعاقب الذين كانوا قد تزربنوا في المدة السابقة وما قبلوا يمشوا الصليان كما مر الشرح.

إذ أنه حضر قبلاً قنصل الإنكليز إلى بيروت ومراده يحضر إلى دمشق بمدة عبد الرؤوف باشا لكن لسبب تزرين أهالي البلد في وقت انطلاب الصليان فبقي في بيروت يستنظر الفرصة فدخل محمد سليم باشا حينئذ إلى دمشق بهذه القوة وأعلن أن مراده يمشي الصُليان وأن يحضر القنصل ويفعل غير أمور وتكلم مع الأعيان أن مراده يحرر إلى القنصل بالحضور للشام ولسبب ذلك بغضته الأهالي بغضة قوية وأول ذلك بغضه الجوربجي الذي كان تسلم البلد في غيابه.

وبعد دخول الوزير المذكور بثلاث أيام هرب الجوربجي بالليل إلى بيت الشوملي(١) بالميدان فلما بلغ ذلك الوزير اغتاظ وأرسل له أمراً أنه لا يقعد في حكمه فالتزم وتوجه إلى عكا.

اجتمـــاع واتفـــاق:

ثم إن الوزير المشار إليه جمع أعيان البلد عنده وخاطبهم أن إرادة الدولة أن تمشي الصليان وأنه لا بد يمشي فجاوبوه أنه بحسب أمره سيصير خير وأن أهالي البلد طايعين الدولة العلية فأعطاهم الأوامر وأذن لهم أن يعملوا ديوان عام في بيت مفتي أفندي على أن هذا الكلام لم يكن يخلو من الغش والخداع بما أن أهالي البلد كانوا سابقاً عملوا سيرانا (نزهة) في الربوة (من ضواحي دمشق) وكان فيه جميع أغاوات البلد وأعيانها وانوجد يومئذ في السيران جم غفير من أهالي البلد

---

(١) من عائلات الميدان المشهورة والمذكور سابقاً.

وتحالفوا على الطلاق ووضعوا يدهم على السيف والمصحف بأنهم يكونوا رأياً واحداً وحالاً واحدة وكلمتهم واحدة وصليان لا يمشوا ولو ذهبوا (هلكوا) على آخرهم وانصرفوا على هذا الرأي ثم اجتمعوا في بيت المفتي (حسب إيعاز الوزير) بالظاهر ليمشوا الصليان وأما في الباطن حتى يبقوا في رأيهم القديم لأنهم كانوا موهومين من الوزير بزيادة فوصل الخبر إلى الوزير أنهم رضيوا أن يمشوا الصليان فانحط منهم الوزير وأمر أن يكتبوا له الحارات.

أول الحركة:

فبدت الكتابة نهار الخميس رابع يوم من شهر أيلول سنة ١٨٣١ فكتبوا الميدان وباب السريجة والقنوات إلى ثاني يوم الجمعة العصر وصلوا للعمارة فأهالي العمارة ضربوا الكاتب والذي معه وتسلحوا وبلغ ذلك إلى أهل العقيبة والصالحية فتسلحوا أيضاً ونزلوا للبلد بموجب الارتباط الذي حصل قبلاً بتلك الليلة.

ولما وصل الخبر إلى الوزير أرسل جملة عساكر إلى العمارة يكبسوها فسكر أهل العمارة البوابة ونزلوا على العساكر بالرصاص فارتد العسكر وتحصن في جامع المعلق[(١)] وفي خان الدالاتية الذي قباله واشتعلت نار الضرب بينهم إلى ثاني يوم الذي هو السبت فأصبحت أهالي البلد كلها بالسلاح الكامل وحالاً عزلت المدينة قاطبة إلى الخانات[(٢)] فبلغ ذلك الوزير فأرسل عساكر ليكبسوا الميدان فوصل العسكر إلى سوق الغنم.

الثورة:

فبلغ ذلك أهالي الميدان والشاغور فحضر أهالي الميدان من جهة وأهالي

(١) جامع المعلق في العمارة بين الحواصل ويُسمّى بالجامع الجديد وبجامع برد بيك وهو الأمير سيف الدين الجكمي المعروف بالعجمي أو الأعور الذي أنشأه.
(٢) لأن بنائها من حجر تقاوم النار.

الشاغور من جهة ثانية فكسروا العسكر إلى الدرويشية وقطعوا أربع خمس رؤوس من العسكر وعملوا متاريس في الدرويشية وتحصن فيها أهالي البلد فلما بلغ هذا إلى الوزير أرسل بيلوردي[١] إلى أهالي القنوات فحواه أمان واطمئنان فصار أغاوات القنوات ينبهوا على الناس أن ترفع سلاحها فشاع الخبر أن القنوات سلمت (سلاحها) وشاع عند الجميع أنه ثاني يوم تنتهي الحادثة ويبطل الصليان ولكن الوزير ليلة الأحد أمر العسكر أن ينقبوا (يفتحوا ثغرة) من السرايا[٢] إلى القنوات وصباح الأحد أهل القنوات وجدوا العسكر تملك زقاق العداس واشتعل نار الضرب والنهب على القنوات ومن الجملة أخذ العسكر حريم من القنوات وعمل فيهن عملاً يرثى له فحينئذ أهالي القنوات أخبروا أهالي الميدان والشاغور وغير حارات بما حصل فصارت أهالي البلد كلها تحت السلاح وجردوا على القنوات واشتغل الضرب بينهم وبين العسكر وكسروا العسكر بعد الجهد الجهيد وراح يومها جملة قتلى من الفريقين فرجع العسكر إلى السرايا والدوالك فتوجهت أهل البلد إلى الدوالك وتحاربوا مع العسكر ونقبوا حيطان الدوالك وأعطوا النار للحريق فهرب العسكر من الدوالك إلى السرايا فحينئذ الذي في الدوالك نهبوه أهالي البلد ثم خرج أهالي البلد من الدوالك إلى السرايا من قفا المطبخ ونقبوا المطبخ وأعطوا النار وارتدوا إلى باب الهواء واشتد على العسكر الحرب فإذ نظر الوزير والعسكر كثرة الخلق ونار الحريق تلعب بالسرايا من كل مكان كبر عليهم الوهم فلجموا خيلهم وحملوا خراجهم قاصدين الهرب مع الوزير من باب الهواء فحينئذ حضر أولاد البلد إلى باب الهواء فخلعوه ورموه وهجموا على السرايا فلما نظر العسكر والوزير ذلك تركوا الخيل والخراج والمتاع وهربوا بأنفسهم ماشين من باب السرايا على السروجية فدخل الوزير من الجامع الذي في السروجية[٣] إلى الخندق ودخل إلى القلعة هو وخاصته قاصداً أن يشغل ضرب المدافع على البلد لكون حارات البلد تحت القلعة حيث كان قد تمايز ذلك قبلاً.

---

(١) رسالة أو أمر أو قرار.
(٢) السرايا القديمة تقع في مكان قصر العدل اليوم وسابقاً المشيرية.
(٣) جامع السروجية وهو مسجد عثماني قديم.

ضرب دمشق:

ولما دخل القلعة شغل ضرب المدافع والرصاص في الليل والنهار على جميع حارات البلد لكن لم يستفد شيئاً لأن الكله[١] التي كانت تحكم في بيت كانت تخرق في طبلة (دف) وتقع ولا يصير شيء غير هذا.

وأما بعض العسكر والكيخية[٢] وخال الوزير والتفكجي[٣] باشي فإنهم توجهوا إلى جامع المعلق وإلى خان الدالاتية[٤] وحاصروا بهما وباقي العسكر قسم منهم قتل وقسم تشلح وقسم هرب وقسم كان في القلعة سابقاً فحينئذ تسلمت أولاد البلد السرايا ونهبوا ما يكل عن وصفه القلم حيث بقي النهب في السرايا يومين وليلتين حتى الأطفال صارت تروح تنهب بل نهبوا الحجار والحديد مع كلار[٥] الحج والمحمل أيضاً قسموه قطعاً على بعض الشجعان وكانوا لأجل الغنيمة يدخلون بين عجاج النار والدخان.

شدة الحريق:

ولما نظر الذين في القلعة كثرة الحريق ضاعفوه بأمر الوزير لأنهم أرموا كباير النار (القرامي) على سوق الجديد[٦] وسوق الأروام[٧] وصار منظراً مخوفاً حيث من كل جانب من السرايا والدواليك ومن سوق الجديد ومن سوق الأروام وجانب من الدرويشية والجامع الذي في باب السرايا كانت النار تلعب فيه ولاشت سوق القميلة[٨] والقهاوي التي بجانب السرايا والبنايات العظيمة لأن جميع بعد يومين صاروا سمهدانة (سهلة مهمدة) إذا وقف الإنسان عند المحمص الذي بأول

---

(١) القذيفة.
(٢) مساعد الوالي أو وكيله.
(٣) قائد الشرطة.
(٤) خان الدالاتية.
(٥) كلار الحج: مؤونة الحج.
(٦) سوق الجديد: يصل بين قلعة دمشق والمرجة.
(٧) سوق الأروام: سوق معروف حتى الآن بدمشق التسمية مأخوذة من كلمة (الروم) وجمعها (أروام) ويقع بين سوق الحميدية والحريقة.
(٨) سوق القميلة: وهو موضع شارع النصر.

سوق الجديد يشوف المرجة[1] ولولا أغاوات البلد تجمع المعمارية والفعالة الذين في البلد ويقاطعوا على النار بالهد والهدم لكان راح أكثر من ذلك وهذا الحادث لم يسبق بمثله وكل الذي صار من سوء تدبير الوزير وبسماح الله.

الفوضى:

أما أهالي البلد المسلمين من أهل العرض فما عاد حسن (قدر) الإنسان أن يخرج من بيته وكذلك النصارى واليهود فلا تسأل عما حصل لهم لأنهم جميعهم داخل البيوت وبوابات الحارات مقفولة[2] ولا يحسن الإنسان يطلع من بيته وإذا طلع تحت اللزوم إلى السوق فالبعض يتشلح والبعض يقطعوا قاطعيتهم أهالي البلد وبقي هذا الضيق على النصارى ثمانية أيام لا يقدروا يطلعوا من بيوتهم كلياً ثم بعد هذا وجوه النصارى اتفق رأيهم أن يوضعوا قلالق (خفراء) بمعرفة الأغاوات فتكلموا معهم فأرسلوا لهم قلالق بالأجرة أجرة النفر كل يوم خمسة غروش ما عدا الأكل والشرب فوضعوا في باب الكنيسة[3] قلق اثني عشر زلمه وفي قهوة السلطاني مثله وعند فرن حنا الأشقر مثله وعند بحرة المسودة مثله وفي باب توما وفي غير حارات أيضاً والغاية في كل حارات النصارى انوضع قلالق وصاروا يهادوا الأغاوات من أرز ودراهم وقماش وغيره وتكلفوا نحو ثلاثين ألف قرش ما عدا أنهم لموا أربع لمات من بيوت النصارى من البيت في كل لمة عشرة قروش ونصف وكل هذه المصاريف والبوابات مقفولة والنصارى داخل بيوتهم.

---

(١) (أكثر هذه الأسواق لم يعد اليوم لها أثر بعد الحريق الذي أمر به مدحت باشا ومن أتى من بعده من وزراء الأتراك إلى جمال باشا ومن ثم صارت داخلة في شارع جمال باشا الذي يقال له شارع النصر أو في سوق الحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد).

(٢) (كان لكل زقاق من أزقة دمشق القديمة بوابة ولهذا كان الزقاق مرادفاً للحارة فيها إلى اليوم وكانت الأبواب المذكورة تقفل عند الحاجة أو عند الخوف من غارة تأتي).

(٣) (المراد بها كنيسة الروم المعروفة بالمريمية).

ومن بعد نهب السرايا توجه أولاد البلد إلى جامع المعلق وعلى خان الدالاتية فخان الدالاتية نقبوه وأعطوه النار فهرب منه العسكر إلى جامع المعلق لأنه قباله فانوجد في الجامع مقدار ألف وخمسماية عسكري وصار الحرب بينهم نحو ستة أيام وعمل كامل الجهد أهل البلد في حريق الجامع المذكور فما احترق لأنه جميعه مبني بحجر متين ومن الجملة كان في الجامع آغا اسمه قاضي قران فهذا كان ضابط العسكر الذي حضر مع الوزير فجعل إقامته في المأذونة وفتك في القواص بكثير من أهالي البلد لأن ضربه لم يكن يخطي وكل واحد من أهالي البلد بين حاله (أمامه) يكون قوصه حالاً من المأذنة حتى قتل جملة من أولاد البلد وكان موجوداً في الجامع ذخيرة فردة (عدل)[1] بقسماط[2] فقط فصار يعطي إلى العسكري كل يوم كعب واحد إلى أن وصلوا لليوم السادس لم يبق عندهم شيء فالتزموا طلبوا الأمان من أولاد البلد وانهم لا يطلعوا إلا بأمان رشيد آغا ابن أخو أبو عرابي الشوملي وجه الميدان.

الأمـــان:

فنزل رشيد آغا أغاوات البلد إلى الجامع وتسلموا كيخية الوزير وخاله والقبجي[3] الذي كان حضر في مادة الصليان على زمان عبد الرؤوف باشا فوضعوهم في بيت مفتي أفندي تحت اليسق[4] وباقي العسكر وقاضي قران طلعوا في حض (وجاهة) رشيد آغا فوصلهم إلى قاطع المرجة وكنت تنظر أهل البلد يومها كلها في ذلك الصايح من عند جامع المعلق إلى قرب المرجة والعسكري الذي يكون مقصراً عن العسكر يقتلوه وقتلوا بوقتها جملة عساكر ومن الجملة قتلوا التفكجي باشي لأنه ترادى في مدة تلك الأيام التي حكم بها الوزير وبلص جملة ناس من اليهود

---

(١) أي طرف واحد من سرج دواب الحمل.
(٢) بقسماط: عجين خبز يدخل للفرن لينضج تماماً ويصبح مثل الكعك بعد أن يعرض وجهيه للنار.
(٣) القبجي رسول السلطان.
(٤) اليسق: الحجز.

والنصارى والإسلام في مادة الزبالة ما عدا الضرب والعذارة ولسبب ذلك قتلوه وقتلوا آغاة العقيل[١] لأنه كان متعيناً في البلد سابقاً ولما حضر الوزير تعين عنده وصار يوم الطوشة يجاهد مع عسكر الوزير هو وجماعته وكذلك آغاة السكمان وهذا كان في القلعة على زمان عبد الرؤوف باشا أغاة القلعة فيوم من الأيام مارق واحد ميداني على باب القلعة فتعالج مع واحد سكماني فقوصه السكماني وقتله ودخل احتمى في القلعة وبوقتها كان مستلم البلد الجوربجي الداراني فطلبه من السكماني باشا[٢] ومراده قتله ويخصم الشر فما رضي أن يسلمه وبعد كم يوم دخل الوزير إلى البلد وصار الذي صار فكمشوه في اليوم الذي طلع فيه العسكر من الجامع وأخذوه إلى الميدان مكتوف اليدين وحضر ابن الميداني الذي قتل والده من السكماني المذكور فقوصه وقتله.

وكان موجوداً في اسلامبول واحد اسمه قاسم اغا العقيلي وهو رجل تاجر بغدادي وصاحب ثروة وله جاه في اسلامبول والشام ولما صدر أمر الدولة بأن يؤخذ صليان من الشام فمن طمعه وحبه في (مال) الدنيا ضمن مادة الصليان وأحضر معه البراءة إلى الشام باستنظار الوزير فلما تزربنت البلد على الوزير هرب إلى الصالحية وتخفى وانسمع أنه حلق ذقنه حتى لا يعرفه أحد لكن عرفوه وقطعوه أربع شقف في الصالحية.

هذا الحال صائر ولم يعرف أحد أن الوزير في القلعة إلى اليوم الذي طلع فيه العسكر من الجامع فالكيخية أخبر حينئذ أن الوزير في القلعة لأن البعض كانوا يقولوا أنه هرب خارج البلد وأناس كانوا يقولوا أنه في الجامع وأناس كانوا يقولوا أخذه أجلقين الكردي الذي كان دالي باش عنده والغاية كل يوم يطلع خبر جديد عنه إلى أن أخبر عنه الكيخية أنه في القلعة.

---

(١) أي من زعماء قبيلة العقيل من عرب العراق.
(٢) قائد السكمان.

الشكوى:

وبعد يومين اجتمع أهل البلد ومواليها وعملوا عرض محضر إلى الدولة العلية ووضعوا ختوماتهم جميعاً وفحواه:

أفندم سلطانم انه دخل الوزير محمد سليم باشا إلى الشام فخضعنا له الخضوع التام وكتبنا له الصليان برضى جميع الحارات إلا أن حارة اسمها العمارة سكانها فلاحين غشم حواوين ومن حيوانيتهم شونوا (هاجوا) ساعتين زمان فوصل الخبر إلى الوزير فأرسل حالاً العساكر على البلد يقتلوا وينهبوا ويسبوا وأول ما هجم العسكر على حارة يقال لها القنوات نهبوها وسبوا حريمها ودوروا الحريق بها وهذه أول ما كتبت الصليان وأرسل أمراً إلى القلعة يضربوا الطوب على البلد ومراده يخربوا البلد فقامت أهل البلد لأجل أن تحامي عن عرضها ودمها ودخلوا السرايا فحالاً حرق السرايا ودخل القلعة ورمى الكباير بالحريق على كل دائر القلعة على هلقدر أسواق ودكاكين وجوامع وبيوت وغالبها يخصوا الحرمين الشريفين خلاها كلها سمهدانة بالحريق ورمي الكلة لم عمال يفتر من القلعة لا ليل ولا نهار على البلد وما عمال يخلي أحداً يوعى على حاله. أفندم الشكوى إلى الله ولكم لأننا نحن عبيدكم ورعايكم وخاضعين لركابكم وطايعين أوامركم نترجى من مراحمكم بإرسال سايس من بعض سياسكم لأجل أن يحكم فينا حكم المولى على العبيد.

وانشئوا له مع هذا دعاء بأشعار منظومة وتدخيل وأحضروا واحداً من أهل البلد يقال له سليم آغا ابن السقا أميني لأنه من تجار اسلامبول وهو خبير في الدروب وشارطوه أن يروح ويجي بخمسة وأربعين يوماً وأعطوه أجرة خمسة عشرة كيساً وتوجه بحال سبيله وسيرجع إليه الكلام.

شدة الحصار والقتال:

وأما من خصوص الوزير فإنه لما دخل القلعة اجتمع عنده عسكر نحو ألف

ومايتين نفراً ومن البلد أولاد السكمان الذين كانوا بالقلعة ثلثماية نفر وصارت الجملة ألف وخمسماية نفر وثاني يوم طلع الوزير دار على البيوت التي في القلعة وأخذ المؤونة التي عندهم جميعها وكلما أخذ شيئاً من عند واحد يكتبه عنده ويوعده بالوفاء ووضع جميع الذخيرة التي (كانت) في القلعة والتي أخذها من عند السكمان في محل واحد ووكل بها اثنين ووضع المفتاح عنده وصار يعطي الناس بالقانون كل يوم بيومه ويعطي العسكر والسكمان قوت (حتى) لا يموت.

وبعد أن خلص أولاد البلد من مادة جامع المعلق انداروا على القلعة وعملوا متاريس على كل داير القلعة وصار الضرب من أولاد البلد ومن القلعة نهاراً وليلاً أربعين يوماً وأربعين ليلة وأولاد البلد من خلف المتاريس يضربوا بالدور وكل حارة من حارات البلد ووضعوا مدفعين واحداً في الدرويشية وواحداً في سوق الاروام والضرب على القلعة ليل مع نهار ومن القلعة الضرب والطوب على البلد وكان حال يرثى لها لأن جميع الناس تعطلت أشغالها والمدينة والخانات التي فيها مسكرة مع خانات الصنعة ولا أحد يقدر يشتغل لأن الصانع الذي من أهل العرض استكن في بيته والمزربن (صار) وراء المتراس ولا بيع ولا شراء غير أن الأكل موجود فمد القمح يسوى خمس قروش وغير أصناف موجودة وثمنها مهاود وتعطل جميع الوارد من البلاد ومن البضايع لأن ليس أحد يسأل على شيء وصار الحكم بيد أولاد البلد في وقت الحصار وأغاوات البلد استقاموا في بيت البكري يتعاطوا الأحكام.

ولما مضى من الحصار خمسة عشر يوماً شاع الخبر أن الجوربجي الداراني الذي كان هرب إلى عكا حاضر منها صحبته كيخية عبد الله باشا[1] (وزير عكا) في مادة صلح الوزير مع أهالي الشام فاطمأنت الناس على (أمل) أن المادة تنفك

---

(١) (عبد الله باشا ابن علي باشا خزندار كاخية سليمان باشا واحد مماليك الجزار خلف سليمان باشا بـــوزارة صيدا أو عكا).

وصار الناس بالانتظار وبعد كم يوم حضر الجوربجي وطلعت أهالي البلد لاقت له وادخلوه بعراضة عظيمة لكن لم يحضر معه لا الكيخية ولا وغيره.

وقبل أن يحضر الجوربجي كانت المادة تناقصت (خفت) وبعد حضوره تجسمت وتقوت المتاريس والناس تواقحوا وصار الجوربجي راس الجميع وظهر أن هذه إرادة عبد الله باشا والي عكا وأنه هو الذي ورط محمد سليم باشا فيما عمله حيث أن الدولة العلية أمرت عبد الله باشا بأن يسعف الوزير المشار إليه بالذي يطلبه منه والوزير بوصوله كتب له (بذلك) فجاوبه عبد الله باشا أنه مستعد لكل ما يلزمه من العساكر والمال حتى إذا لزم هو يحضر أيضاً لكن بالباطن خشي من الوزير المذكور وافتكر أنه إذ ظفر الوزير بدمشق ومشى الصليان فهو يلتزم يمشي ذلك في بلاده وأن الدولة العلية غير ناسية عصاوته السابقة ولو أنها أظهرت له كمال الود وجعلته يتسافه على الذي خلصه من التهلكة السابقة محمد علي باشا والي مصر وقد تجسمت العداوة بينهما بواسطة المعتمد المخصوص التي أرسلته من الاستانة لهذه الغاية وطمعته بالحاق إيالة طرابلس إلى عهدته وأعطاه هذا المعتمد الأوامر فمع هذا خشي (عبد الله) العواقب ولذلك تكلم مع الشربجي ما ظهر بالفعل كما يأتي وأفهمه أن يستعين على اكمال الغاية بالمال الذي دفعه له (عبد الله باشا) وأن يتخذ أيضاً من اليهود أموالاً لأجل المصاريف وبالأخص من المعلم روفائيل شحادة الصراف لأنه عرف بالثقلة التي حصلت على عدوه هذا وسره الخبر بأنهم وضعوا عنده قلالق ماية وخمسين زلمه من جميع حارات البلد والتخانة التي صارت على اليهود (وعلى) الصراف المذكور شيء يكل عنه الوصف لأنه في كل نهار كان يذبح ثلاث رؤوس غنم ويفلفل ثلاث حلل أرز ما عدا التنبك والانقال والفواكه والعرق والنبيذ شي لا يحصر وكل يوم يحضر إلى عند الصراف المذكور آغا من آغاوات ويتخذ على سبيل المحبة مبلغ دراهم.

النصارى:

وأما بطريرك الروم (متوديوس) فلم يعمل عليه أحد ثقله بل جميع آغاوات البلد توصي فيه وفي النصارى وأما الثقلة التي صارت على النصارى في عمارة

المتاريس فكانت على المعمارية والنحاتين لأن كل يوم ينزلوا يكمشوا من النصارى الذي ينظروه في الطريق وغالب الناس يبرطلوا على قدر ما يحسنوا ليتخلصوا خصوصاً في نصف الحصار وشدته حين شرعوا في عمل لغم على القلعة لأنهم حفروا في سفل البرج الذي مواجه الدرويشية وبقيوا كم يوم المعمارية يعاقبوا مع النحاتين حفره وكان أهل البلد ينزلوا يكمشوا منهم بالليل والنهار ويكيسوا البيوت عليهم ولما يهربوا إلى القرى يتوجهوا يمسكوهم ويكتفوهم وتحملوا ثقلة شديدة في حفره لأنهم حفروه وضرب الطوب والرصاص عمال.

فشــــل:

ولما وضعوا فيه البارود نبه الأغاوات على أهالي البلد أن تجتمع عند باب الجابية وحين تقويص اللغم يهجموا على القلعة فاجتمع لذلك أهالي البلد كل حارة بحارتها وتهيئوا لأجل أن يهجموا لكن لما قوصوا اللغم ما طلع بل شرط(١) من البرج وأخذ دكانتين قدامه فحينئذ صار ضرب المدافع من الدرويشية ومن سوق الاروام على الشرط الذي صار من اللغم في البرج حتى هدوا البرج.

وأما الذين في القلعة فلما نظروا الضرب صار على البرج عملوا حفيرة من نصف البرج وبنوا قدامها حايطاً من حجارة قوية وزغاليل ووضعوا على الحفيرة قضبان قش سترة في زعمهم (ظنهم) أنهم إذا حطوا سلالم بالموضع الذي انهدم وصعدوا أولاد البلد للقلعة فيقعوا في الحفيرة فحينئذ ينزلوا عليهم بالرصاص من الزغاليل فلما لاحظ أولاد البلد توقفوا عن الهجوم وشرعوا في حفر لغم آخر من وسط طاحون الزرامزية(٢) وصاروا يمسكوا النصارى لأجل حفره ويعذبوا فيهم ولا يخلوهم يطلعوا لا ليلاً ولا نهاراً من اللغم.

مخابرات الصلح:

وإذا كان باقياً له يومين أو ثلاثة حتى ينتهي خلصت (نفذت) الذخيرة من القلعة فأمر الوزير أن يطالعوا أولاد البلد السكمان الذين في القلعة ومن بعد يومين

---

(١) خرج من ثغرة خفية.
(٢) طاحون على طرف القلعة من الجهة الشمالية.

صارت المراسلة من القلعة إلى الأغاوات وفحواها أن يعطوا الأمان إلى العسكر والوزير.

فاجتمع أعيان البلد وكتبوا حجة إلى الوزير أن يطلع في أمان أعيان البلد وأعيان البلد طلبوا من الوزير الأمان فرضيوا الجهتين على هذا الرأي وباتوا على أن يطلع الوزير ثاني يوم لكن ثاني يوم بلغ الخبر إلى الضيع وإلى أهالي الحارات فاجتمع خلق كثير ناحية باب القلعة مستعدين بالأسلحة فلما نظرهم أعيان البلد أبقوا طلعة الوزير إلى الليل لأجل صرف الخلق ليلاً يصير شلش وتعهدوا إلى العسكر أن كل حارة تأخذ شوية عسكر لعندها في الأمان وأرسلوا الحجة إلى الوزير في النهار ثم في الليل الساعة بالأربعة حضر أعيان البلد وطوقوا باب القلعة وطالعوا الوزير وصحبته خدمهماية وسبعة أنفار ووضعوه في بيت محمد باشا (العظم) ووانسوه وقدموا له أكلاً وشرباً وفرشاً لأنه خرج من القلعة هفيان[١] من الجوع وباقي العسكر كل حارة أخذت ثلثماية إلى الميدان والشاغور والعمارة والعقيبة وسوق ساروجا.

وثاني يوم كان الخميس شاع الخبر أن الوزير طلع فانسروا وشكروا الله الذي (لتوفيقه) انفكت المادة على هذه الصورة وصار أمان وراقت البلد وانفكت المتاريس وفتحت الخلق دكاكينها وقد استقام الوزير في القلعة أربعين يوماً إلى حين طلوعه كما مر.

اجهاز العمل:

وفي اليوم الثالث من طلوعه نقلوه من بيت محمد باشا إلى بيت الكيلاني الذي بالعصرونية وقالوا له هذا البيت أفضى عليه ووضعوا نطراً خمسماية نفر ويومها أخذوا العسكر الذي كان بالحارات سفروه ووصلوا معه أغاوات البلد إلى القصير (قرب دوما) ورجعوا وفي الساعة الواحدة من الليل أحضروا كيخية الباشا وخاله من بيت المفتي إلى عنده وقالوا لهم أن الوزير طالبكم ودخل أولاد البلد الساعة أربعة من الليل قتلوا كيخية الوزير وخاله والقبجي والسلحدار والخزندار

---

(١) هفيان: أي منهك القوى.

والمهردار[1] وكان الوزير حينئذ في القاعة فسمع العكرة بأرض الدار فسكر الباب من جوا (داخل) وكان عنده مملوك وطواشي صاروا يدكوا له وهو يقوص ويجعر ويجانك من الشبابيك حتى قتل ستة أنفار من أولاد البلد وبعد هذا طلع ناس إلى ظهر القاعة حفروه ونقبوه وقوصوه فرموه وأناس علقت النار في باب القاعة لأنه وقت الذي سكر الباب وضع مخدات قش خلف الباب فلما وصلت النار احترق الباب والقش وهو وقع من القواص فلحقته النار احترقت ذقنه وشواربه وتشلوط كل بدنه ولا عاد ينعرف شكله وقتلوا المملوك والطواشي الذي كانوا يدكوا له ولما خلصوا من هؤلاء مسكوا الباقي الماية وسبعة أنفار فشلحوهم بالزلط وأخذوا منهم شيئاً لا يحصى حتى كادت الناس تقتل بعضها البعض لأجل النهب لأنه طلع معهم شيء يدهش العقل لكونهم خاصة الوزير كل ذخاير الوزير كانت معهم لما هرب من السرايا حتى من الجملة حرقوا أرض القاعة التي كان الوزير فيها ووجدوا فيها مشمعات ذهب عدة[2] وبعد ما شلحوهم وضعوهم في جامع العصرونية فصار أهل الخير من أهالي البلد يأخذوا الزلمة منهم من يعطيه قنبار عتيق أو قميص عتيق يلبسه وياخذه لبيته بكسم أسير وبعد يومين أو ثلاثة يسفره ومن الجملة طلع فيما بينهم ثلاثة أنفار نصارى أحضروهم إلى بيت البطرك لبسوهم ببيت البطرك وسفروهم.

عاقبة الفوضى:

وثاني يوم الذي هو الجمعة سمع الناس بقتل الوزير وجماعته وتشليح الناس بعد ما كان الحال راقت منذ ثلاثة أيام ورجعت يومها الناس طاشت وتخوفوا المسلمين والنصارى والناس الذين هم ذم[3] لطيت في بيوتها وتوهمت (خافت) أكثر من الأول.

---

(١) [السلحدار صاحب سلاح الوزير أو الياور والخزندار وكيل الخزينة وهو غير الصراف مدير المالية والمهردار صاحب التشريفات أو مدير غرفة الوزير].

(٢) [كانت العادة الجارية أن الأغنياء يجعلون نقد الذهب صرراً في قماش مشمع].

(٣) [من أهل الذمة].

التشهير:

ثم أخذوا الوزير والذين قتلوهم معه ووضعوهم في باب القلعة كل زلمه في مطرح بالزلط وصار يومها من الصباح إلى المساء فرجة عليهم وأخذوا رأس الوزير وخاله وداروا بهم بالمرفعجية والطبول والناس تقول عن الوزير أنه نصراني وكل منهم يتكلم شكل على قدر عقله والأولاد في مدة الحصار ويومها وبعده كانوا يدوروا جوقات جوقات في كل البلد ويغنوا: يا رشيد كفك محنى يا رشيد باشتنا حنا. يا رشيد سيفك يرقص يا رشيد باشتنا مرقص وعلى هذا قيس الليل والنهار حتى كرهوهم الناس وكان صوتهم في الليل يصل إلى القلعة لآذان الوزير (قبل قتله) وأيضاً من وراء المتاريس كان الناس يعزروه عزارة كلية.

وأخيرا جابوا راس الوزير ــ وقبل راس خاله وحطوه على درجة باب الكنيسة نصف ساعة فارتجت النصارى رهبة كلية عامة وما قاموه حتى حضر شيخ حارة النصارى وأعطاهم دراهم فأخذوه ووضعوه على باب الدير الكبير الافرنج وأخذوا دراهم منهم وهكذا لموا دراهم من حارات كثيرة.

واليوم التالي الذي هو السبت صار طوشة بين أولاد الشاغور وأولاد (الحارة التي) تحت القلعة الغرباء وراح من الفريقين نحو اثني عشر زلمة وكان الشر رايح يصير مثل مادة المواصلة والكراكتة وكل ما لهم الناس تخوفوا وكان أهل الشاغور البادين بهذا الشر فلموا المادة أغاوات البلد وثاني يوم الأحد عملوا عزومة وتصالحوا مع بعضهم.

الحكومة الوطنية الشامية:

وأما الوزير والذين معه فدفنوهم في وسط القلعة وتقلد الحكم أولاد البلد ووضعوا أغاتين في القلعة الواحد اسمه علي آغا عرمان والثاني أبو خليل الدقاق ميداني ووضعوا عندهم نحو مايتين نفراً وتعاطى الحكم أغاوات البلد والجوربي وعملوا دار الحكم في بيت المتولي وأرسلوا المنادي ينادي باسم الشرع حسبما رسم أغاوات البلد ونصبوا تفكجي باشي رجلاً اسمه خليل آغا وردة من الميدان وأيضاً أوضباشي من أولاد البلد (ضبطوا) البلد على قدر الكيف وبعد ما كانت البلد كنار جهنم صارت مستكنة.

ثم أنه من نهار الاثنين بعد قتل الوزير بثلاثة أيام فتحت البلد جميع دكاكينها والناس التفتت إلى اشغالها وصار الشروع في عمل البرج الذي قبال الدرويشية لكونه من اللغم ومن ضرب المدفع تهشم فابتدوا بعمارته وبقيوا يعمروا فيه أربعين يوماً حتى رجع أحسن مما كان.

خوف العاقبة:

لكن أهالي البلد دخل عليهم الخوف والوهم من الفعل الذي فعلوه والذي ما سبق له مثل فان وزيرا بثلاثة أطواخ وأمير الحج وقبلاً كان وزير أختام (الصدارة) وخاله وكتخداه وخزنداره ومهرداره يقتلوهم وينهبوا أموالهم ويطردوا عساكرهم وبعضهم يقتلوهم وينهبوا أموالهم ويطردوا عساكرهم وبعضهم يقتلوهم والبعض يشلحوهم وينهبوهم ويحرقوا السرايا وينهبوها وينهبوا كلار الحج المختص بالسلطان والحرمين ويعملوا كل هذه الأعمال وتترك لهم المادة فهذا الأمر المهول غير ممكن أن يصير الصفح عنه ولذلك أغاوات البلد ابتدوا يستعدوا للعواقب فنبهوا على أهل الضيع بأن الذي ما عنده بارودة يشتري والذي ما عنده سلاح يشتري وحينئذ جميع الناس صاروا يشتروا البواريد والسلاح حتى صار عند جميع الناس السلاح وشرعوا في عمل بوابات الحارات وبوابات البلد وعمروا بوابة على كتف جامع المعلق الذي حصروا فيه العسكر وحصنوها بحجارة متينة وزغاليل واستعدوا للمحاربة والقتال قايلين إذا لم يتغاضى السلطان عما مضى وأرسل وزراء وعساكر للمحاربة فعول رأيهم أن يطلعوا إلى قول القصير (بقرب برج العصافير) ويحاربوا الوزراء والعساكر.

ثم إنه يوماً فيوماً كان يقال أن السلطان لما بلغه ما حصل وجه أربعة وزراء (بعساكرها) وهي حاضرة إلى الشام وكذلك صارت تجي أخبار من حلب أنه متجمع ألوف عساكر ومتوجهة إلى الشام وتبات وتصبح الناس على كل خبر أشنع من الأول ولذلك أهالي السبب (التجارة) توقفوا عن الأخذ والعطاء وعن مشترى الحرير لأن جميع الناس تخوفت من هذه الأخبار حتى أن تجار بيروت وغيرهم

أرسلوا أخذوا أرزاقهم من دمشق من عند الامنجية (الموضوعة عندهم بالأمانة) لسبب خوفهم مما صار ومتحسبين أن تهدم البلد وأناس دقرت أرزاقها إلى خارج دمشق وأناس من النصارى خبوا أرزاقهم وسافر نحو مايه عيلة وأكثر إلى صيدنايا ومعلولا وزحلة وراشيا والذي يسافر يتكلف حسبة مثل اكرامية إلى أناس يوصلوه إلى برات البلد (خارجها) ومن الجملة البطريرك توجه إلى صيدنايا وأخذ معه أناس وصلوه وتكلف جملة دراهم وأقام كم يوم وقام إلى الجبل إلى دير البلمند[١] وباقي الناس مقيمين في بيوتهم تحت الرجا والخوف.

فصل بقدوم الحملة المصرية والاستيلاء على الشام

وإذا كانت الناس في هذا الضيق والاضطراب وردت الأخبار من ناحية مصر أنه حاضر إبراهيم باشا وعباس باشا ويكن إبراهيم باشا[٢] ومعهم جانب عساكر برية وعمارة بحرية لأجل محاصرة عكا وأناس يقولوا أنه حاضر للشام وفيما الناس بين التصديق والتكذيب تحققت هذه الأخبار وطلعوا عساكر المصريين على غزة ومن غزة دخلوا يافا من غير محاربة وبدخولهم إلى يافا نبهوا (أن دخولهم) باسم محمد علي باشا والي مصر وحضر متسلمون ومشايخ البلاد لبسوا من عندهم[٣] ووضعوا ألف عسكري قلالق في يافا ورحلوا عنها فحطوا على عكا في البر والعمارة البحرية ربطت على حيفا وصار الجميع (مطوقين بالحصار) على عكا ونزل الأمير بشير الشهابي حاكم جبل الشوف إلى عندهم وصحبته مايه زلمة فأرسلوا له الاي أربعة آلاف عسكري لاقوا له مقدار ساعتين ودخل إلى العرضي بعراضة عظيمة واستقبلته عيلة محمد علي باشا ونصبوا له صيوان بجانبهم وصاروا بحال واحدة وتحاصرت عكا قبل صوم الميلاد وصار ضرب المدفع يشتغل على عكا ومن عكا على الأوردي.

---

(١) دير الروم الارثوذكس جنوب طرابلس (لبنان) أنشئ عام ١١٥٧.

(٢) [عباس بن طوسون بن محمد علي ويكن إبراهيم المعروف بإبراهيم باشا الصغير ابن أحمد بن إبـــراهيم باشا الكبير].

(٣) [أي قلدهم أمر الحكم وألبسهم الخلعة الدالة عليه].

اضطراب:

وأهالي دمشق زاد همها لأن أكثر الناس يتكلموا أنهم حاضرين دون أمر سلطان وأنهم متى خلصوا من عكا لا بد من حضورهم للشام والبعض يقولون أنهم بأمر الدولة العلية حيث عبد الله باشا هو الذي جرع[1] أهل دمشق على ما عملوه بمحمد سليم باشا ولأجل ذلك غضبت عليه وأرسلت أوامرها إلى محمد علي باشا بتوليه على عكا ودمشق لكي ينتقم من الجميع فصاروا الناس في أفكار أولاً متحسبين من العساكر الواردة من جهة الاستانة وثانياً من ناح (ناحية) العساكر الذين على عكا.

علو باشا:

وفيما الناس في هذه الأفكار المكدرة إلى أول يوم من صوم الميلاد في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٨٣١ حضر تاتار[2] من ناحية اسلامبول وصحبته فرمان مضمونة أن منصب الشام توجه على علو باشا باشة ايقونية[3] وأنه حاضر متسلم من قبل الدولة قبل الوزير ليكون قائمقام بدمشق وطلع المنادي ينادي يومها باسم علو باشا فلما سمعت الناس تركنت نصف واحدة[4] ولكن غالب الناس من زيادة الكذب لم عادوا يصدقوا فبعدها تحققت المادة لأن بعد خمسة وعشرين يوماً وصل المتسلم للشام ودخل نهار الخميس في عشرة كانون الأول وطلعت أهل البلد لاقت له إلى سهل القابون وعملوا عراضة عظيمة كل حارة لوحدها وكل آغا لوحده في القواص ولعب السيف والترس والرماح والتراويد ودخل إلى البلد وصحبته اثنى عشر زلمه أتباعه وثاني يوم طلع منادي باسمه واسم الوزير والناس دخل عليهم الاطمئنان لأنه حضر فرمان عفو ناما بسبب الحج وأنه تحرر فرمان ودار في البلاد عفو ناما لكي لا أحد يتوقف عن مجي (سفر) الحج والناس شكرت الله تعالى على ذلك لأنه تدبير رباني فأرباب السبب الذين كانوا ناوين يسافروا عدلوا وتعاطوا أشغالهم والمسافرين

---

(١) جرع: شجع.
(٢) كان التاتار رجال البريد عند الأتراك قبل إنشاء إدارة البوسطة.
(٣) باشة ايقونية أي باشا مدينة قونية التركية.
(٤) [ركنت بعض الركون].

رجعوا إلى أوطانهم والمتسلم الذي حضر قعد في السرايا لا يعدل ولا يميل وتم الحكم في يد أولاد البلد.

غضب السلطان:

ومن خصوص ابن السقا أميني الذي توجه بالعرض للدولة على ما تقدم فبوصوله لاسلامبول صدر الأمر بسجنه في سراية الوزير الأعظم ولما بلغ الخبر أن أهالي دمشق طالعوا الوزير من القلعة بالأمان وبعدها قتلوه وحرقوه نقلوه من سجن الوزير إلى سجن مظلم وجنزروه من رقبته ومن رجليه ويديه ورتبوا له رغيف خبز كل يوم وفنجانين ماء وتخلق (غضب) السلطان على أهالي دمشق وكان مراده يرسل الوزير يخرب الشام وبقي مولانا السلطان محمود متخلق مقدار اثني عشر يوماً وابن السقا أميني في السجن فاناس من رجال الدولة أرباب العقول الذين يميلوا إلى أعيان الشام تراموا على السلطان وروّقوا خاطره فأنعم بفرمان العفو المذكور ووجهوا ضربخانة أميني[١] إلى الشام ينظر في أحوالها وينظم أمورها فالذين يلوذوا بالسقا أميني ترجوا الضربخانة أميني أن يترجى بابن السقا أميني فترجى فيه وأطلقه من السجن ووجهه إلى دمشق الشام ودخل بعد المتسلم بيوم في ١١ كانون الأول وأخبر بهذا.

حضور علو باشا:

وبعده بقي الحال مقدار عشرين يوماً فوردت أخبار قدوم علو باشا[٢] للشام ودخل الشام في ٢٨ كانون الأول نهار الاثنين فطلعت أهل البلد لاقوا له كجاري العادة ولكن ما هو مثل يوم أن حضر المتسلم جميع الحارات أعرضته ما طلع

---

(١) ضربخاته أميني: أي موظف مالي وضربخاته أي دار السكة أي الجهة الرسمية التي تصدر النقد.

(٢) اسمه علوش باشا ويقال له تخفيفاً علو وبعضهم دعاه علي باشا غلطاً، بينما ورد اسمه في سالنامه ولايت سورية حاجي علي باشا وقد استمر حكمه ثلاثة أشهر قبل وصول إبراهيم باشا وبعد رحيل الأخير عـاد للحكم لمدة شهر وعشرين يوماً.

لملاقاته غير أعيان البلد ونزل في دار الحريم بالسرايا لأن بالسرايا لم كان باقي غير واجهة منها عمار والباقي كان خربان من الحريق وقبل ما يحضر الوزير بكم يوم عمروا الذي كان خربان من دار الحريم الذي بالسرايا.

الغــلا:

ومن خصوص الأسعار قبل أن يحضر الوزير كل من هو له يد فيه الخبز غلوه والحنطة ما عادت انوجدت واللحم الوقية بعشرين فضة والخبز رطله بقرش وأربعة فضة وباقي الأسعار على هذا وقيس فضاجت الناس وصار بدها الوزير يحضر لعل يحصل فرج وترخص الأسعار وبغضوا الأغاوات وحكمهم بسبب الغلا لأن غالبهم أصحاب حوانيت[١] وخزانة فلما حضر الوزير صاروا يقدموا له عروضة في مادة الخبز.

البــلاغ:

وبعد ثلاثة أيام عمل ديوان وجمع أعيان البلد وتكلم معهم أن مولانا السلطان سامحكم بدم سليم باشا وفي ماله وحريق السرايا ومراده أن الفقير يعيش والحاج يمشي ولا يصير ثقلة على الرعية وأصحاب العرض وتكلم معهم على الغلا الحاصل على الخبز والناس التي خازنة القمح ارتخت عروقها ونبه على الذي يعرف أنه في قمح عند أحد وحضر أخبر الحكم يأخذ ماية قرش بخشيش.

الاتبـــاع:

ولبس في الديوان المفتي والكلار أميني والشربجي الداراني ولبس خليل آغا وردة تفكجي باشي الذي كان سابقاً ولبس المتسلم الذي حضر من الدولة كيخية ولبس كيخيته خزندار.

ويوم دخل الوزير للشام دخل معه خمسماية عسكري وبعد يومين دخل

(١) [المراد بالحوانيت في الشام المزارع والضيع ذات الغلال الكثيرة من الحنطة].

كيخيته ومعه مايتين عسكري وبعد خمسة أيام حضر الضربخانة أميني ومعه ماية عسكري فجميع العساكر التي دخلوا للشام ما طبقت (بلغت) على ألف عسكري ايش بدها تعمل مع هلقدار ألوف.

زيادة الغلا:

وبعد كم يوم من وصول الوزير كان الخبز الرطل بأربعة وأربعين فضة صار سعره بستين فضة ومد القمح بستة غروش صار بثمانية وما له وجود وكل ذلك الكلام الذي تكلمه الوزير ما حصل منه نفع وصار الحكم (فعلا) بيد الشربجي وكلار أميني وتفكجي باشي ابن الوردة ولا عاد الوزير يسأل عن شيء وهم مثلما يريدوا يفعلوا.

فيوم الذي صار الخبز بستين فضة قامت أهل البلد من الصناعية مرادها تقب (تثور) على مادة غلا الخبز فنزل التوفكجي باشي بالدورة قصد يكمش الناس (المتظاهرين) فدوروا المادة أنم قائمين لأجل يزيدوا (أجرة) الصنعة من (أجل) الغلا فأخذت الصناعية زود دورة (حياكة القماش) القني كانت بستة صارت بستة ونصف والفتالة (للغزل) كانوا يأخذوا على رطل الحرير أحد عشر صار في اثنين عشر وصاية الالاجة زادت نصف غرش وحرفه الكريشاتية[1] طلبت زود فدورا الصناعية حتى يقيموا كلهم وبعضهم وصلوا إلى دكان عصاعيصه[2] وجدوا صانع عمال يشتغل قصدوا يبطلوه فما رضي فابن عصاعيصه تخانق مع واحد من الصناعية وجرحه في يده وحضر أبوه ونظر ابنه جرح الصانع فتحسب لئلا الصانع يشتكي فتوجه سبق عليه بالشكاوة على الصناعية ونزل تفكجي باشا يطلب ستة صناعية فما وقع في أحد منهم غير الصانع الذي جرحه ابن عصاعيصه أخذه إلى قدام التفكجي باشا فالصانع اشكى له أمرة وأنه ابنه جرحه وهو كان مراده يشتكي فمسكوا الاثنين حبسوهم سوية فعصاعيصه بالليل ترجوا فيه وطلع وتكلف ٢٥٠ قرش وثاني يوم انكمش خمسة معلمين كريشة حطوهم بالحبس يومين وطلعوا برجاً

---

(١) [النشارين للكريشة].

(٢) اسم صاحب الدكان.

وتكلفت مادتهم ٤٥٠٠ قرش فاستدانوها وعملوها على كل وصلة قرش من عند الملقى (من البداية) إلى حين خلاصها ومادة حبسة المعلمين انفحص أمرها طلعت من عصاعيصه لأنهم كانوا بدهم منه هذا الجرم فرمى المعلمين وطلع هو حط ٢٥٠ قرش وبعد كم يوم أعطوهم للصناعية على الوصلة خمسة عشر فضة.

ومن يم الخبز لما عملوا رطله بستين فضة ينتظر (يحسن النظر إليه) فبعد كم يوم نزعوه وصار أسود مثل الكبد ولا موجود وفي آخر كانون الثاني كان (مد) القمح سعره ثمانية (قروش) وفي أول شباط صار بعشرة غروش وأكثر ورطل الطحين بثلاثة غروش ورغيف الخبز الأبيض قدر قرص القطائف بأربعة فضة يوقف رطله بثلاثة غروش ونصف ورطل البقسماط الأسمر بأربعة ونصف رطل الأرز العسكري بأربعة ونصف وعلى هذا قيس وكل هذا الحال من عطل الحكم لأن الحكم بيد أولاد البلد مثل ما يريدوا يعملوا.

موت الضربخانة أميني:

ومن خصوص الضربخانة أميني الذي مرسول من طرف الدولة لأجل ينظم أحوال الشام فقعد كم يوم بالشام ومات ولم نعلم كيف كان موته (هل) هو مات كالعادة أو لحسوه... ولكن الذي تباين أنهم سقوه سماً لأنه كان عند المسا طيباً (صحيحاً) وثاني يوم أصبح الصبح ميت فقالوا أنه صاحب لاوص شد عليه في الليل قتله.

اشتداد الغلا:

وفي أول الصوم الكبير اشتد الحال وانباع مد القمح بين البيوت بأربعة عشر غرشاً ومد الشعير بثمانية غروش والذرة بعشر غروش ورطل الأرز بخمسة غروش والفران السوقي يرسلوا لها طحين شيء قليل ويصير على الفران شي مهول لأن الإنسان يوقف نصف النهار حتى يصير له (دور) خبز إلى نهار الجمعة أول جمعة من الصوم اشتد الحال زيادة والناس عافت أرواحها وانخطف نحو خمسين طبق

خبز من الدروب ومن الفران[١] حتى إنهم يخطفوا الخبز عجين من الطريق ومن الفران يخطفوا العجين من المعاجن حتى بذلك النهار صار شي عمره ما جرى.

وثاني يوم حضر قمح من حماه وربنا فرجها لأنه بالسابق لما قرض من البلد نحو مايتين ألف لأجل جلب غلة من حماه اسعاف للشام وثاني يوم أرسلوا طحين للفران حتى انفرجت الشام نصف فرج وإنما بقي زحمة على الفران وإنما مادة الخطف بطلت وصار كل يوم يحضر نقلة قمح من حماه وكذلك طحين لكن الشيء (بقي) على أسعاره.

صحة أخبار الحملة المصرية:

ومن خصوص العسكر الذي على عكه الذي محضرينه أولاد محمد علي تحقق أنه خارج عن طاعة السلطان والسلطان متغلظ عليه كثيراً لأنه ليس قصده أخذ عكه فقط وان متى أخذ عكه يحضر للشام ومن الشام إلى حلب وإلى غير مواضع لأن قوته ما هي لأجل عكه فقط لأن عرضيه ماية ألف[٢] والذخاير واصلة كل يوم من البر والبحر وجميع البلاد كلها معه لأنه رفع عنهم الميري والظلم فلما درى السلطان في هذا الحال عين عليه ثلاثة وعشرين وزير وعمالة العساكر تجر أول بأول لأنه حضر خبر إلى الشام أن أول الاوردي وصل إلى حمص وصحبته ثلاث وزر في غره شوال سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣٢م) وعمالين ينتظروا الأمر والوزر حاضرة خلفهم.

---

(١) [الفران بلغه العامة الدراجة جمع فرن].

(١) [العرضي والأوردي في لغة الأتراك بمعنى واحد وهو مخيم العسكر ويراد به بالاستعمال الجيش أو العسكر ذاته والمشهور أن العسكر المصري الذي حضر بالبر لفتح عكا كان ثلاثين ألفاً فإنه وصل إلى حيفا مقابل عكا في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٣١ بعد أن استولى في طريقه على غزة ويافا وحيفا وأما إبراهيم باشا فإنه حضر بحراً بالعمارة المصرية التي كانت مؤلفة من ستة عشر قطعة حربية وسبعة عشر سفينة وسقيه وكيفما كان الأمر لم تكن سوريا ترى من قبل مثل هذا الجيش الكبير بعدده وعدده].

تدبير الحال:

ومن خصوص أهل الشام توهموا من حضور الوزير وتحسبوا لئلا يصير لهم دهمة (اغتيال) وفي رمضان شاوروا الوزير في مادة الحاج بأن الحاج متعطل حاله من قلة القرش لأن جميع المقاطعات لم يرضوا يرسلوا لهم قرش وأمور الحاج تعطلت بسبب طوشة سليم باشا والذخيرة قليلة من الغلا الحاصل وقصدوا تعطيل تمشي الحاج لأجل يبقوا متفقين بسبب الوهم فخاطبهم الوزير بأن يلموا من الشام قرض ويكتبوا إلى الدولة وفي الحال كتبوا للدولة أنه بخصوص مهمات الحاج ابن محمد علي باشا قاطع السوابل ونبه على ايالة الشام أنها لا تدفع قرش واحد من الميري ولم أحد دفع شي وحاصل غلا في الشام وذخيرة إلى الحاج ما هو موجود. وشارطوا التاتار[1] يروح ويحضر بالعجل فتوجه التاتار للاستانة وفرضوا قرض على الشام ومن الجملة النصارى دفعوا خمسة وعشرين ألف وصاروا الناس في أفكار بين أن يطلع الحاج وبين أنه ما يطلع إلى نهار ٢٤ ذي الحجة سنة ١٢٤٧ حضر التاتار من اسلامبول وصحبته جواب من الدولة العلية أنه حج لا يطلع ويكون الغازاة[2] على محمد علي باشا أفضل فحالا بطل طلوع الحاج وتنظر الحجاج الترك والأعجام يتباكوا في السرايا ويترامو وعملوا إلى الوزير ألف كيس (كرامة) فما حصل فصاروا يصرفوا كل الذي اشتروه من الذخيرة وغيره بنصف ثمن واستقاموا كم يوم وتوجهوا إلى بلادهم وبعد ما كانت الناس متركنه والسبب ماشي فدخل الوهم على الناس من ابطال الحج واحدة (أولاً) وثانياً من قدوم الوزر لأن الناس عمالين يدفشوا الأيام تدفيش لكي يحضر قمح (الموسم) الجديد فلما نظروا هذا الحال وأنه قادم عساكر على الديرة (البلاد) صارت الناس تبات وتصبح في وهم (خوف) كلي ثم صار بعده الموسم الجديد وركز سعر القمح بخمسة غروش المد.

فتح عكا:

وبعده ورد خبر للشام في غرة محرم سنة ١٢٤٨ أن عكا أخذها إبراهيم باشا بالسيف نهار الأحد الفصح في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٤٧[1] وبقي الحصار على عكه

---

(١) ساعي البريد.
(٢) الجهاد.
(١) [٢١ أيار سنة ١٨٣٢].

ستة أشهر كوامل من ضرب مدافع وقبوسات (Obus) شيء لا يحصى عدده حتى جميع الناس لم يصدقوا في أخذها لأن غالب الناس يقولوا أن عكا لم توخذ ولو بقي الحصار عليها عشر سنوات وفي ختام الستة أشهر ضربوا عليها نار دايمة ثلاثة أيام من يوم الجمعة على بكري (باكراً) إلى يوم أحد الفصح فسحب إبراهيم باشا سيفه ورمى حاله (هجم) من الصور قدام العساكر وصاروا العساكر يرموا حالهم وراه وكانت ساعة مهولة اشتغل ضرب السيف حتى أفنوا جميع العساكر الذين في عكا وأعطى يغما (أباح) إلى العساكر اثني عشر ساعة من الصبح إلى المسا ما عدا العرض لم أحد قارشه ونهبوا العساكر جميع متاع عكا حتى العساكر غنمت (كثيراً) ونهبوا من الأرزاق شي لا يوصف حتى الذين بقوا في عكا سالمين من رجال ونسوان شلحوهم بالزلوط وأخبروا أن عبد الله باشا لما حاصر وجد (كان) عنده عساكر أربعة عشر ألف نسمة ولما خلص الحصار سلم ألف وخسماية إنسان والباقي قتلوا بمدة الحرب ويوم أن أخذت عكا قتل من عساكر إبراهيم باشا مقدار ثمانية عشر ألف عسكري وبعده عبد الله باشا لم انوجد فخرج إبراهيم باشا لخارج عكا (لقصر البهجة) ومن بعد ساعتين أرسل عبد الله باشا (إليه) طلب الأمان فأرسل له الأمان لأنه كان مقيم (عبد الله باشا) في برج الخزنة مع حريمه وكامل دايرته فحضر لعند إبراهيم باشا فلاقى له وترحب به وبعد ثلاثة أيام أرسله في البحر إلى محمد علي باشا وبعد ثلاثة أيام لحق فيه حريمه بالبحر وراقت تلك البلاد.

فتح دمشق:

وبعد ذلك بعشرة أيام حرر إبراهيم باشا أمراً إلى وكيله أحمد بك قاروط يوسف باشا الذي موجود بالشام[1] وضمنه تحارير إلى أعيان البلد بأن مراده يحضر إلى الشام فهاجت الشام وصار يومها جمعيات الأغوات والوزير وعول رأيهم أنهم يحاربوه وردوا الجواب إلى إبراهيم باشا أن ما عندهم غير رصاص وبارود وأرسلوا أغاوات البلد أناساً ينبهوا إلى جميع حارات البلد يتسلحوا جميعهم

(١) [المراد به ربيب يوسف كنج باشا وزير دمشق سابقاً الذي لاذ بمحمد علي باشا بعد موقعة قطنة والجديدة التي حاربه فيها سليمان باشا وزير عكا بأمر الدولة سنة ١٨١٠ وتولى مكانه في دمشق].

ويتهيئوا للمحاربة فقامت أهل البلد جميعها بالسلاح الكامل وتنظر الناس كل جوقة ألف ويعرضوا (يسيروا بالعراضة) في البلد وكل حارة بحارتها تعرض وتدخل إلى السرايا حتى ينظر الوزير ويطمئن فبقيوا على هذا الحال ثلاثة أيام إلى نهار الأربعا رابع عشر محرم سنة ١٢٤٨ وصل إبراهيم باشا وعساكره الظهر إلى سهل كوكب فطلعت أهالي البلد جميعها للمحاربة ولما نظروا الجموع التي معه وصف الالايات النظام وعرب الهنادي تقطعت قلوبهم فخايلوا (أجروا الخيل) قدام العساكر فقتل من أهالي البلد نحو عشرة أنفس منهم واحد لحام دكانه في باب البريد حلبي اسمه سعود رجل أشبه مشهور بالمرجلة لأن إبراهيم باشا كان أمر عسكره أن يقوصوا بالعالي (بالجو) ولو قسى فيهم كان ذبح منهم مذبحة قوية ولما نظروا هذا الحال رجعوا وينفضوا غبار الموت عنهم وفي تلك الليلة بالليل هرب الوزير والقاضي والمفتي وكلار أميني والنقيب وجميع أغاوات البلد فتوجه أحمد بك وكيله المار ذكره إلى عند إبراهيم باشا وقال له إن البلد سلمت والجميع هربوا فثاني يوم الخميس في ١٥ محرم سنة ١٢٤٨ الموافق ٢ حزيران سنة ١٨٣٢ أمر العساكر تدخل إلى الشام بالترتيب فأولاً دخل الأمير بشير الشهابي ومعه مقدار عشرة آلاف(١) من أهالي الجبل دروز ونصارى وبعد دخلت عساكر إبراهيم باشا القرابة (الخاص) كل الاي بملبوس شكل (خاص) شي يدهش العقل وأول الاي الذي دخل الاي الورديان (الحرس) وإبراهيم باشا فيه وصار ضرب المدافع من القلعة وبعده دخلت الالايات الخيالة وجملة العساكر الذين دخلوا معه للشام عدا عسكر الدروز ستة عشر ألف عسكري شرك كل ألف ثمانماية وخمسين صاغ حسب ترتيب الانظام وما عادت السرايا وسعت فتوجهت إلى المرجة وباتوا تلك الليلة في المرجة والسرايا.

بعد الفتح:

وثاني يوم الصبح نهار الجمعة في ١٦ محرم سنة ١٢٤٧ قام بكامل العساكر النظام إلى سهلة القابون ونصب صيوانه هناك وعسكر الجبل بقي في المرجة ويوم

---

(١) [لم يكن بوسع لبنان أن يجرد عشرة آلاف حينئذ بل لم يكن الجند اللبناني الذي كان مع الأمير بشير أكثر من ألف وخمسماية نفر كما روى كثيرون ومنهم صاحب المناقب الإبرهيمية].

وصول إبراهيم باشا للشام طلع منادي باسم أحمد بك متسلم الشام بالأمن والأمان وأن أحد ينقل سلاح وأن عملة مصر[1] ماشية ويومها أغا القلعة علي أغا عرمان حضر لعنده وأحضر مفاتيح القلعة وصحبته وأنعم عليه وصرفه إلى بيته.

ونهار الجمعة وقت الصلاة نزل من القابون إلى الجامع الأموي وحده فوقت الخطبة توقفوا واحتاروا باسم من يخطبوا باسم السلطان أم باسم محمد علي باشا فاستأذنوا فجاوبهم أنه عبد السلطان وأن يخطبوا باسم السلطان ويدعوا لمحمد علي باشا.

وبيومها رتب ديوان حكم عشرين زلمه من أعيان البلد ومن أعيان النصارى وواحد من أعيان طايفة اليهود وسماه ديوان المشورة لأجل أن تنظر فيه دعاوى الرعية والميري[2] وبطل الحكم من السرايا وما أبقى غير التفكجي باشي وعنده كم نفر ورتب إلى التفكجي باشي (راتب) منصبه كل يوم خمسة عشر غرش وإلى الاوده باشي خمسة غروش وللنفر خدمته ثلاثة غروش والجميع من كيس الميري ومشى الرعايا جميعهم بالسوية النصراني واليهودي والمسلم حكم واحد. وأهالي البلد حصلوا في غم شديد من ذلك وازداد بغضهم للنصارى والنصارى بانت في وجوههم إمارات الفرح الذين خلصوا من قسر أولاد البلد (الأعيان) فبدوا الإسلام يتوعدوا لهم.

استعراض الجيش:

ولما نصب عرضيه[3] في القابون طلع منادي أن الناس تطلع الأوردي[4] تبيع وتشتري ولا أحد يخشي من باس وصارت أهل البلد تطلع جميعها إلى الأوردي كل يوم وصار بيع وشراء من أكل وشرب وفواكه بأزود ثمن وصار بيع على زناد

---

(١) من هذا التاريخ أخذ الناس يطلقون اسم مصرية ومصاري على النقد.

(٢) [من المشهور أن العامل الأول في تشكيل هذا الديوان المعلم بطرس كرامة الشاعر المشهور كاتب يد الأمير بشير ونسيب بحري بك على رواية الدكتور مخائل مشاقة عشيرهم جميعا].

(٣) خيم مؤقتة للعسكر.

(٤) المعسكر.

(الحرير) الطرابلسي وجميع الزنار الذي كان في البلد انباع جميعه على العسكر وكنت ترى بيع المتاع الذي جابوه من عكا شي يحير العقل والغالب اشتروه اليهود من تحف ومصاغ شي كثير وكل يوم باكر وعشية يصير تعليم للعسكر والناس تطلع تتفرج إلى يوم من الأيام وكان نهار الخميس صار فرجة عظيمة في سهل برزة والقابون.

إذ طلعت العساكر جميعها إلى السهل والمدافع وانقسم العسكر طوابير وكل طابور معه مدفع واصطفوا بالسهل من ذيل (جبل) الصالحية إلى ناح القابون وقوصوا نار دائمة ثلاث ساعات والمدافع أيضاً واصطفت الخيل بغير ناحية وصار لعب ميدان نصف ساعة شي يحير الفكر والوزير والأمير بشير واقفين قدام الخلق وأهل البلد يومها طلعت إلى الفرجة وبعد خلوص النار الدائمة مشيت الالايات كل الاي لوحده بالترتيب ورجعت إلى العرضي كل بلك في بلكه وكل شكل في شكله.

في القابون:

يومها حضر كلار أميني والمفتي والنقيب ورشيد ابن أخو الشوملي إلى عند الأمير بشير بوقت الفرجة وتراموا عليه فأخذهم واجه الوزير بهم وسمح عنهم وبقي مقيم في القابون سبعة عشر يوماً وكل يوم ينزل إلى الشام يتعاطى الأحكام ويطلع ينام في الاوردي وكل يوم عساكره تنزل إلى البلد وتطلع المساء وكنت تنظر الدرب من برج الروس إلى القصاع الناس فوق بعضها يتفرجوا ومن الجملة معه كم واحد افرنج معلمين حرب[١] وحكماً كل يوم ينزلوا إلى البلد يزوروا راكبين في السلاحات المعتبرة في الكسومة الافرنجية فوق روس[٢] المسلمين فكلما لهم المسلمين يزدادوا في بغضة النصارى ويتوعدوا لهم وبعد ذلك العنفوان الذي كانوا به صاروا تحت الذم.

---

(١) خبراء.
(٢) يعني قصراً ونكاية ويلاحظ بدء الفتنة بتأثير تشجيع إبراهيم باشا للطائفية واعتماده عليها.

مقابلة واختلاف:

وقبل ما يقوم الاوردي بثلاثة أيام نبه على أغاوات البلد جميعها أن تطلع معه للمحاربة مع نفرهم (رجالهم) لأن الوزير وعساكر السلطان باركة (محتلة) في حمص وصار لهم أربعة أشهر يتجمعوا وخبصوا كثير في إقامتهم هناك إذ رعوا كل زرع حمص وفضحوا هلقدر نسوان وبنات أحرار وقطعوا الطرقات وعملوا عمل يرثى له. وأما إبراهيم باشا فجميع عساكره من حين طلوعه من مصر إلى أن وصل للشام ما عمل ثقلة على أحد ولا على المزروعات ولا أخذ ذخاير وكل ذخايره ترد من مصر واستقام في الشام ثمانية عشر يوماً وعساكره كل يوم تطلع وتنزل إلى الشام بين البساتين وكان أيام فواكه ما أحد يسترجي منهم يمد يده إلى شجرة حتى في محل الأوردي شجر المشمش حامل (نازل) فوق رؤوسهم ما كان أحد يسترجي يمد يده يقطع مشمشة ولا أحد يقدر يتطلع (ينظر) في حرمه أو في ولد لأن أولاد كثير بين العساكر في الأوردي ما أحد يقدر يتطلع فيهم وبعد التنبيه على أغاوات البلد اجتمعوا خمسة وسبعين آغا وطلع معهم نفر نحو ألف ورحل العرضي والوزير ليلة الأحد وثاني يوم الأحد في صفر سنة ١٢٤٧ رحلوا أغاوات البلد.

الأمن العام في الشام:

ويوم الاثنين وضعوا قلالق (خفر ودرك) في البلد وبقي في البلد أميرالاي معه أربعة آلاف نظامي شرك عبارة عن ثلاثة آلاف ومايتين نفر وجعل إقامته في القلعة ووضع في الميدان ثمانية عشر قلق[١] وكل قلق عشرة أنفار ومثل (هذا) في الشاغور وغيرها من الحارات المسمية (الكبيرة المشهورة) القلق نحوماية زلمه وكل يوم يتغير القلق وانضبطت البلد ضبط كلي وكان إذا مر زلمه على القلق ومعه سلاح ولو سكينه يخلصوها منه وإنما يصاروا يطمنوا بالهم أن الوزير متى وصل إلى حمص تكسره العساكر ويرجع مخذول لكن ربنا ما نولهم مرادهم.

---

(١) مخفر وحراسة وتفتيش.

موقعة حمص والبلاغ:

فحينما وصل الليث الغضنفر[1] إبراهيم باشا إلى حمص نهار السبت في ٩ صفر ورد تحرير من سعادة الأمير بشير إلى المعلم بطرس كرامة (إذ كان في دمشق) يخبره أنه نهار السبت الواقع في ٩ صفر سنة ١٢٤٨ قد حلت ركاب سعادة الأسد الفاتك الجسور والغضنفر المؤيد المشهور أبو الفتوحات والنصر أفندينا ولي النعم المعظم سيد فرسان العرب والعجم المفخم أيده الله تعالى وحط على بحيرة حمص ونصب عرضيه المنصور على طرف البحيرة وتوجهوا البعض من عرب الهنادي حالاً إلى المدينة فقتلوا من عسكر الاغوات عشرين نفراً كبسوا معزى وطرش من جمالهم وبهائمهم وجانب بقر وغنم فطلع من عساكر المحشورين في حمص جم غفير قاصدين القتال مع العساكر الجهادية فعند ذلك شدت سعادته الهمة العلية وتوكل على المولى جل شأنه وهجم عليهم بالعساكر الظافرة هجمة الأسود بالمهمات القوية وضربهم ضربة هائلة أذاقهم كأس الوبال والنكال وقتل منهم ألف وخمسماية نفر عثملي وجانب مجاريح وانكسروا وقبل حصول الحرب بساعة كان وصل كوركتلي أحمد باشا ومعه أربعة الالايات مشاة وثلاثة الالايات خيالة من نظام اسلامبول ومن سوء حظهم حضروا للقتال فهجمت عليهم عساكر الورديان الجهادية المنصورين فذبحتهم والذين قتل منهم ألفان وخسماية نفر وأزود وربطوا منهم خمسماية نفر يسرى[2] وما بقي انكسروا من أمام الجهادية واشتد ضرب المدفع على القلعة ودار الهد بها ومن السطوة القاهرة تركوا مهماتهم وجبخاناتهم وذخايرهم وخيامهم وما فيها وانهزموا الباشاوات ليلاً وما بقي من عسكرهم ويلقوا (ما يلووا) على أعناقهم وبهذا النار صباح الأحد المبارك دخل سعادته مدينة حمص واستولى عليها مع (أركان) دولته المنصورة[3].

هذا ما حرره الأمير بشير إلى بطرس كرامة وبعد حضر أمر من سعادة إبراهيم

---

(١) يلاحظ هنا الاختلاف المفاجئ في وصف المؤلف لإبراهيم باشا.

(٢) أسرى.

(٣) في المناقب الإبراهيمية (عزتلو اسكندر البكريوس) تفاصيل لهذه القصة.

باشا إلى متسلم الشام أحمد بك بصورة ما حصل بوقت الحرب وهذه صورته حرفياً.

قدوة الأماجد الكرام متسلم الشام حالاً أحمد بك بعد التحية والسلام بمزيد العز والإكرام المنهي إليكم أنه نهار السبت الواقع في ٩ صفر سنة ١٢٤٨ الساعة بالسبعة من النهار كان ابتدا (وصول) عساكر المنصورة التي ساقته ركابنا ببحيرة حمص وبتلك الساعة نظرنا قدوم عساكر خيل الترك المحتشدين لمعونة الباشاوات الموجودين بحمص وحالاً هجمت عليهم عساكرنا المنصورة خيالة الجهادية والعرب وضربوهم وشتتوا شملهم وأسقوهم كأس الوبال والنكال وولوا هاربين وللنجاة طالبين فاقتفوا آثارهم عساكرنا المظفرة وظهر أمامهم أربعة الالايات نظام قرابة استانلية[١] (من الاستانة) وثلاث الالايات خيالة وعند ذلك تقدمت لحرابتهم عساكرنا المظفورة بترتيب الصفوف على رسم البديع وهجموا عليهم هجوم الأسود الكواسر وأذاقوهم كؤوس المنايا بقطع الحراب وفتك السيوف البواتر ولا تحملوهم سوى ساعة واحدة إلاّ وولوا الأدبار صارخين الفرار الفرار من بعد أن وقع منهم من قتيل ومجروح (ما) ينوف عن ألف وخمسماية نفر منهم من انمسك مسك اليد ما ينوف عن ألفين وخمسماية نفر وارطتين[٢] قد كانوا في قلعة حمص للمحاصرة عندما كانوا عزموا على الهرب مع جانب عساكر ارنقوط (ارناؤوط) ومجرد حلول ركابنا في أورضي الباشاوات القاعدين بمدينة حمص فاستولينا على أموالهم وخيامهم وجباخاناتهم وسائر ذخايرهم وصاروا جميعاً (اغنيمته)[٣] لنا والارطتين والعسكر الارناؤوط الذين كانوا في القلعة حينما نظروا هذه المهاول البديعة والظفر البديع استفاقوا وطلبوا الأمان وحنان العفو وكان اللطف غنامهم مرحمة منا أعطيناهم الأمان وخرجوا من القلعة آمنين مطمئنين نحمده تعالى على هذه النعمة العظيمة والمواهب الكبيرة الجسيمة فالآن لأجل نبشركم أصدرنا مرسومنا هذا لكم ويلزم منكم بوصوله تشهروا ذلك إلى كافة الرعايا بعمل الشنك (الأفراح) إلى كافة المقاطعات والبلاد لكي يكونوا مثابرين على سنيات الدعوات الخيرية بدوام دولة

(١) أي من جيش الاستانة.

(٢) أرطه فرقة صغيرة أو جماعة.

(٣) غنيمة.

وتأييد صولة سعادة أفندينا ولي النغم والدنا المعظم وقهر أعداءه المخجولين ما مر الأيام والسلام[١].

زينة وأفراح الظفر:

فلما قري هذا الأمر في بيت أحمد بك المتسلم أمر أن يصير شنك في القلعة وطلعت العساكر إلى المرجة وعملوا نار دائمة نصف ساعة وطالع تنبيه في البلد أن تزين ثلاثة أيام وثلاث ليالي فزينت البلد جميعها كما مر وكنت تنظر في هذه الأيام الثلاثة مع لياليها الثريات والشموع شاعلة في الدكاكين والصمد والفرش والدق والغنا والنوبات في جميع الأسواق والناس دايرين في الأسواق في الليل والنهار والنسوان كذلك ومن زيادة الزبط (الضبط) الذي صار من الحكم ما قدر أحد يتطلع في حرمة ولكن كل هذا غصب عن المسلمين لأن في الباطن صعبان عليهم ذلك.

سفاهة الجهال:

ونهار الثالث من الزينة اجتمعوا جهال النصارى ومرادهم يعملوا عراضة فمنعوهم وجوه النصارى فتوجه منهم ناس إلى طرف المتسلم استأذنوه بعمل عراضة فأذن لهم فتجمعوا وزوقوا جمل وركبوا عليه رجل مسلم يسمى حمزة الذكرة من أهالي (حارة) الخراب وحطوا له مسودتين عرق على ضهر الجمل وأحضروا مشعلين ثلاثة زوقوهم بالزوهرات والفواكه وعملوهم على كسم الصلبان ومشيت العراضة من طالع القبة في صفوف على الجانبين بالعصي وبعد الصفوف جمهور بالعصي بالتراويد وأيضاً جمهور آخر وواحد (منهم) واقف على العصي يغني ويوصف (يمدح) لهم إبراهيم باشا يا منصور الله يلعن المقهور وغير وصفات وممشين المشاعل التي هي على كسم الصلبان بينهم وآخر الكل ماشي الجمل المزوق وعلى ظهره المسلم وكلما مشوا كم خطوة يمسك المسودة بيده ويلوح بها ويصرخ

---

(١) يلاحظ التشابه بين الوثيقتين السابقتين في العرض واللغة والأسلوب.

المسيح قام ويشرب[١] (وما زالوا) على هذه الحال إلى أن وصلوا إلى بيت أحمد بك والإسلام تتفرج ولم تحسن تتكلم لكن النيران تشعل في قلوبها والغالب منهم بذلك النهار صار يبكى من قهره لأن الذي صار عمره في الزمان ما صار لأن ثلاثة اشيا أوجبت قهرهم أولاً لعنة المقهور لأن ذواتهم مقهورين باطناً وظاهراً من هذا الحال وثانياً شرب العرق على ظهر الجمل وثالثاً عمل المشاعل على كسم الصلبان وصاروا يتوعدوا إلى النصارى في الردي[٢] لأن الذي عملوه الجهال شي باطل (عاطل) وإنما أصلها شرب العرق من الصبح ما عادوا أدركوا ماذا فعلوا وثاني يوم ندموا على ما حصل.

ولما وصلوا إلى بيت أحمد بك أخذوا إكرام ورجعوا وقصدوا يدخلوا السروجية فسكروا (أهلها) في وجوههم قصدوا يمنعوهم عن الدخول فرجع منهم ناس لعند المتسلم احكوا له فحالاً أمر أن تمشي خمسة قواصة[٣] ويوزباشي قدامهم وأرسل أحضر شيخ السروجية وحبسه ودخلت العراضة من السروجية بالقهر ومنها على المحايرية والعمارة وعلى مز القصب على الزينبية على باب توما على طالع القبة على هذا الحال.

بعد حمص وحماه وحلب:

وإبراهيم باشا لبس متسلم على حمص من أولاد حمدان من أهالي (حارة) الشاغور وثاني يوم توجه على حماه لبس متسلم ابن أخو الشوملي رشيد آغا وتوجه من حماة بقصد التوجه إلى حلب فصاروا أهل الشام يطمنوا حالهم على أن الوزر الذين انكسروا موجود وراهم حسين باشا في انطاكية وصحبته ماية ألف عسكري فتوجهوا الوزر إلى عنده واجتمعوا سوا ومرادهم ينزلوا على حلب

---

(١) (إن هذا العمل سفاهة وجهالة فطيعة تحرمه النصرانية وآدابها كما شجبه أعيان النصارى في دمشق على ما أشار إليه المؤلف لكن الجهال استباحوا ذلك سنداً على إباحة المتسلم الحاكم كيداً لمن كان غيــر راضٍ عن حكومة إبراهيم باشا).

(٢) في السوء.

(٣) مسلحين.

ويطالعوا معهم أهالي حلب ويحاربوا إبراهيم باشا ويكسروه في خاطرهم متى وصل خبر كسرته للشام يقوموا على (عسكر) النظام يذبحوه وينزلوا على النصارى ينهبوها فالله ما نولهم مرادهم.

فرحل (إبراهيم باشا) من حماه كالسبع الظافر وعمل طريقه على الشول على عرب هدال فذبح منهم مذبحة قوية ونهبهم على آخرهم لأنهم كانوا يقطعوا السبيل ويشلحوا القفول[١] وقبل وصوله إلى حلب كان الوزر وحسين باشا سبقوه إلى حلب ورادوا الدخول إليهم فمنعوهم أهاليها وتكلموا معهم بأنهم رعايا لمن غلب فاستقاموا خارج حلب وتهيؤوا إلى المحاربة فحضر السبع الكاسر إبراهيم باشا وحط بعيداً عنهم مقدار ثلاثة ساعات فلما بلغهم قدومه هربوا ليلاً وتركوا جميع مهماتهم فلما بلغ قدومه ذلك أهالي حلب فثاني الأيام خرجوا لملاقاته وسلموه حلب فدخل إليها ورتبها ووضع القلالق في كامل البلد وفي القلعة وبالشيخ أبو بكر واستقام يوم في حلب وتوجه إلى انطاكية أخذها ورتبها.

موقعة بيـــلان:

والوزير وعساكر العثملي توجهوا إلى بوغاظ بيلان وحصنوا حالهم وجمعوا عساكرهم لأن البوغاظ حصين بزيادة فتوجه عليهم إبراهيم باشا أبو الفتوحات وحاربهم وكسرهم وملك البوغاظ وأرسل صورة الواقعة التي صارت إلى متسلم الشام ليلة اليوم الثامن من ربيع أول سنة ١٢٤٨ وهذه صورة الأمر:

افتخار الأماجد الكرام ذوي الاحترام الحاج أحمد بك

غب السلام التام بمزيد العز والإكرام نبدي إليكم أنه نهار الأحد المبارك الواقع في ٢ ربيع أول سنة ١٢٤٨ قد شرفت حلول ركابنا بالعساكر المنصورة إلى مرحلة خان قراموط لأجل ضرب عساكر المحتشدين في بوغاز بيلان وفي الساعة الستة باليوم المذكور قد تحرك ركابنا من مرحلة الخان المذكور بالعساكر المنصورة

---

(١) أراد بها القوافل.

وآلة الحرب المهولة حيث أن البوغاز المرقوم المتحصنين فيه بالقرب من المنزلة التي تحول ركابنا بها وفي الساعة التاسعة من النهار قد كانت المصادفة في عساكر الدشمان وابتدا ضرب الأطواب عليهم وبخصوص تحصينهم بعمل الطوابي وعسر الطرقات وفي هذا جميعه ما أفادهم (هذا) شي سوى أنه مسافة (مدة) ساعتين زمان الذين تبقى منهم من بعد الذي قتلوا وانمسكوا باليد بين مجروح وقتيل قد فروا هاربين وللنجاة طالبين مهزولين[١] إلى ناحية أدنه عند طريق اسكندرونة وتركوا أطوابهم وموجوداتهم فعند ذلك حالاً صدر أمرنا بتوجيه خيالة العساكر المنصورة الجهادية والعرب لأجل اتباع أثرهم ومسكهم جميعاً بحيث أنه لا ينقذ منهم أحد وبحوله تعالى لا بد من حصول المراد وتدمير الجميع فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا لكي بوصوله تعلنوا البشاير إلى جميع المقاطعات لكي يكونوا جميعاً على السرور والفرح على هذه النصرة العظيمة والمنة الجسيمة ليكونوا دائماً مداومين بالدعوات الخيرية بدوام بقاء هذه الدولة السعيدة بوجود دولة أفندينا ولي النعم والدنا عزيز مصر المعظم فبناءً على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد.

فغب تلاوة الأمر صار شنك عظيم بالمدافع وغيرها.

وبعد ما انكسروا حسين باشا والوزر في البوغاز وهربوا لحقتهم عساكر إبراهيم باشا فوصلوا إلى جسر مصيص فقطعوا الجسر وكسروه من خوفهم فلما وصلوا عساكر مصر ونظروا الجسر مكسور رجعوا عنهم.

الأسطول العثملي:

ومن خصوص الدولة العلية كانوا مرسلين ذخاير في البحر سبعة عشر مركب للعساكر فمع وصولهم لمينة الاسكندرونة كان الوزر مكسورين (ومهزومين) وكان إبراهيم باشا ملك الاسكندرونة فضبط المراكب جميعها ونقلها إلى عنده والذي طلع في المراكب شي لا ينضبط (لا يحصى).

---

(١) مهزومين.

حنـــا البحـــري:

وبعد حضر للشام الخواجا حنا بحري فهذا لما خرج إبراهيم باشا من مصر أرسله محمد علي باشا مع إبراهيم باشا مدير (معاون) لأنه ذو فراسة ومتقدم في الخدامة ومحمد علي باشا يعتمد عليه[١] وغالب دايرة محمد علي باشا كانت في يده فقبل خروجهم من مصر وكل (وصى) إبراهيم باشا بالخواجا المذكور ووكل الخواجا المرقوم في إبراهيم باشا وبعده حضروا لعكا وحصل ما حصل وحضر إلى الشام وأبقى الخواجا حنا ينظم أمور البلاد واستقام مدة (هناك) وبعده حضر للشام ونزل في قصر القباقيبي بالصالحية وطلع يومها لاقى له أحمد بك وأعيان الشام والقواص باشي والقواصة قدامه إلى حين وصل إلى القصر وكنت ترى في هل

(١) (هو حنا ابن مخائيل ابن عبود البحري الحمصي الأصل وقد تبنى إبراهيم الصباغ العكاوي مخائيل الــذي قدم إلى عكا مع والده لما ظهر له من نجابته وجعله يتعلم الآداب العربية على يد الشيخ أحمد الشــويكي مفتي عكا مع أولاده وأولاد الشيخ ظاهر العمر فنشأ مخائيل كاتباً ماهراً وشاعراً بارعاً وتقرب إلى حكام زمانه في عكا والشام وتخرج على يده أولاده عبود الأكبر وحنا وجرمانوس ولزموا ديوان عبد الله باشا العظم.
وكان عبود جامعاً إلى جمال الخط حسن الانشا بالتركية والعربية حتى ما زال إلى اليوم يُوصف حســن الخط بالعبودي وكانت لعبود يد في إحالة وزارة الشام إلى يوسف كنج باشا الذي أحبه كثيراً حتى عرض عليه الإسلام ففر عبود إلى زحلة فاسترضاه الوزير بواسطة الأمير بشير وارجعه إلى مقامه ولمــا فــر يوسف باشا إلى مصر بعد موقعة قطنة سنة ١٨١٠ لائذاً بمحمد علي باشا لحقه عبود وأخوته.
ولما عهدت الدولة إلى محمد علي باشا بمحاربة الوهابيين أوعز إلى يوسف باشا بأن يرسل مــن يعتمــد لإحضار الجمال التي تقتضيها الحملة من عربان الشام فعهد يوسف باشا بذلك إلى المعلم عبود وبعــد أن قام بذلك قدم له صورة الحساب بغاية الاتقان والتدقيق وحالما وقف عليها محمد علي باشا تولاه العجــب من نسّقها وجمال خط كاتبها فسأل عنه يوسف باشا وبسبب ذلك تقرب عبــود البحــري وأخويــه حنــا وجرمانوس وعبود المذكور أول من نال براءة سلطانية بالاعفا من دفع الجزية أو الخراج من النصارى.
وحنا أول من نال لقب بك وقد بلغ من الوجاهة ونفوذ الكلمة عند محمد علي باشا ما لم يبلغ إليه أحد من رجال حكومته. وكان يلقبه ويكتب له البطريرك والمطارنة الكاثوليك أمير الطائفة وجرمانوس أخوه كان رئيس ديوان الحكومة المصرية في حلب في الوقت الذي كان فيه ابنه حبيــب أفنــدي رئــيس الــديوان الخديوي في القاهرة قبل عباس باشا).

كم يوم التي استقامها في الصالحية طلعت جميع أهالي البلد سلموا عليه والنصارى كل يوم على عرض الطريق ناس لأجل السلام وناس لأجل الفرجة حتى إسلام البلد عافت أرواحها وصاروا يقولوا في بعضهم بقينا (كنا) نقول باشتنا حنا على زمان سليم باشا (تهكماً) حتى الله كتب على منطقتنا وصار باشتنا حنا (من) صحيح.

وبعد إقامته كم يوم في الصالحية نزل إلى الشام لبيت الجربجي الداراني في القنوات وبدا ينظم أحوال البلد ورتب ديوان الحكم وغيره وبقي الصيت (الاسم) إلى أحمد بك والفعل إلى الخواجا حنا البحري والذي يقوله يصير وهو رأس الجميع والكتبة الذين تحت يده والخدم الذين معه شي (أناس) بشالات كشمير وشي بلفات بيض وشي لابسين نظام وكلهم يدوروا في الأسواق راكبين الخيل المنظومة[1] ولم يقدر أحد من الإسلام يتكلم (ضد هذا) ويقولوا الإسلام إلى بعضهم يا أخي الدولة صارت دولة نصارى خلصت دولة الإسلام على هذا وقيس.

صرامة الحكومة:

وبدا صرامة الحكم وكلما وقع زلمه من الإسلام بذنب يضربوه أجواب (كرباج) حتى يتلف وبعده يحبسوه في القلعة كم يوم حتى يتجمعوا نحو خمسة عشر زلمه يخشبوهم (يقيدوهم بالخشب) ويرسلوهم إلى عكا يشتغلوا في الورشة بالنهار وفي الليل بالحبس المظلم حتى أهالي البلد وقع عليها الرعب وصاروا تتهذب أخلاقهم وأيضاً أصحاب السفاهة الذين كانوا على زمان الحركات (الثورة) صاروا يمسكوهم أول بأول ويرسلوهم على عكا حتى الجميع صاروا مثل الذم.

الحسبة:

ولبسوا محتسب[2] على الأسعار مصطفى آغا ابن شبيب ونبه على الأسعار جميعها ولم أحد عاد باع (بسعر) زايد مصرية الفرد لأنهم حبسوا الأرزاق يومين

---

(١) (إن كل هذا كان ممنوعاً قبل حضور إبراهيم باشا على أهل الذمة من النصارى واليهود).
(٢) (وظيفة المحتسب قديمة واستعمال الكلمة قديم عربي وهي أشبه اليوم بوظيفة رئيس الدائرة البلدية).

ثلاثة ظنوا مثل غير حكم (كالسابق) ونظروا أنه ما فيه فايدة فتواجدت الأرزاق حتى البطيخ نبهوا عليه أنه ينباع في الرطل البطيخة الكبيرة سعر الرطل عشرة فضة والصغير بسعر الرطل بثمانية فضة وصار المحتسب يدور كل يوم في البلد ويمشي قدامه نحو عشرة أجوار ناس حاملين العصي وناس حاملين الفلق وناس حاملين جواب وناس حاملين الميزان والأواق كل يوم على هذا الترتيب.

موقعة أيقونـــة[١]:

وبعده في غرة جمادى الثانية ورد خبر من إبراهيم باشا أنه صار تجمع أربع وزر في أيقونية ومعاهم نحو خمسة وعشرين ألف عسكري[٢] ونصبوا عرضوهم تحت أيقونية فأرسل لهم أميرالاي ومعه أربعة آلاف فصار الحرب بينهم فكسرهم وأخذ منهم ألف وخمسماية نفر يسرى وقطعوا خمسماية راس وهربوا الوزر إلى أيقونية وحاصروا (فيها) فلحقوهم وحاصروهم فهربوا الوزر من ايقونية وتسلم إبراهيم باشا أيقونية وأرسل أخبار إلى الشام وصار ليلتها شنك بالقلعة.

حاكم الشام:

وبعد أرسل محمد علي باشا والي إلى الشام اسمه شريف[٣] بك فدخل للشام في موكب عظيم وطلعت الأعيان لاقوا له وصحبتهم الخواجا حنا بحري ودخل معه على الشام ماشياً معه وما دامهم في الالاي في الميدان حاصلة (كانت) المكالمة فيما بينهم بالضحك وكل حصة حتى يلتفت شريف بك ويرمي سلام على المسلمين وكان يرى جملة نصارى راكبين يومها في دخول واحد خلف الوزير

---

(١) قونية مدينة في تركيا حالياً فيها آثار قديمة.

(٢) (قيل كان عسكر الأتراك في موقعة أيقونة خمسة وخمسين ألفاً كما روى صاحب المناقـب الإبرهيميـة وقيل كان ستين ألفاً على قول صاحب البهجرة التوفيقيه ولا يمكن أن يكتفي الأتراك بخمسة وعشرين ألفاً في هذه الموقعة الأخيرة بعد انخزالهم في موقعتي حمص وبيلان بعدد أكبـر وفـي بـلاد أبعـد عـن العاصمة).

(٣) شريف بك أو شريف باشا من كبار وزراء الخديوي. تزوج ابنة سليمان باشا عام ١٨٨٧.

(شريف بك) والخواجا حنا بحري بجانب الوزير حتى المسلمين كادوا يفقعوا فنزل (شريف بك) بالسرايا وتعاطى الأحكام وأحمد بك الذي كان متسلم صار عنده كيخية (معاون).

بحري بــك:

والذي يريده حنا البحري هو الذي يصير. وقبل مدة الخواجا حنا انتقل إلى القنوات وسكن في بيت الصالحاني في زقاق التلاج بحارة الخراب وبعده انتقل وأخذ بيت عبد الرحمن أفندي المرادي (المفتي)[١] الذي في زقاق الملك الضاهر قريب إلى الجامع الأموي لأنه بعد أن كان سكن مفتي الشام صار سكن نصارى لأن الإسلام صعب عليهم ذلك كثير ولكن لم (يكونوا) قادرين على شي لأجل يفعلوه ودائماً القسوس والرهبان طالعة عابرة.

وبعده الخواجا حنا المذكور حرر إيراد ايالة بر الشام من عريش مصر إلى حد أدنه[٢] وأرسله إلى ولي نعمته محمد علي باشا فانحظ منه محمد علي باشا وأرسل له نيشان وظيفة ميرالواء[٣] (ولم يكن عسكرياً) وصاروا الناس يقولوا بحري بك عوض الخواجا حنا بحري ولما يدخل إلى الديوان ينهضوا له جميع أرباب الديوان من المفتي لحد النقيب وصار اسمه مدير الحسابات ومنقح الجرنال[٤] لأن كامل المواد الميرية التي تحصل مذكراتها بالمجلس يرسلوها له وهو يفتحهم ويجاوب عليهم (يجاوبهم عليها) ويرجع مناقضته (انتقاداته) إلى المجلس لأجل يتذاكروا فيها وما يترك لهم مادة (سبيلا) إلا حتى يحكموا فيها بالعدل وينشرح عليها من شريف بك باجرا العمل بموجبها ما دام موجود في الشام كامل المواد تتعرض له لأن في الأول كانت الجرنالات تتوجه من المجلس تركية العبارة إلى محمد علي ويصير تفتيشها

---

(١) تولى الافتاء ما بين عامي ١٢١٠ ــ ١٢١٣ وقد قبض عليه عام ١٢١٨ وسجن بالقلعة وخنق بأمر مــن أحمد باشا الجزار ثم ضبطت تركته وبيعت لصالح دائنيه.

(٢) أو أضنة مدينة في تركيا حالياً.

(٣) أمير اللواء.

(٤) بمثابة جريدة رسمية.

عنده ويناقضهم (ينتقدهم) بالذي لم يوافق رأيه فلما أرسل الشرف أي وظيفة ميرلواء إلى الخواجا حنا وكله بأن ينظر الجرنالات هو ويناقض عليهم بالذي يوافق وصار المومى إليه شريك الرأي.

صلح معاهدة كوت هيه[١]:

وبعده حضر أوامر من إبراهيم باشا ومحمد علي باشا أنهم تصالحوا مع السلطان بواسطة دولة الإنكليز ودولة فرنسا وتم الصلح (على) أنه يبقى في يد محمد علي من حد أدنه إلى حد عريش مصر كامل عرب بستان أربعة سنوات تحت مال معلوم[٢] وطلع تنبيه مشاع بالشام وأمر أحمد بك أن تزين البلد ثلاثة أيام بلياليها وصارت الزينة في أول أيار سنة ١٨٣٣ مسيحية وصارت (كانت) زينة أحسن من التي قبلها ومن الجملة النصارى في ثالث يوم من الزينة نهار السبت تجمعت جمال وعملوا عراضة بالعصي والكسومة طوابير بالتراويد ومشي طابور بالمباخر والقماقم والشمع على باب توما على الزينبية على مز القصب والعمارة على السروجية على السرايا ودخلوا أخذوا بخشيش وطلعوا على الدرويشية على سوق جقمق على الخياطين وسوق السلاح والبزورية على مأذنة الشحم على طالع القبة وتنظر يومها أهالي البلد قاطبة في الادرب تتفرج حتى يومها أهالي البلد كانت تفقع مرايرها من الذي عملوه النصارى.

(١) والأصح كوتاهيه وهي مدينة تركية مشهورة بصناعة الخزف.

(٢) (أمضيت معاهدة كوتاهيه في المدينة المذكورة في ٨ أيار سنة ١٨٣٣ من إبراهيم باشا بالنيابة عن والده مفوضاً ومن البارون روسن من رجال سفارة فرنسا بالاستانة من قبل تركيا إلى أن صادق عليها السلطان محمود ومحمد علي باشا فإن انكسارات الجيش العثماني المتوالية بقتال إبراهيم باشا جعلت الدولة أن تلقي نفسها في يد عدوها الأكبر قيصر روسيا وأرسلت أسطولها إلى سواحل بر الأناضول لمنع تقدم إبراهيم باشا نحو الاستانة وأنزلت عساكر إلى البر فأثار هذا التقدم رجال حكومة الإنكليز والفرنساويين ومن توسط رجال الدولتين بالصلح بين الباب العالي ومحمد علي باشا ومن شروط هذه المعاهدة أن تكون حكومة مصر لمحمد علي باشا وأولاده الأكبر فالأكبر وراثية وأن تكون ايالة الشام وعكا وطرابلس وحلب وأدنة مع جزية كريت لمدة أربع سنوات فقط).

مؤامرة قتاليـــة:

ووقع البغض في قلوبهم (ضدهم) ونبهوا المسلمين على بعضهم أنه كل حارة تعرض (تسير بعراضة) بالليل وتنزل على حارة النصارى وكانوا ناووين نية سودا إلى النصارى فنزلت أول حارة أهل مادنة الشحم وصاروا يقولوا في العراضة الله ينصر السلطان الله يهلك الكفار ويوسقو (شتائم) إلى البطرك والمطران والصلبان ويعملوا رايات بشيعة حتى وصلوا إلى باب الكنيسة (المريمية للروم) كلما نظروا نصراني يضربوه ويشتموه ويخطفوا من دكاكين النصارى أكل حتى وصلوا إلى طالع القبة (من حارات النصارى) صاروا يضربوا في النصارى ويبهدلوا ونهبوا دكانتين ثلاثة من السمانة النصارى وجرحوا ناس ومن الجملة أخذوا جملة دراهم من عباب الناس وضربوا واحد اسمه البطيط ضرب خاطر (مخطر) حكم على خاصرته استقام أربعة أيام ومات فلما عملوا هذا الحال بليلتها توجهوا أناس نصارى اشتكوا إلى أحمد بك فنزل أحمد بك وتفكجي باشي كمشوا ناس منهم وأرسلوهم إلى الحبس وخربطوا عراضاتهم وكلما علقوا بأحد يضربوه ويرسلوه إلى الحبس فبقيوا طول الليل الدورات[١] دايرة وكلما نظروا أحد من الاشقيا يمسكوه إلى ثاني الأيام صار يصير عوان (تغريم) على الذي كان في العراضة وخربط وكمشوا كم واحد وبقيت الناس محبوسة أربعة خمسة أيام بعده طالعوهم وضربوا كل واحد خمسين كرباج والذي انتهب من النصارى ما عاد رجع ولا انعرفوا غراماته وكلما له البغض عند المسلمين تجسم ويتوعدوا للنصارى بالردي.

فتنة الميدان وقصاصها:

وبعد مدة صار طوشة في الميدان أصلها طلع أوده باشي معه عشرة أنفار يحضر جمال لأجل السخرة فنظروا واحد اسمه ابن سكرية هذا كان قبل مدة انمسك وأرسل إلى عكا لأنه من الأشقيا الكبار فهذا هرب من الدرب ورجع للشام بالخفية فيوم الذي طلع الأوده باشي لأجل يحضر الجمال نظره فكمشه فلما انكمش صار

(١) الدوريات.

ينخي[١] الناس الذين في الميدان فتجمعوا كم معتر مثل ماية زلمه وضربوا التفكجية والأوده باشي وخلصوه وهربوا التفكجية والاوده باشي ورجعوا إلى السرايا وخبروا.

فلما بلغ ذلك ميرلواء عمر بك لأنه كان ماسك القلعة فركب وأخذ معه ارطه عسكر وطلع على الميدان وكنت ترى يومها الأسواق جميعها سكرت والخانات وتحسبوا الناس لئلا يصير مثل وقت سليم باشا وأن المادة المطبوخة مع بعضهم فطلع عمر بك كأنه السبع الكاسر فبحال أن وصل إلى الميدان لم عاد بان أحد وتخبت الناس في البيوت وحول (نزل) في بيت سعد الدين وعزم أن يهد الميدان فتراموا عليه وروقوا خلقه فكمش ساعتها عشرون زلمه ونزل إلى السرايا ففرزوا منهم ثلاثة أنفار وقطع رؤوسهم ورموهم قدام باب السرايا والباقي حبسوهم في القلعة وبعد كم يوم خشبوهم وأرسلوهم إلى عكا ومن جملتهم ابن حسن أفندي تقي الدين لأنه كان عليه ذنب فترتب جزاه أن يشتغل اثني عشر شهر بالورشة وبعد أن قطع رؤوس الثلاثة أنفار طلع منادي بالأمان وفتحوا الناس دكاكينها وبعده جميع اسلام البلد ماتوا الموتة الصحيحة وخصوصا الميادنة بقيوا نحو خمسة أيام لم يطلعوا من بيوتهم والذين كانوا في أشغالهم مثل فتالة وغيره لم قدروا يطلعوا من دكاكينهم في هذه الخمسة أيام والنصارى تبرنشوا وكانوا يركبوا بالأول في الحشمة (الخفية) فصاروا يركبوا في كل المواضع كان ما على المحسن (منهم) سبيل ولا أحد يقدر أن يتعارضهم.

عودة العساكر:

وبعدها صارت ترد العساكر حتى صار في البلد عساكر كثيرة لأن الحرب كان خلص والعساكر فضيت (فرغت من عملها) صاروا يرسلوها للشام وتفرقت القلالق في جميع البلد قاطبة وأرسلوا إلى الميدان الاي أربعة آلاف عسكري تفوقوا قلالق وأخذ جملة بيوت منظومة نزلوا أغاوات (الضباط) العسكر فيها وأيضا في القنوات

---

(١) يبثهم حماساً.

وسوق ساروجا أخذوا جملة بيوت منظومة نزلوا فيها أغاوات وأخذوا جملة جوامع ومدارس نزلوا بهم عساكر مثل الجامع الذي في (سوق) الخياطين والمدرسة التي بلصق بيت عبد الله باشا (العظم) والمدرسة التي قاطع (بعد) حبس باب البريد والجامع الذي بالدرويشية وجامع المعلق وغير جوامع حتى المسلمين كادت تفقع مرايرهم ويقولوا هذا مراد الله جوامع الإسلام صارت منازل العساكر ولكن ما هو طالع من يدهم شي.

انشاء الخمارة:

وبعده صدر أمر من إبراهيم باشا أن يصير خمارة في الشام فأمر الديوان أنه يصير تنبيه عند النصارى واليهود وغير مواضع لأجل يصير مزاد في (ضمان رسم) الخمارة فبقي المزاد حكم خمسة عشر يوماً حتى انتهى حال (التزام) الخمارة بسبعماية كيس وصار ضمانها من عيد الصليب وضمنوها نصارى ويهود وإسلام وأخذوا خان المصبنة الذي في الخراب وقاعة النشا وعملوهم خمارة وتشوف الإسلام بأسوأ حال لأنه شي مثل هذا عمره ما صار (قبلاً) بالشام وتنظر الوارد على الخمارة مسلمين ونصارى ويهود وتنظر العرق والنبيذ مبسطين فيه بالقهاوي والشوارع مثل قهوة علي ابن منين وقهوة باب شرقي وقهوة باب توما ودكان في باب الجابية وفي سوق الخيل وفي باب مصلى وعملوا ميري (رسم) على الذي يرمي في بيته (عنبا) قدر ثمن العنب الميري وأخذوا الزبيب صاروا يبيعوه من تحت يدهم وجمعوا من بيوت النصارى واليهود خوابي وأخذوا العرق والنبيذ الذي كان في بيوت النصارى لأجل المبيع وأعطوهم ربع ثمن وأخذوا من عندهم جميع الأوائل التي يطبخوا فيها العرق وصار تحرير (تدقيق) كلي على الذي يبيع عرق أو نبيذ والذي يظهر أنه يبيع عرق أو نبيذ من غير أمر الخمارة يصير عليه زيار كلي وقطعوا ثمن رطل العرق باثني عشر غرش ورطل الخمر بستة غروش وصار تحريج (تضيق) على العنب أنه ينزل جميعه في (زقاق) السلطاني بحارة النصارى وأنه حتى يكتفي الكرت (المسكرات) والخمارة يأخذ المتعيش ويصير شحتة (قلة) في السوق على بيع العنب لأجل الأكل في كل الحارات.

رسم الفـــردة:

وبعده حضر أمر من محمد علي باشا أنه يصير فردة في الشام وفي بر الشام على الناس وطلب أعلى اسم خمسماية غرش ونازل لحد الخمسة عشر غرش ولما سمعت المسلمين في هذا الخبر صعب عليهم أكثر من الجميع لأنه في الزمان ما اتتاخذ منهم مصرية الفرد وهذا شي عمومي على الغني والفقير والآغا والأفندي الذين من طول عمرهم معودين على الأكل (لمال الناس) فاحتاروا في أمرهم وصاروا كالأموات من قهرهم وبقيوا كم يوم مضغوطين من هذه المادة ودائماً يحسدوا الأموات ويقولوا لبعضهم يا ما أحلى الموت ودائماً يطلبوا الموت فعلى هذا وقيس.

وبعده دارت الكتبة على جميع حارات البلد وصاروا يكتبوا من اسم (سن) الأربعة عشر سنة وطالع وكل حارة رتبوا لها شيخ ومعرفين يدوروا يكتبوا أولاد الحارة كل واحد بمفرده (أي) اسم الشخص ولقبه وما هو كاره وفي برهة كم يوم خلصوا الكتابة فأخذوا أوراق الحارات إلى الديوان فزبطوا (ضبطوا عدد) الزلم الذين في الميدان وفي الشام وفي الصالحية بلغوا خمسة وعشرين ألف نفر بما فيه النصارى واليهود وطالب محمد علي باشا من كل نفر ماية غرش في قلب بعضهم والديوان يفرض (يوزعها) فلما أهالي الديوان نظروا أوراق عدد الزلم (هكذا قليلة) أبطلوا فريضة (التوزيع على) الحارات وصاروا (يحولوا) حرف فأولاً حولوا حرفة التجار بعده الامنجية (الكوميسيونجية) على هذا وقيس وترتب صراف ومباشر إلى الفردة خلاف الكتاب والذي يدفع الفردة ياخذ ورقة بختم الناظر وعندما ياخذوا المسلمين الأوراق يقولوا لبعضهم يا أخي انظر ورقة خراجي[١] وآخر يقول يا أخي شيلها في راسك[٢] اصحى تضيع.

ففي عقلهم (أي) أهل الديوان أنها انقضت (المشكلة) بهذه الكتيبة وهذا التحويل (ولكن) التم من الناس أهالي الحرف والباقي مثل الصناعية ما انفرض

---

(١) من أهل الذمة من النصارى واليهود.
(٢) كانت العادة قديماً أن يضع الناس الورق في العمة أو اللفة التي على الرأس لكن يراد بها معنى آخر...

أحد (ما انفرض عليهم) وبعده حضر شريف باشا إلى الشام في أول شهر كانون الأول سنة ١٨٣٣ مسيحية ونزل إلى الديوان ونظر الفردة جامعة في قلب بعضها ثمانية وأربعين قرش (على) النفر فتخلق (غضب) وأمر أن التحويل يصير على الحارات ويبطل تحويل الحرف وبتلك الليلة حوّل (فرض المال) جميع حارات البلد كل حارة بفئة معلومة بمعرفة أرباب المجلس وجمعت البلد (على) النفر بقلب بعضه ماية وعشرة غروش وكان ابتدا فريضة الفردة سنة ١٢٤٩ هجرية.

دخول القنصل:

وبعده قنصل الإنكليز الذي كان مراد محمد سليم باشا يحضره للشام واستقام في بيروت لحينما حضر إبراهيم باشا وأخذ بلاد العربية حضر للشام نهار الجمعة بعد الصلاة في ٢١ رمضان سنة ١٢٤٩هـ وكان ترتيب دخوله (هكذا) طلع لملاقاته عمر بك مير اللواء واستنظره في قصر عبد الرزاق باشا الذي بالمرجة وصحبته ألف عسكري نظام وكان برفق القنصل حاضر من بيروت أربعة وعشرون خيال في بيارق النظام وقواصته عدة ثمانية وعبدين وتراجمين ثلاثة وكيخية وخزندار وحول في قصر عبد الرؤوف باشا عند عمر بك وتفكجي باشي واستقام مقدار نصف ساعة وقام ركب ومشيوا قدامه ألف عسكري نظام في الموسيقا وبين باشي وبعده ثلاثين قواص من قواصه الوزير بعده الخيالة الذين حضروا معه من بيروت ببيارقهم وبعده التفكجي باشي وجماعته وبعده قواصته لابسين طقومة وردي جزايرلي مقصب وبيدهم عصي فضة مكوبجين (ذات قبضة) على كسم صليب وبعدهم التراجمين في الشالات الكشمير في الخيل المنظومة وبعدهم القنصل راكب على راس خيل من الخيول الجياد عدته مشغولة في الصرما ولابس على راسه برنيطة محجرة بالألماس وفي راسها جملة ريش أبيض وأحمر ويرمي سلام ووراه كيخية وخزنداره وعبيده وتنظر العالم منتشرة من عند قصر المرجة شي لا ينحصى وحكم طريقه على الدوالك على بيت يوسف باشا. على باب السرايا. على سوق الأروام وسوق الجديد. على باب القلعة. على باب البريد. على سوق الحرير. على البزورية. على

ماذنة الشحم. على الخراب. على طالع القبة. على حمام المسك. على باب توما. على حمام البكري. على زقاق القميم (القميلة). على بيته[١] فكانوا قبل بمدة آخذين له بيت قزيها الذي قدام قناية الحطب ودخلوا العساكر جميعها لعند بيته فحالاً رفعوا له البنديرة فوق باب البيت على راس السطوح وثاني يوم وضع فوق باب البيت نيشان المملكة (الآرما) مصور فيها تاج الملك وحصان وسبع وكان يوجد قدام باب بيته على مدة سبعة ثمانية أيام مثل فرجة الحاج (بكثرة) الناس فوق بعضها بعض هذا ما كان من مادة دخول القنصل.

إبراهيم باشا في القدس:

وأما ما كان من إبراهيم باشا المشار إليه فبعد اتمام الصلح مع السلطان بقي مدة دايرا في البلاد التي أخذها يستقيم في كل بلد كم يوم إلى أن وصل إلى القدس أول جمعة الالام ونزل في النبي داود وكان بتلك السنة زاير (زوار) كثير عمره ما حضر مثله حتى أنه حضر من ديرة العربية مقدار خمسة آلاف زاير ومن الاروام والأرمن خمسة عشر ألف وأمر إبراهيم باشا أن تفتح درفة الباب الثانية أي درفة باب القيامة لأن من عهد سيدنا عمر الخطاب لم انفتحت وأمر أن لا يكون غفار (خفر) في الدروب ولا ورقة في باب القيامة وأن الزاير لا يحط (شيئاً) لا كلي ولا جزئي فبهذا السبب اجتمع زوار كثير وصار أمان كلي في الدروب[٢].

---

(١) [لا يستغرب القارئ أبهة هذا الاستقبال لأول قنصل انكليزي عام دخل إلى دمشق بعد أن لبث في بيروت أربع سنين ممنوعاً عن الدخول إليها إذ كانت التقاليد القديمة في هذه المدينة لا تسمح أن يركب النصراني جواداً ولا سيما إذا كان غير ذمي أو افرنجي لكن سطوة إبراهيم باشا وكرامة دولة الإنكليز عنده بعد معاهدة كوتاهية وطول اناة رجال سياستها اقتضت دخول القنصل فارن Mr Farren إلى مدينة دمشق بهذه الأبهة الزائدة التي لا تزال نعهدها إلى اليوم في الإنكليز بالشرق].

(٢) [لسبب انتشار الأمن العام والحرية وزوال الخوف بالطرقات بعهد حكومة إبراهيم في الشام صار حج القدس ذلك العام ممتازاً بكثرة الزوار بنوع خارق العادة كما أن هذه الأسباب كانت مدعاة لقدوم تجار كثيرين إلى سوريا من رجال أوربا فإنه لم يكن سبيل للرجل أن يسير وحده إلى مدينة والقوافل التي كانت تسافر كان يدفع أفرادها رسماً لخفارة الطرقات لرجال الحكومة يقال له باج].

والإنسان إذا مشي وحده في الطريق لم أحد يعارضه حتى من الجملة كان ناس أروام زوار حاضرين من القدس إلى الناصرة ولأجل الزيارة مروا على ضيعة يقال لها أباطيا ففيها أولاد رجموا عليهم الحجار فكان إبراهيم باشا يومها موجود في الناصرة فاشتكوا له فحالاً أرسل كمش ثمانية أنفار من أباطيا ووضعوا الخشب في أيديهم وبعتوهم إلى عكا يشتغلوا بالورشة والغاية أن هذه الحرية لم صار مثلها من زمان الفتوح إلى الآن.

نكبة السبت:

وإنما يوم سبت النور دخلت جميع العالم إلى القيامة وصار حشرة (ازدحام) كلية في القيامة إلى الساعة بالثمانية حتى فاز (فاض) النور والخلق من كثرة الازدحام كادت تزهق أرواحها فبعد فيض النور أسرعوا بالخروج من القيامة فزحموا بعضهم من عند المغتسل إلى باب القيامة[1] وصارت الناس تقع فوق بعضها وكان يرى يومها الناس من عند المغتسل إلى باب القيامة عند الصفة البرانية فوق بعضها مثل التل العالي وكان يومها إبراهيم باشا بالقيامة في دوار الافرنج فلما درى بما صار نزل سريعاً فحملوه العسكر من فوق الزلم إلى براء باب القيامة ولو ما (طول) أجله خرجت روحه من الزحمة وضيق النفس فلما خرج إلى سطح (ساحة) القيامة جلس على الصفة البرانية وأمر العسكر ان يسحبوا الزلم من فوق بعضها ونبه على الناس أنها تجيب ماء فالذي يسحبوه ويكون فيه روح يرشوا عليه الماء يصح ويأخذوه إلى منزوله والذي يسحبوه إلى سطح القيامة يشبطوه وعلى هذا وقيس واستقاموا نحو ثلاثة ساعات حتى عاموا الزلم الواقعة وفضي (فرغ) الدرب وصارت الناس تطلع (من القيامة) أول بأول وانقلب ذلك الفرح بالكدر لأن الذي صار شي مهول لانهم زبطوا الذين ماتوا قدر مايتين زلمه منها روم أربعين والباقي أرمن واثنين من أولاد الشام أحدهم يقال له ابن الدكة والثاني ابن الاسطا

---

(١) [كانت العادة أن يكون مفتاح كنيسة القيامة بيد بعض رجال الإسلام من الأسر الشريفة فكانوا إذا فتحوا درفة من الباب للزاير تقاضوه مبلغاً من المال عن ذلك حتى إذا زار قفلوا درفة الباب ومن ثم أبطل إبراهيم باشا كل هذا كما يشير إليه النص].

لله الحمد لم راح غيرهم من أولاد الشام ومات من أهل حلب خمسة أنفار ومن بيروت والشويفات خمسة ومن أهالي الجبل (لبنان) ثلاثة أنفار ومن غيرهم من البلاد العربية ثمانية أنفار والباقي أولاد ترك. (يونان) الظاهر أن هذا شي من سماح الله ربنا يعوضهم الجنة وهذا جرى سنة ١٨٣٤ مسيحية فنرجع لما كنا في صدده.

المباشرة بأخذ العسكر:

ولما وصل إبراهيم باشا إلى القدس بعث جمع مشايخ جبل القدس وجبل الخليل فكانت هذه الجمعية خمسة أيام من (بعد) عيد الفصح وقال لهم بدي أليس نظام فماذا تقولوا إن كان تعطوا قولوا وإن كان ما تعطوا قولوا فكان جوابهم أن أولادهم ودمهم بين رجليك والذي بتقوله يصير وتراضى هو واياهم من كل اثني عشر زلمه يعطوه زلمه يلبسه (عسكر) نظام وكتب عليهم حجج ورؤوس مشايخ البلاد (جعل عليهم رأساً) يُقال له قاسم الأحمد والثاني يُقال له الشيخ حسين عبد الهادي والشيخان المذكوران بقيا عنده المشايخ توجهوا إلى البلاد ينبهوا في قضية النظام وإبراهيم باشا توجه يوم الأحد الجديد على يافا والشيخين المذكورين معه ولبَّس ابن قاسم الأحمد متسلماً في القدس(١).

بـــدء الثـــورة:

ولما حصل التنبيه في البلاد على مادة النظام تعصبوا جميعاً للمقاومة (واتفقوا) أنهم يضاربوا وما يعطوا نظام وقاسم الأحمد هرب من عند إبراهيم باشا وتوجه لعند أهالي البلاد وصار راس العصبة وأرسل جم غفير إلى القدس من الفلاحين وأحضروا له ابنه من القدس لعنده على حماية والعسكر الذي في القدس سكر

(١) [كلا الشيخيْن من كبار مشايخ جبل نابلس في ذلك العهد ورجال هذه البلاد كانوا في قتال مستمر وانقسام دائم بين بعضهم إلا أنهم كانوا يتحدون تمام الاتحاد لقتال كل من رام الدخول في بلادهم والاستيلاء عليهم فإن بلاد نابلس كانت تابعة لايالة الشام إلا أن الحكومة بالفعل كانت بيد الزعما وكبار المشايخ من بيت الجرار وطوقان وسواهم وهم أصحاب الأمر النافذ في بلادهم ورجالهم مشهورون ببسالتهم وطاعتهم لزعمائهم الطاعة التامة نظير طاعة الدروز لزعمائهم أو أكثر وأشد منهم بسالة].

وحاصر في القلعة والبلد وبعده تجمعوا الفلاحين مقدار عشرين ألفاً وحضروا إلى القدس وحيث هي محاصرة فدخلوا كم واحد من سياق بير وراء باب النبي داود وذبحوا العسكرية المغفرين (الخفر) الباب ليلاً وفتحوا الباب ودخلوا الفلاحين من الباب وصباحاً حصل الضرب بينهم وبين العسكر الموجود بالقدس ودخل العسكر إلى القلعة وصار يضرب على الفلاحين بالطوب والبندق والفلاحين نهبوا دكاكين البلد وثلاثة بيوت يهود والنصارى ما حصل عليهم شي حيث أنهم رفعوا أرزاقهم وحريمهم للديورة حتى وهم (احتموا فيها) وبقي هذا الحال سبعة أيام.

عــودة إبراهيم باشـــا:

فلما بلغ إبراهيم باشا الخبر بيافا وبلغه أيضاً أن أهالي الخليل ذبحوا أيضاً المايتين عسكري الموجودين عندهم انزعج من ذلك ثم جهز العساكر الموجودين صحبته (معه) وقدرهم خمسة آلاف وأربعماية نفر وفرقهم ثلاث فرق فرقة من الدرب الفوقاني وفرقة من الدرب الوسطاني وفرقة من الدرب التحتاني ومشي المشار إليه مع الفرقة الوسط فالعسكر الذي (مشي) من الدرب التحتاني هفي (فني) من ضرب الرصاص الحاصل من الفلاحين الرابطين في رؤوس الجبال ولما وصل إبراهيم باشا إلى قرية العنب التي بعدها عن القدس نحو ثلاث ساعات لاقت له جموع الفلاحين وصار الحرب فيما بينهم من الظهر إلى العشا وبات إبراهيم باشا وعساكره من غير أكل وخيلهم من غير عليق إلى الصباح وعند الصباح هجم عليهم هو وعساكره مثل الأسود فانكسروا الفلاحين وولوا الأدبار وهو مشي على القدس ودخل هو وعساكره ونزل هو في النبي داود والفلاحين الذين كانوا في القدس واستولوا عليها هربوا حينئذ جميعهم وصارت الذخاير تتقدم من طرف الديورة لأن القدس كانت مقحوطة والماكيل[١] إلى إبراهيم باشا ودايرته أيضاً تقدم من دير الروم.

(١) المأكل ــ الطعام.

أخذ العسكر النظام في الشام:

وأما مادة مسك النظام كانت مبدية بالشام قبل حركة جبل القدس ونابلس وهو أن شريف باشا استحضر مشايخ الحارات سراً وأفهمهم أنه ليلة الخميس تتوزع عساكر في الحارات ويكونوا صباحاً على الأبواب وكل ما طلع أحد من بيته يمسكوه ويوجهوه للقشلة لكي الذي يطلع موافق بمعرفة الحكماء يدخل إلى النظام وهكذا صار في ١٠ أيار سنة ١٨٣٤ وإنما صار يوم مهول من البكا والضجيج وناس هربوا إلى البراري والجبال وناس توجهوا إلى بلاد بعيدة مثل بغداد والعرب وغير محلات والذين انمسكوا وطلعوا صاغ نحو سبعماية نفر وبعض ناس مقتدرين (أغنياء) أو لهم ملك باعوه واشتروا (دفعوا) بدلات عن أولادهم بمال جزيل وبالجهد الجهيد حتى يعطوهم أولادهم بالبدلات المذكورة ولما بدت حركة جبل القدس وجبل نابلس وجبل الخليل المذكورة صار توقف عن مسك النظام بالشام عدا الذي مسكوهم (سابقاً) لأن الأخبار بالشام تواترت أن عسكر إبراهيم باشا هفيوا حيث الطريق كان مقطوع عن ورود الأخبار الصحيحة.

امتداد الحركة:

ثم إن إسلام صفد هجموا على اليهود وسبوا حريمهم ونهبوهم على الإطلاق (التمام) وقتلوا منهم كم زلمه والإسلام في الشام وغيرها صاروا يتوعدوا للنصارى والعساكر ويرتبطوا (يتفقوا) على مثل ذلك. وقد بلغ ذلك إلى شريف باشا الحكمدار وكان عنده نحو أربعة آلاف عسكري بالشام فعمل الجهد والحرص الكلي هو والعساكر وقتل بوقتها واحد من رؤوس أهل الفساد الذي سمع عنه أنه تكلم بحق الحكم (الحكومة) اسمه ابن سقا أميني من أهالي (حارة) العقيبة وصار الاحتراس ودوران الأطواف ليل ونهار في البلد فبسبب ذلك تهدوا أهالي الشام.

وكذلك قد تحركوا أهالي طرابلس على العساكر والنصارى فالعساكر كانوا نحو أربعماية زلمه هربوا إلى المينا وتحصنوا بها ووجوه النصارى هربوا إلى الجبل وبوقتها كان مصطفى آغا بربر معزول من متسلمية طرابلس فعمل حزب

وهدّى (منع) أهالي البلد كلما كانوا ضامرينه. وأهالي الكرك والسلط ذبحوا العساكر الذين عندهم.

الأمير بشير في صفد:

ثم توجه الأمير بشير من طرف إبراهيم باشا لقصاص أهالي صفد فنزل على صفد ومعه نحو خمسة آلاف (كذا) عسكري من الجبل فقرروا له يهود صفد أن الذي نهبوهم الإسلام لهم أربعة وتسعين خزنة (كذا)[١] مال عدا الذي لم يعرفوا فيه فصار الأمير بشير يجيب أهالي صفد ويخلص مال اليهود منهم ما عدا العذاب الذي عذبهم إياه فزبط (حجز) بيوتهم وأرزاقهم ومن الجملة راح منهم نحو مايتين زلمه قتل في عكا وفي غير مطرح.

العــودة إلى القتــال:

ومن خصوص إبراهيم باشا لما استقام في القدس فانجمعت عليه الثلاثة جبال جمعاً واحداً وصار مقدامهم رجل يقال له قاسم الأحمد وشيخ ثاني يسمى عيسى البرقاوي فمقدار الجموع الذين تجمعوا مقدار خمسة وستين ألف في نابلس واستقاموا أربعة أيام ويوم الخامس مشيوا على القدس حتى وصلوا لقريب جراح فطلع لهم إبراهيم باشا وصحبته ألفين عسكري وأربع مدافع واصطلى الحرب بينهم من طلوع الفجر إلى بعد الظهر فانتصر عليهم فانكسرت جموع الفلاحين ولو كان موجود معه عسكر خيالة يلحقونهم كانوا قطعوا خبرهم حتى من الجملة كان موجود معه مقدار عشرين خيال عرب هنادي فقطعوا ثمانماية رأس من النوابلسة[٢].

فرجعوا بعد أربعة خمسة أيام تجمعوا عليه وحضروا من ناحية بيت لحم إلى أن وصلوا إلى عند دير مار الياس فخرج لهم إبراهيم باشا وصار الحرب بينهم

---

(١) [لا يخلو هذا من المبالغة والمعروف حينئذ أن الخزنة عشرة أكياس والكيس خمسماية قطعة ذهب لكن لم يكن معروفاً حينئذ الذهب العثماني الدارج عندنا اليوم الي ضرب فيما بعد].

(٢) لا يخلو الوصف هنا من مبالغة ظاهرة.

وكسرهم ويومها قتل أمير لواء شديد الباس (كان) ينبسط إبراهيم باشا منه كثير.

وأيضاً بعد أربعة خمسة أيام تجمعوا واجوا عليه من ناحية عين سلوان فخرج لهم وحاربهم وكسرهم. الغاية كل كم يوم يحضروا للمحاربة حتى عجز إبراهيم باشا أولاً (لأن) ذخيرته خلصت والثاني عسكره ذهب (فقد منه) وراح يقع عليه الزيار.

المخابرة بالصـــلح:

فطلعوا لاحظوا المادة (رؤساء) الديورة فحضروا إلى إبراهيم باشا وقالوا له أفندم إن كان تريد سعادتك حتى ندخل بالصلح بينك وبينهم لأن ذخيرة ما بقي وعسكرك ذهب والفلاحين سادين الطرقات ومربطينها فارتضى بأن يمشوا بالصلح فالديورة والأفندية بعثوا مراسيل إلى المشايخ بالصلح فقالوا (المشايخ) بدنا الفردة ترتفع من بلادنا وطلب النظام يرتفع وعسكر لا ينوضع في بلادهم وغير المال المرتب القديم لا يكون.

فاعرضوا هذه الشروط على الباشا فارتضى معهم (لكن) أشرط عليهم أن يحط عسكر في قلعة القدس بسبب أنها تخص السلطان ويلزم لهم ذخيرة بالسنة ماية وخمسين غرارة قمح فرضيوا معه وأحضروا لعندهم قاسم الأحمد لبسه (قلده حكم البلاد) وطلع قاسم الأحمد لابس (حاكم) على البلاد وانفكت الطرقات وانفتحت الدروب.

حضور محمد علي باشا:

فثاني الأيام ركب إبراهيم باشا من القدس ومعه ستماية عسكري إلى يافا فوصل إلى يافا فوجد أبوه محمد علي باشا هناك فهذا مجيته إلى يافا لها سبب وهو أنه لما قامت البلاد وانزرك (تضايق) إبراهيم باشا في القدس فكتبت القناصل إلى محمد علي بأن البلاد قامت والعساكر ذهبت وإبراهيم باشا في أشد الضيق فحالاً محمد علي جهز ثلاثون ألف عسكري في البر والبحر ونزل في البحر وطلع إلى يافا فكانت مادة القدس خلصت.

أخلاف العهد:

وقاسم الأحمد لما لبس وطلع إلى البلاد اجتمعت المشايخ في نابلس و(مع) قاسم الأحمد وضربوا الشور في بعضهم وقالوا إن هذا لو ما كان عجز وبقي على حال التلف لم رضي في هذه الشروط فهذا الأوفق إننا نعاود نجتمع عليه ونهلكه ونكسب وجه الأبيض مع السلطان ومنفور (نفتخر) على جميع البلاد فكان سابقاً إبراهيم باشا بعث أناس يحضروا القمح الذي صار عليه الشرط إلى العساكر الذين في القلعة فقاموا طردوا الذين تحولوا بلم القمح وأرسلوا له خبر أنه ما عندهم إلا رصاص وبارود فهذا شي (كان) لنحسهم فلما وصل الخبر (لإبراهيم باشا) أن الفلاحين قلبوا عن الشرط فجهز العساكر الذين حضروا مع محمد علي إلى يافا وطلع لمحاربتهم فتجمعوا في ضيعة اسمها الدير قبال ضيعة زيتا فحضر إبراهيم باشا وحط على زيتا وثاني يوم صباح علق الحرب بينهم فانكسر الفلاحين وقتل منهم نحو سبعماية نفر ما عدا الذين انمسكوا يسرى (أسرى) وهرب قاسم الأحمد وباقي المشايخ والباقي تشتتوا وأمر إبراهيم باشا على القرية بالحريق ومشي بالعساكر على ضيع نابلوس فالقرية الذي ينظر أهلها راحلة يأمر عليها بالحريق والضيعة الذي أهاليها تحضر لعنده تطلب الأمان يعطيها الأمان حتى من الجملة حرق ستة قرايا كبار إلى أن وصل لقرية جباع فنصب عرضيه فيها وثاني يوم قام إلى نابلوس فطلعوا أهالي نابلوس لملاقاته والمحارم في رقابهم طالبة الأمان فأعطاها الأمان وحط عرضيه برات نابلس على الماء وصار يرسل يحضر المشايخ وأصحاب الحركة يقتلهم ومن الجملة قاسم الأحمد وعيسى البرقاوي هربوا إلى الخليل وكل هذه العصاة تجمعت في الخليل يبقى لهم كلام.

فنرجع إلى إبراهيم باشا (فإنه) أولاً طلب منهم الفرده وثانياً طلب السلاح وصار يجمع البارود وغيره إلى أن جمع سلاح البلاد جميعه حتى صار البارود (البواريد) مثل الحطب مكوم تلول وصار يكسره وراقت البلاد جميعها ومشيت الطرقات وصاروا مثل الغنم للذبح ما عدا جبل الخليل بقي عاصياً والمشايخ والأشقيا الذين توجهوا من بلاد نابلس كلها اجتمعت في الخليل.

عصاوة الخليل على إبراهيم:

فبعد ما خلصت مادة نابلوس توجه إبراهيم باشا إلى القدس ومن القدس توجه إلى الخليل ونصب عرضيه على البرك قاطع بيت لحم وأرسل أناس إلى أهالي الخليل يفيدوه هل هم طايعين أم عاصيين فكان جوابهم أنهم ليس هم طايعين وما عندهم إلا رصاص وبارود فأعاد عليهم السؤال ثانياً وثالثاً فبقيوا على زعمهم فثاني يوم توجه عليهم بعساكره المظفرة لأنهم كانوا مجمعين بعيد عن الخليل ساعتين فعلق الضرب بينهم نحو ثلاث ساعات فانكسرت جموع الخليل وارتدت على الخليل فلحقوهم العساكر إلى الخليل وصار الحرب بينهم فهجمت العساكر هجوم الأسود الكواسر على الخليل وأعطاهم يغما (إباحة) فصار النهب والسبي والذبح نهار كامل إلى أنهم نهبوا كامل أرزاق الخليل وكان شي لا يحصى والذي قتل من أهالي الخليل نحو ستماية نفر وانكمش ستماية نفر يسرى فأرسلوا شي إلى عكا وشي إلى مصر وانمسك ماية وعشرون ولد من ابن ثمانية سنوات إلى ابن اثني عشر سنة فدخلوهم إلى النظام ولم بقى في الخليل[1] غير العاجز والاختيار. فلما صارت الموقعة هربوا مشايخ نابلوس الذين كانوا بالخليل وهم قاسم الأحمد وعيسى البرقاوي وباقي المشايخ إلى السلط والكرك.

الانتقام من أهأل الكرك:

فلما خلص إبراهيم باشا من الخليل توجه على الكرك ونصب عرضيه عليها فخرجت النصارى ووضعوا المحارم في رقابهم إلى عند الوزير وقالوا له نحن نصارى دم (ذميمين) ولا لنا ذنب في الذي صار بوقت ذبح العساكر (بالكرك) وغيره فأعطاهم مهلة ثلاث ساعات ينقلوا أرزاقهم ويخرجوا من البلد فنقلوا الذي قدروا على نقله فبعد ما طلعوا أعطى العسكر يغما عليها فدخلت العساكر والذين وجدوه قتلوه ونهبوا جميع الذي كان باقي وأمر (إبراهيم باشا) العسكر أنهم

---

(١) [هي مدينة حبرون القديمة ويقال لها الخليل نسبة إلى إبراهيم الخليل أبي الآباء ومع كونها مدينة إبـــراهيم لم يشفع بها هذا لدى إبراهيم الباشا الذي أنزل هذا البلاء في أهلها لعصاوتهم وجعلهم عبرة].

يهدوا الكرك ويعملوها أرض سمهدانة ففعلوا حسب الأمر وأعطى النصارى الذين خرجوا من الكرك قريتين في حوران لأجل سكنهم وتوجه من الكرك إلى السلط كمل على خراب قلعة السلط وبيوت السلط عملها فلاحة (بعد خرابها).

قصاص أصحاب الحركة:

فسأل عن مشايخ نابلوس فأخبروه أنهم هربوا إلى العرب فحرر أوامر إلى جميع العربان بأن في أي عشيرة نزلوا مشايخ نابلوس (يجب) تمسكهم تلك العشيرة وتحضرهم.

وتوجه استقام في المزيريب وحرر أوامر إلى جميع البلاد الذين أظهروا العصاوة وتحركوا بوقت الحركة يقع عليهم القصاص ومن الجملة حرر أمر إلى طرابلس فقتلوا حكامها ثلاثة عشر زلمة من أعيانها وبقيوا مرميين في شوارع طرابلس ثلاثة أيام ومن أهل عكار وصافيتا وغير محلات جملة شي قتلوهم وشي أرسلوهم إلى عكا وشي إلى مصر. الغاية جميع البلاد تقاصصوا واضمحلوا أكثر من الأول.

قتل مشايخ نابلس:

فنرجع إلى مشايخ نابلوس فلما توجهت الأوامر إلى مشايخ العربان بطلبهم كانوا نازلين نحوماية وعشرين زلمة عند ابن دوخي شيخ عرب عنزه فلما وصلوا إلى عنده كتفهم جميعهم والا الخيل واردة في طلبهم فسلمهم إلى الخيالة وتوجه معهم سلمهم إلى إبراهيم باشا فبعث إبراهيم باشا قاسم الأحمد وعيسى البرقاوي إلى الشام فقطعوا رؤوسهم بالشام أحدهم رموه في باب السرايا والثاني رموه في سوق الخيل وباقي المشايخ أرسلوهم إلى عكا فقطعوا رؤوسهم هناك.

في دمشق:

واستقام (إبراهيم باشا) مدة كم يوم في المزيريب وتوجه إلى الشام ودخل يوم السبت في ٨ جمادى أول سنة ١٢٥٠ في عسكر جرار شي ما شاء الله نحو

خمسة وعشرين ألف عسكري كل الاي بالاليه وكل بلك ببلكه وصار يومها فرجة عظيمة ودخل على الميدان. على باب السرايا. على السروجية. على مز القصب. على القابون فانتصب الأوردي في سهلة القابون وانتصب صيوان سعادته هناك.

العودة إلى جمع السلاح:

وكان سابقاً قبل ما حضر وزير إلى الشام بكم يوم طلب شريف بك الحكمدار من الشام السلاح أولاً طلب البارود (البواريد) من جميع الحارات فجمعه وصار تعصيد (تشديد) كلي فبعد أن جمعه عسره وباعه إلى الحدادين وبعد لم البارود بكم يوم طلب لم السيوف فوردوهم وصار تواصي في الكنايس والديورة قاطعة فصار الذي عنده بارودة يحضرها إلى دار البطركية وتتورد إلى الحكم (الحكومة) وبعد ما انجمع السلاح من البلد أمر الحكمدار على جميع الحارات أنهم يحرروا حجج (سندات) على أنفسهم كل حارة بحارتها إن كل من انوجد عنده سلاح من الآن إلى بعد سنين يكون قصاصه القتل فحرروا حجج على أنفسهم بذلك.

فلما حضر إبراهيم باشا واستقام في القابون فتعد يومين نزل إلى الشام وعمل ديوان وسأل على مادة البارود فوجد أنه التم من كامل البلد نحو أربعة آلاف وخمسماية بارودة فتخلق (غضب) من هذا الحال وأمر أنه لازم يوردوا بارود قدر زلم الفردة فصار تقريط (تشديد) كلي فالذي ما عنده بارودة يلتزم يشتري بأغلى ثمن ويقدمها والذين عليهم العين يطلبوا منهم خمسة بواريد إلى حد العشرة حتى التم جميع البارود في الشام.

جمع السلاح عام:

وحرر أوامر إلى جميع البلاد بجمع السلاح مع جميع القرايا فانجمع سلاحها وأيضاً أرسل أمر إلى جبل الدروز (لبنان) في جمع السلاح فالتم جميعه من النصارى والدروز ما عدا دروز جبل حوران أبقي لهم سلاحهم لأجل يحاموا عن أنفسهم من العرب.

فبعدها ترتبت الأحكام وصار أمنية الطرقات وتفرقت العساكر إلى جميع البلاد وتوجه إبراهيم باشا من الشام إلى مصر ودخل في موكب عظيم وصارت زينة في مصر لأجل حضوره ثلاثة أيام بلياليها وراقت الأحوال إلى دخول سنة ١٢٥٣ هجرية (الموافقة لسنة ١٨٣٧ مسيحية).

العودة إلى جمع العسكر:

فبدأ أولاً عطل الأسباب (التجارة) على جميع الصنايع وبعده حضر إبراهيم باشا إلى عكا وحرر أوامر إلى شريف باشا وحكام البلاد جميعها ومشايخ بلاد نابلوس وأمراء اللواء والضباط جميعها ولبحري بك بالحضور لطرفه فبحضورهم اجتمع معهم ساعتين وأمرهم أن مراده ينمسك من كامل حكمه نظام من العشرة واحد وقام نزل إلى البحر[١] والمذكورين كل منهم حضر إلى منصبه ووظيفته وبدا لم النظام من جميع البلاد وقبل وصول شريف باشا للشام حرر إلى حافظ بك متسلم الشام أنه قبل وصوله للشام يبادر بمسك النظام من العشرة واحد فصادف مسك النظام قبل حضور شريف باشا بيوم فصار في الشام شي مهول ومسكوا جملة من النصارى واليهود[٢] مع الإسلام لسبب أن اليهود كانوا يلبسوا الإسلام لفاتهم ويبرطلوا العسكر حتى ما ينمسك الذي يكون اليهود لبسه لفته فبلغ ذلك للحكم (رجال الحكومة) فنزل يوزباشي سود اللون لعين المنظر صار ينبه على العسكر أنهم يمسكوا إسلام ونصارى ويهود وصاروا العسكر يدخلوا على البيوت وايمن وجدوه وكان شب يمسكوه ويومها النصارى قضوا نهار مثل الزفت واستقام ذلك من ضحوة نهار لبعد العصر حتى أولاد النصارى واليهود صاروا يحضروا إلى

(١) [بعد انقضاء الأجل المعين في معاهد كوتاهية لبقاء الحكومة المصرية في سوريا أخذ رجال الدولة بإيعاز من الإنكليز يتأهبون لأخذ هذه البلاد وإعادتها إليهم وحشد الجيوش لمحاربة إبراهيم باشا فاستعدادات الأتراك اضطرت حينئذ إبراهيم باشا أن يسافر بحراً لتحصين الحدود الشمالية وقد جعل أكثر إقامته في مدينة إنطاكية].

(٢) [إن أوامر محمد علي باشا بأخذ العسكر لم تكن تشمل النصارى واليهود لأنهم كانوا يدفعوا مع مال الفردة مال الجزية عن أعناقهم بخلاف النصارى في لبنان فإنهم كانوا يؤخذون للخدمة العسكرية نظير الدروز].

عند أهاليهم (بيوتهم) وقضوا رعبات (شديدة) هم وأهاليهم واليوزباشي الذي نزل نبه على العسكر بمسك النصارى واليهود أخذوا سيفه ونيشانه وضربوه زخمات ونزلوه إلى (رتبة) النفر بحضور السنيور بودين وكيل دولة فرنسا بالشام[١].

وفي أثناء ذلك تزايد وقوف الحال والصناعية هربت وصار المسك من قرايا الشام وأغلب الناس فروا على الجبال وتركوا أرزاقهم داشرة في البرية وإذا انمسك ولد من أولاد الأغنياء يقدموا بدله واحد من الفلاتية (الفالتين) حتى وصل البدل إلى العشرة آلاف.

فصل

حرب إبراهيم باشا للدروز

الدعوة لأخذ العسكر:

ومن الجملة حرر (إبراهيم باشا) أمر إلى الدروز الذين في جبل حوران بطلب (عسكر) نظام لأنه في السابق ما انطلب منهم (عسكر) نظام فنزل شيخ الدروز الشيخ يحيى الحمدان وتواقع على شريف باشا (راجياً) أن يرفع عنهم لم النظام فما أمكن إلا أن يقدموا ماية وسبعون زلمة وتعهد أنه يمشي مائتين فدان[٢] زيادة إذا ارتفع عنه النظام فما صار فائدة فطلع يحيى المذكور وجمع المشايخ (فكان) فموجود رجل شيخ (عقل) ربة ديانتهم يسمى الشيخ حسين أبو إبراهيم رجل سحار فقال لهم إن هذا الحكم (الحكومة) قرب انتهاه فإذا رحلتم إلى اللجاه لحينما ينتهي هذا الحكم أوفق لأن بقت المدة قصيرة وبسبب اعتقادهم عليه سمعوا من شوره ونهضوا بالسرعة ودخلوا إلى اللجاه من غرة رمضان (سنة ١٢٥١) بأرزاقهم وعيالهم واتفقوا مع عربان السلوط القاطنين في اللجاه

(١) قنصل فرنسا في دمشق في ذاك العصر.

(٢) [أي تعهد يحيى الحمدان أن يقدم لإبراهيم باشا حاصل فلاحة مايتين فدان في أرض حوران بدل ما يطلبه من الدروز من النظام].

فصار جملتهم مقدار ألفين نفر فلما شاع هذا الخبر كل من كان هارب من وقت مسك النظام وكل شقي حضروا إلى عندهم حتى صاروا جمهور كبير.

أول مناوشة:

و(كان) موجود قرايا إلى بحري بك وشريف باشا في حوران وموجود فيهم غلال فتوجهوا نهبوهم وقتلوا الوكلاء فلما بلغ ذلك شريف باشا فأرسل هواري باشي (رئيس عسكر الهوارة) علي آغا البصيلي بثلثماية خيال واجتمع بمتسلم حوران في ضيعة قريبة من اللجاه مقدار ساعتين وأرسلوا لهم مرسال يتهددهم (بالعقاب) عن ما فعلوه من نهب الضيع فجاوبوهم أنهم طايعين ويرجعوا كلما أخذوه وأن يترجى لهم الوزير برفع النظام فجاوبهم أنه يمشي بالصلح ويعمل لهم شي يريحهم وعرف (البصيلي) شريف باشا في الليل عن ذلك بزعمه أنهم متى طلعوا (عادوا) إلى قراياهم يبقى يفعل مراده فيهم (لكن) طلعوا أمكر منه ففي تلك الليلة حضر جملة دروز إلى الضيعة طلوع الفجر وكبسوه فلما استفاق العسكر نظر صاير الذبح به فنهض البصيلي وركب حصانه بالزلط وهرب والمتسلم وقع بيدهم فذبحوه وباقي العسكر قتلوه ولم سلم غير ثلاثون نفراً لحقوا آغاتهم وحضروا أخبروا الحكمدار (شريف باشا) بما حصل وأنهم من بعد قتلهم العساكر نهبوا القرية وتوجّهوا إلى اللجاه.

موقعة بصر الحرير:

فلما بلغ الحكمدار ذلك جهز الابين قرابة نظام (شبه نظام) وجباخانة قوية وتوجه صاري عسكر عليهم محمد باشا مفتش الهادية وطلعوا من الشام نهار عيد رمضان فلما وصل إلى حوران كان الدروز في قرية اسمها بُصر (الحرير) ومحاصرين فيها وعاملين متاريس فاجاهم محمد باشا بالعسكر وضرب عليهم كم مدفع فخرب الضيعة وشي قتل من الدروز وشي هرب.

أول موقعة في اللجاء انهزام:

فلحقهم نحو أربع ساعات حتى صار باللجاه فتعب العسكر من الجري خلفهم ومراده يدخله خلفهم وكان في العسكر أورطة نحو ثمانماية زلمه دروز فخاوزت (فخانوا) فصار الضرب بينهم وبين العسكر وكان الدروز الذين في اللجاه عاملين كماين وراء الصخور فاشتغل الضرب منهم (حينئذ) وقتل محمد باشا وأيوب بك مير اللواء وأربعة عشر ضابط والأورطة التي خاوزت دخلت اللجاه وباقي العسكر شي قتل وشي رجع إلى خلف وصارت كسرة مهولة.

موقعة كبيرة بانهزام:

فلما بلغ الحكمدار ما جرى فحالاً ركب بنفسه وتوجه إلى عند العساكر الباقية هناك فلما وصل لمّ العساكر ولبس ضباط جدد ووضع العرضي في (قرية) تبنة قريبة للجاه وصار يكاتب إلى (الضباط) العساكر الذي في البلاد فصاروا يورّدوا عليه إلى أن صار عنده عشرين ألف واعرض عن ذلك إلى والي مصر محمد علي باشا فأرسل له وزير اسمه أحمد باشا فحضر من مصر إلى الشام بسبعة أيام وتوجه إلى العرضي واستقام كم يوم في الأوردي. وجهزوا حالهم إلى الدخول على اللجاه فنبهوا على العساكر ليلة السبت أنه يوم السبت الصبح يتوجهوا على اللجاه.

فثاني يوم شريف باشا وأحمد باشا دخلوا بالعساكر على اللجاه وبقيوا ماشين من الصبح إلى قبل العصر فلم نظروا أحدا فباتوا باللجاه وثاني يوم مشوا إلى الساعة الثالثة بالنهار وكانت الدروز عاملة كماين وراء الصخور فلما أقبلت العساكر عليهم اشتغل ضرب الرصاص وعلق الحرب بينهم فصارت العساكر تقوص على الحجار والدروز يقوصوا على لحم وتهجم عليهم العساكر والدروز تنتقل من كمين إلى آخر والعساكر تتساقط إلى أن أحمد باشا تقوص في ثلاثة مواضع وشريف باشا تقنطر ولولا البصيلي ما كان سلم وانكرت العساكر راجعة والدروز في أثرهم وتقتل منهم إلى أن وصلوا إلى تبنة وكسبوا الدروز الذخاير والجباخانة والمال. والعساكر تشتتوا وبقيوا ينجروا إلى الأوردي مقدار يومين فزبطوا (ضبطوا عدد)

الذي راح في هذه الموقعة من العساكر (فكان) نحو أربعة آلاف عسكري ما بين مقتول ومأسور ومن الدروز نحو ثلاثماية نفس.

صدى الانكسار:

فثاني يوم وصل الخبر إلى الشام فتظاهروا الإسلام (ثاروا) وصاروا يعملوا روابط (اتفاقات) على النصارى والنظام الذي باقي في الشام وقصدهم يقتلوهم وينهبوا النصارى والنصارى تمسي وتصبح في الخوف في هذه الجمعه.

مراسلات:

فبعده حضر مكاتبة من الدروز وأرسلوها إلى شيخ ضيعة الهجانة وعرّفوه أن يعطي مكتوب إلى المفتي ومكتوب إلى شمدين آغا[1] ومكتوب إلى البوظلي في الميدان فنزل شيخ الهجانة أعطى المكاتيب (لأصحابها) فالمفتي لما قرأ التحرير حالاً حرقه وشمدين آغا لما فتح المكتوب وقراه وجد مكتوب فيه. إنه بلغك ما جرى في العسكر وذبحه فالمراد أن تعطونا يدكم لأنه مرادنا ننزل على الأوردي نكبسه ونكمل على الباقي ونتوجه إلى الشام نكمل على (قتل) العسكر الذي في الشام ونخلص من مونة هذه الدولة نحن وأنتم ونكسب وجه الأبيض نحن وأنتم عند السلطان فانهضوا همتكم.

فلما قرأ (شمدين آغا) المكتوب حالاً أخذه وأخذ شيخ الهجانة ونزل إلى عند حافظ بك متسلم الشام وأعطاه المكتوب فلما نظر حافظ بك الحال أرسل وراء المفتي وسأله عن المكتوب الذي حضر له (كما قرر شيخ الهجانة) فقال له بحال إن وصلني حرقته فحالاً أرسل أوضباشي ومعه أنفار لأجل يحضروا البوظلي فتوجهوا لعند المذكور فلما نظرهم حس (أدرك) على المادة فداور الأوضباشي لأنه كان ميداني من أهل حارته استحى منه وقال له حتى تركب وتنزل على الزفتية فركب

(١) [شمدين آغا كان حينئذ عين أعيان أكراد الشام وهو جد عبد الرحمن بك اليوسف لأمه].

البوظلي ومعه الأوضباشي فلما وصلوا إلى برات البلد فضرب حصانه بالركب وغار مثل البرق وهرب إلى اللجا لعند الدروز.

العــاقبة:

فلما رجع الاوضباشي لعند المتسلم وأخبره بهروبه فحالاً قطع رأسه قدام باب السرايا وقطع راس شيخ الهجاني ورس واحد ميداني من المجرمين فلما قطعوا رأس الثلاثة وشافوا (هذا) أهل البلد حالاً رجعوا عن غيهم وبعد ثلاثة أربعة أيام قطعوا راس واحد من باب توما اسمه إبراهيم الحارس وعزلوا التفكجي باشي الذي كان واقف لأنه ميداني وجماعته ميادنة ولبسوا واحد كركتلي كان تفكجي باشي في مدة العثملي وخدّم عنده جماعته كراكتة وغربية (كذلك) فكل ما لهم أهل البلد مانوا بالزايد (زاد خوفهم) وصار الحكم كل يوم يومين يقطعوا راسين ثلاثة دروز يكمشوهم قطاع طريق أو عرب على هذا وقيس فراقت الشام ولكن الأدرب مقطوعة ودروز اللجاه كل يومين ثلاثة يطلعوا وينهبوا من ضيع حوران حتى نهبوا جميع الضيع التي في حوران وحتى إذا كان متوجهة ذخيرة للأوردي ينهبوها ويصلوا إلى قرايا المرج شي يبلصوها وشي ينهبوها حتى قطعوا جميع الوارد إلى الشام.

الغـــلا:

فعلق الغلا في الشام لأنهم من أول البيدر كان سعر كيلة القمح (٧) وشي واجد فلما صارت هذه المادة بدا القمح يرتفع حتى صار سعرها ٣٥ (غرشا) وذلك في صوم الكبير والأسباب لكسب المعاش واقفة لأن هذا الغلا عمره ما حصل وكل ذلك من حركة الدروز وكل ما لها العساكر تورد وتطلع للأوردي وسخر (الدواب) الدروب عمالة حتى ما عادت حضرت دابة للشام من زيادة السخر.

دروز لبنـــان:

وأيضاً دروز الأقليم (البلان) وحاصبيا وراشيا حضر تحارير من دروز اللجاه أنهم يتوجهوا يعصوا عندهم فجيشوا وتجمهروا نحو سبعماية نفس وصاروا

يشلحوا ويقطعوا الدروب فوصلوا إلى عند سعسع ولأجل الصدفة يومها حاضر جباخانة من عكا وصحبتها ثلاثين أربعين عسكري فنهبوا الجباخانة وقتلوا العسكر الذي صحبتها ومن الجملة صادفوا مقدار عشر مقادسة(١) ديار بكرية(٢) في طريقهم فقتلوهم ونهبوهم.

في وادي التيم:

فلما وصل الخبر إلى الشام تجهز أربعة آلاف عسكري وصاري عسكر عليهم الأمير سعد الدين الشهابي أمير حاصبيا وكان (محمود) ابن الأمير خليل نازل من الجبل (لبنان) لأجل المحافظة واتفق مع العسكر وصار يلحقوهم في الجبال وفي قرايا الإقليم (البلان) العاصية ويحاربوهم(٣) حتى قتلوا منهم نحو أربعماية زلمه والباقي هربوا إلى اللجاه فتوجه الأمير سعد الدين إلى حاصبيا ومسك أربعة وعشرين زلمه مشايخ الدروز وقاضي الدروز معهم وخشبهم وأرسلهم إلى الشام فوصلوا رابع عيد الفصح وصار عليهم فرجة عظيمة وحضرت العساكر إلى الشام الذين كانوا طلعوا إلى الدروز الذين أخذوا الجباخانة في سعسع وانقضت مادتهم.

نجدة كبيرة:

وكلما لها مادة اللجاه تعقدت والعساكر تطلع إلى الأوردي ومن الجملة حضر مصطفى باشا وزير كريد وصحبته نحو سبعة آلاف (عسكر) أرناؤوط فوصل إلى الشام نهار خميس الكبير ويومها حضر إبراهيم باشا من ناحية شمال ويوم سبت النور توجه إلى الأوردي.

ومن يم (جهة) الارناؤوط منهم نحو أربعماية نفر نصارى فحضروا عيد الفصح بالشام وعملوا شنك كثير يومين العيد في الكنيسة وتوجه مصطفى باشا

---

(١) [مقادسة جمع مقدسي ويراد به عند النصارى من يزور بيت المقدس أو القدس الشريف].

(٢) من ديار بكر.

(٣) [الأمير محمود خليل حفيد الأمير بشير الكبير كان يحارب الدروز في وادي التيم مع العسكر المصري لا ضده].

والارناؤوط يوم اثنين القيامة ومن الجملة النصارى الذين معه توجهوا من السرايا وحدهم وفاردين بيرقهم وفي رأسه صليب ومن السرايا إلى بوابة الله ماشين ويقولوا (يرتلوا) خرستوس انستي في العالي (المسيح قام) حتى المسلمين يومها كادوا يفقعوا.

إبراهيم باشا في اللجا:

ومن خصوص إبراهيم باشا وصل إلى الأوردي وثاني يوم ركب وأخذ معه كم زلمه وتوجه إلى أطراف اللجاه وتمايز ودار نحو ساعتين ثلاثة ورجع إلى العرضي وثاني يوم قسم العرضي أربعة فرق كل فرقة وضعها في جهة لأن العرضي حاوي أربعين ألف عسكري فجعل على كل فرقة مقدام (قائد) وزير من الوزراء فاستخبر إبراهيم باشا عن الماء الذي في اللجاه فأخبره أنه ما في ماء غير عين ماء مليحة في اللجاه (بعيدة) مقدار ثلاث ساعات والدروز يحضروا من مسافة ثلاث ساعات يملوا منها.

بـــراق:

فحضر إبراهيم باشا واستقام على ضيعة اسمها براق قبالة مدخل اللجاه الذي على درب الماء وصحبته الأرناؤوط والاي نظام فلما بلغ الدروز أنه حط على هذه القرية فهموا أن مرامه يمسك الماء ومتى ملك الماء يحصل لهم ضيقة لأنه في وسط اللجاه موجود ماء جمع متى حضر الصيف تنشف فمرامهم يقيموه من هذا المحل فتجمعوا وحضروا عليه نهار الخميس جمعة الفصح قبل الفجر وهجموا على الأوردي وصار الضرب بينهم وكانت الارناؤوط تعبَّت خلف الصخور وصار ضرب الرصاص والحرب من قبل الفجر إلى بعد الظهر فقتل يومها من الدروز نحو تلثماية زلمه ومن العساكر نحو ألفين وبعد الحرب انكسرت الدروز وولوا هاربين وللنجاة طالبين فلحقوهم الارناؤوط مقدار ساعتين ومسكوا متاريس وصار مراد إبراهيم باشا

---

(١) [كان في جند إبراهيم باشا دائماً كثيرون من النصارى من الفرنساويين وغيرهم وكذلك هؤلاء الارناؤوط من أهل وطنه السابق ألبانيا].

يرجعهم فما قبلوا يرجعوا فلما نظر الارناؤوط ما رجعوا فتقدم الأوردي إلى عندهم وحط داخل اللجاه وصارت الذخائر والماء ترد عليه من خارج اللجاه.

قتـــال الليـــل:

فلما فهم الدروز أنه دخل إلى اللجاه وصار قريب إلى الماء فتجمعوا وحضروا الأوردي بالليل مرادهم أنهم يدهموه ويكسروه فالأوردي كان متيقظ فصار (حينئذ) الحرب من الأوردي ومن الدروز (بشدة) حتى الأخ ما عاد يعرف أخوه من نصف الليل إلى أن طلعت الشمس فربنا نصره عليهم فانكسروا الدروز والعساكر في أثرهم إلى أن وصلوا وملكوا (عين) الماء التي كانوا الدروز يستقوا منها ونصب عرضيه الباشا على الماء وأخبروا أن هذه الموقعة أكبر من كل المواقع التي حصلت لأنه قتل من الفريقين شي كثير والغالب (الأكثر) من العسكر كان يخب في الدم والقتلى إلى الركبه.

حالـــة الشام:

وأهالي الشام في هذه السيرة يتذاكروا وتبات الناس وتصبح في هذا الهم أولاً من الغلا الحاصل وثانياً من العداوة الحاصلة فيما بين الإسلام والنصارى وتوعدهم بالردي لهم والسبب[١] واقف وكل يوم أتعس من يوم وكل جمعة أتعس من جمعة.

سعر العملة:

حتى من الجملة نحس الوقت صار تنبيه على المعاملة[٢] نهار رابع الفصح لأنه كان الغازي الجديد[٣] (ذهب) في ٢٠ نبهوا عليه في ١٧,٥٠ والقمري الكبير (كان) في ٤,٥ صار في (٢) وربع فندقلي (كان) في ٩ صار في ٨,٢٥

---

(١) المعيشه.
(٢) تخفيض في قيمة النقد.
(٣) النقد المتداول.

واسكان[١] (كان) في ٢٦,٢٥ صار في ٢٥,٥٠ ونصف، جهادي كان في ٢٦,٢٥ صار في ٢٥,٥٠، وجهادي قديم كان في ٦٥ صار في ٦٠، وغازي قديم كان في ٢١,٥٠ صار في ٢٠، وربعية ظريفة كانت في ٣ صارت في ٢,٢٥. فلما حصل هذا التنبيه كان الحال واقف عشرة قراريط صار واقف أربعة وعشرين قيراط.

الذخيـــرة:

فلما صار العرضي عند الماء وسط اللجاه حرر أوامر إلى أهالي حوران أنهم يقدموا خبز على الفدان ثلاث أرطال والخبز (مع هذا) وارد من الشام مع البقسماط كل يوم والذخائر واردة من الشام للأوردي من رز وغيره وكل هذه الثقلة حاملتها الشام.

محاولـــة:

فلما نظروا الدروز أنه ملك الماء فأرسلوا أربعة مشايخ يتواقعوا على الوزير بإعطاء الأمان فجاوبهم أنهم يوردوا السلاح جميعه والمال الذي نهبوه من (قرى) حوران والنظام المطلوب منهم أصلاً فارتضوا بذلك (ظاهراً) قصدهم أعطا الأمان (لهم) فقال لهم حتى توردوا المطاليب وتطلعوا إلى الأوردي (العسكر) وأخذ النظام المطلوب (منكم) أبقى أعطيكم الأمان فقالوا له أرسل مرسال حتى نجمع له السلاح فأمر علي آغا البوصيلي أن يدخل يحضر السلاح فدخل البوصيلي وصحبته عشرة أنفار فحالاً وصل الخبر للشام عن ذلك فلما بلغ الناس فرحوا فرحاً عظيماً خصوصاً النصارى لظنهم أنها خلصت المادة فثاني يوم انبدل الخبر بضده بأنه دخل البوصيلي لعندهم فأحضروا له السلاح الذي كانوا ناهبينه من العسكر فلما نظر البوصيلي سلاح العسكر وسلاحهم ما وردوه فقال لهم إنه صاير الكلام إنكم توردوا سلاحكم. فقالوا نحن سلاحنا ما نسلمه وإن كان مراده سلاحنا ليرفع العساكر عنا ويرجعها إلى الشام ويعطينا أمان ونرجع إلى قرايانا بوقتها نسلمه

---

(١) [الفندقلي والاسكان Sequin من عملة البندقية والباقي من أصناف العملة المذكورة التـــي كانـــت رايجـــة حينئذ من السكة العثمانية].

سلاحا ونلم له النظام. فتكلم معهم البصيلي فما حصل فايدة ورجع أخبر الوزير عنما جاوبوه.

تجديد القتال:

فلما سمع هذا استمال إلى الغضب بزيادة وتجدد (العزم على) الحرب من أول وأرسل أحضر من الشام جباخانة وكل يوم تصطلي نار الحرب بينهم وبينه وأيضاً قسم العساكر أربعة فرق ووضعهم داير اللجاه فأول فرقة شريف باشا صاري عسكرها والثانية سليمان باشا الفرنساوي والثالثة مصطفى باشا باشة كريد[١] وصحبته الارناؤوط والرابعة إبراهيم باشا وكل يومين ثلاثة يركب إبراهيم باشا ويأخذ معه جملة عساكر ويمشي دليل قدامه من أهالي البلاد اسمه عيسى المخول يدله على برك المياه الذي دائر (بأطراف) اللجاه والذي وسط اللجاه وبحال وصوله إلى الماء يلتقي الدروز حاطة على الماء فيصير الحرب بينه وبينهم حتى يقيمهم من عند الماء ويأمر العساكر بردم البركة وفي ظرف ثلاثة أربعة ساعات يطمروها حتى تصير أرضاً يابسة ويتوجه إلى غيرها يحاربهم ويطمرها فعمل شغلته طمر البرك.

غزوة على العرب:

وأيضاً أخبروه أنه في (يوجد) عربان خارج اللجاه وادعين الدروز عندهم كل الطرش الذي نهبوه من حوران وغيره ومرسلين إلى عندهم عشرة حريم عواجز من الدروز لأجل يجبنوا من الطرش ويعملوا لهم لبن ويرسلوه إلى الدروز وأنه محل الحرب (وقت الحرب) يدخلوا (العربان) يحاربوا مع الدروز فوجه عليهم جملة عساكر نهبوهم ونهبوا بنات وأولاد الذين وقعوا فيه قتلوه وبالغوا (بالغ الناس بالكلام) عن الذي نهبوه منهم مقدار ثمانين ألف ماشية وصاروا يبيعوه في الشام وبرها في البلاش (بالثمن الزهيد).

شبلي العريان:

وبعده في أواخر شهر ربيع الأول خرج من اللجاه رجل شرير فارس من الأبطال

---

(١) أي كريت وكانت تابعة لمحمد علي باشا.

المشهورة اسمه الشيخ شبلي العريان فهذا من دروز راشيا وهو الذي كان سبب الفتنة دروز راشيا وحاصبيا وال إقلي وبوقت أن صارت الطوشة مع الدروز (القتال) في سعسع هرب ودخل إلى اللجاه فلما نظروا الدروز الذين في اللجاه بأنهم مغلوبين وإبراهيم باشا لم كان يحل عنهم وتضايقوا من (قلة) الماء فعملوا رابطة (اتفاق) بأن هذا الشيخ شبلي يتوجه من عندهم ويهيج دروز راشيا وحاصبيا والإقليم (البلاد) ودروز جبل الشوف فتوجه المذكور ومعه نحو مايتين زلمه فبوصوله إلى راشيا كان محل (وقت) الفجر فدخل على السرايا وقتل المتسلم بفراشه وقتل واحد نصراني من أتباع المتسلم والمتسلم شامي اسمه ابن الجعفري ونهب بيت نقولا ضاهر ونزل على القرايا يقبب (يهيج) الدروز فقامت معه دروز حاصبيا وراشيا والاقليم وصارت عزوته نحو أربعة آلاف درزي.

امتـــداد الثـــورة:

فلما سمع إبراهيم باشا بالأول أن معه مابة زلمه ظن أن باقي الناس طايعين وبلغه أنه قتل المتسلم فأرسل عليهم عسكر نحو ألف زلمه وأرسل خلف العسكر مابة عسكري طوبجي ومعهم كم مدفع فلما وصل العسكر توجه معهم أخو الأمير سعد الدين فتحاربوا مع الدروز فانكسر العسكر وقتل أخو الأمير سعد الدين (محمد)[1] ولحقوا العساكر إلى أن وصلوهم إلى راشيا فدخل العسكر وحاصر في السرايا والدروز ضربوا ياطوق[2] حوالي السرايا فوصلوا الطوبجية فلما نظر هؤلاء ما هو (واقع) تعلوا (مرتفعين) إلى الوعر وحاصروا بالمدافع.

الحـــرب خدعـــة:

فما قدروا الدروز يهجموا عليهم فصبروا إلى الليل وجابوا نحو ثمانين رأس بقر وهجوهم ناح المدافع (ساقوهم إلى جهة المدافع) فسمعوا الطوبجية الطوشة

(١) [الأمير سعد الدين وأخوته من أمراء بيت شهاب المسلمين أصحاب وادي التيم وكانوا مـوالين لإبـراهيم باشا دائماً بخلاف أبناء عمهم أبناء بديعة شهاب].
(٢) أي أحاطوا السرايا أو طوقوها.

(الجلبة) وظنوا أن الدروز هاجمة عليهم (للغدر بهم) فشغلوا ضرب المدافع على البقر والدروز خلوهم ملتهين بالبقر وأخذوها ضهرهم (من وراء) ونزلوا عليهم بالرصاص وما خلص منهم إلا القليل وأخذوا الدروز المدافع والذي بقي (حياً) من الطوبجية خلوهم عندهم.

صدى الانكسار:

فلما بلغ الخبر إلى أهالي الشام أي إسلامهم انسروا قالوا شوفوا متى تحرك جبل الدروز يرتخي إبراهيم باشا.

وفي أثناء ذلك (كان) موجود واحد من الميدان شرير اسمه عبد المحسن فهذا يوم مسك (العسكر) النظام مسكوه وحطوه في القلعة فدلى حاله من فوق السور وهرب وعمل له زمرة كم واحد وصار مسكنه البرية يقطع الطرقات وكلما نظر عسكر يهجم عليهم ويقتل منهم ويهرب ويحضر ينام في بيته في الخفية إلى أنه ذات ليلة إذ طلع في الليل نظره العسكر وكان مرادهم يمسكوه فضرب العسكر وقطع يد واحد منهم وجرح الباقي وهو هرب فوصل الخبر إلى الحكم فطلعوا كمشوا كم واحد من حوالي بيته ونهبوا بيتين ثلاثة والذين مسكوهم ما لهم ذنب وقرروا عليهم أهالي الميدان بأن هؤلاء ما لهم ذنب فجاوبهم المتسلم فمن هو صاحب الذنب فقالوا له واحد اسمه عبد المحسن فقال لازم إنكم تجيبوه والا برؤوسكم فطلعوا أكابر الميدان حطوا عليه رواقيب إلى (ذات) يوم كان نهار الجمعة آخر ربيع أول نظروه حضر إلى بيته فاحكوا إلى أكابر الميدان وأن صاحبته حضرت لعنده فلما طلعت صاحبته من عنده مسكوها وأخذوها لعند حافظ بك (المتسلم) فقررها فقرت أنه في البيت فحبسوها احتساباً لئلا تتوجه تقرر له ويهرب فأخذ المتسلم جملة عسكر وبعد الصلاة طلع إلى الميدان لبيت عبد المحسن فتحاوط العسكر البيت ولما درى عبد المحسن أنه ما عاد له درب للخلاص صار يقوص العسكر من الشبابيك وصار الهد في البيت حتى وقع ونزلوا عليه بالرصاص فأنصاب وأخرجوه من البيت وذبحوه ونهبوا بيته وبيتين حواليه وربطوه من رجليه وسخروا نصارى سحبوه

مثل الكلب من الميدان ورموه قدام باب السرايا وبقيت الفرجة عليه يومين ولما نظر أهالي البلد ما حصل بالشقي عبد المحسن لطيوا (سكنوا).

موقعة وادي بكـــا:

ولما بلغ إبراهيم باشا ما حصل في راشيا وحاصبيا جهز خمسة عشر ألف عسكري بمدافع وتوجه إلى راشيا فلاقوه الدروز إلى وادي بكا وصار الحرب بينه وبينهم فأعطت العساكر كسرة فلحقهم الدروز فلما عزفت العساكر أن الدروز صاروا في السهل ارتدوا عليهم وشغلوا عليهم ضرب المدافع والرصاص فانكسروا الدروز وراح منهم قتلى نحو خمسماية زلمة والباقي ولوا هاربين فلحقتهم العساكر تذبح فيهم إلى أن صاروا في جبل الشيخ فأعطى (إبراهيم باشا) يغما (السماح) على راشيا فدخلت العساكر وصارت تنهب فيها ونهبوا الكنائس وغالب النصارى معزلين (منازلهم) إلى الكنائس ونصب الوزير عرضيه عند مرج البير فحضروا النصارى شكوا له عن نهب أرزاقهم وعن نهب أواني الكنائس فأمر أن يعطى لهم ثلاثون ألف لأجل يفكوا أرزاقهم من العسكر والحال هذه الثلاثون ألفاً لا تطلع (تساوي) قيراط مما راح لهم.

حالة دروز اللجـــاه:

وأما من خصوص دروز اللجاه فبقي عليهم الوزرا حاجزين عنهم الماء وكل يومين ثلاثة يصير حرب لأجل الماء لأن داخل اللجاه نشفت المياه إلى (ذات) يوم من الأيام طلع من الدروز مايتين وخمسين زلمة ومعهم أربعماية جمل محملة قرب مرادهم يملوها من قرية خارج اللجاه خربانة فمع خروجهم من اللجاه مقدار ساعة صادف مرور قفطان أغاسي ومعه ألف خيال عرب هنادي فلما اجتمعوا بهم اشتغل الحرب بينهم ولما زرك العسكر للدروز دخل هولا إلى صيرتين للعجال عامرين عند الماء وحاصروا فيهم وصاروا يجانكوا (يقاوموا) وكان توجه الخبر إلى شريف باشا لأنه كان بعيد نحو ساعة فحضر بالمدافع واشتغل ضرب المدافع حتى انهدت الصيرتان وتحاوط العسكر للدروز من كل جانب وذبحوهم على آخرهم وأخذوا الاربعماية جمل.

موقعة قفــرة:

وبعد كم يوم حضر الدروز إلى قرية اسمها قفرة عندها ماء وعلى الماء الفين عسكري كبسوهم الصبح فروحوا من العساكر مائة زلمة وملكوا الماء فوصل الخبر إلى مصطفى باشا فحضر بالمدافع وشغل عليهم الضرب فروّح منهم شرذمة وملك الماء وعلى هذا وقيس كل يومين ثلاثة يصير هذا الحال ويرموا ذواتهم على الهلاك لأجل الماء.

موقعة الديماس:

وأما مادة راشيا فكلما لها تجسمت والدروز تجمعوا من كل مكان وصار غيرة دين حتى حضر من جبل الشوف نحو ألف وخمسماية زلمة ونزلوا ربطوا وادي بكا بين ينطا وحلوة ومرادهم يربطوا الطريق من هذا الوجه ناحية الديماس ودروز حاصبيا وراشيا رابطين فوق راشيا طريق القلع وقصدوا ربط الجهات لكي يقاطعوا (وصول) الذخائر ويأخذوها ولا يصله ذخيرة ولا عسكر (للباشا) فلما بلغ ذلك إبراهيم باشا أرسل خبر إلى مصطفى باشا بأن يحضر من اللجاه إلى عنده في جملة عساكر ويحضر الذخيرة صحبته ويتوجه على طريق الديماس فتوجه مصطفى باشا إلى أن وصل إلى الديماس فبلغه أن الطريق مربوط فاستقام بالديماس نحو أربعة أيام لأجل يدبر حاله فاستعوقه إبراهيم باشا فأحضر رجل اسمه نقولا ضاهر فهذا من راشيا (كان) يخدم مصالح حكام راشيا وصار له عند الوزير قبول وأمره أن يرسل يكشف على مصطفى باشا فأرسل مرسال فحضر المرسال وأخبره مصطفى باشا بالديماس فركب (حينئذ) إبراهيم باشا بالعساكر واجتمع بالدروز وصار الحرب بينه وبينهم ولما انتهى الحرب حرر نقولا ضاهر مكتوب إلى بحري بك كيف صارت الموقعة وكيف انتهت وهو:

البلاغ عن الموقعة:

إنه في صباح الثلثا أمرنا دولته (أن) نرسل نكاشف عن وصول مصطفى باشا إلى الديماس فتوجه المرسال فوجده في ذاك المحل فرجع صباح الاربعا قبل

الشمس فحالاً دولته تحرك ركابه السعيد بجانب العساكر وتوجه إلى حلوة وحينما حل ركابه بهذا المحل أرسل خمسة خيالة بطلب مصطفى باشا وبعد توجُّه الخيالة ظهروا الاشقيا جمهور كبير مقدار ألف وخمسماية نفر في الوعرة التي فيما بين ينطا وحلوة لناحية الغرب وصار الحرب فيما بين العساكر المنصورة وبينهم مقدار أربعة ساعات وقتل من الاشقيا جانب ثم بعد ذلك نفذ مصطفى باشا من خلفهم وصاروا مواسطة ما بين العساكر الظافرة وصار الضرب فيهم (من كل جهة) وصارت فيهم ساعة تشيب الأطفال ولم خرج منهم مخبر قطعاً نعم في حين الحرب حضر مايتين نفر يتكاشفوا على الدروز فتلاحقتهم الخيل وقتل منهم مقدار النصف والباقي ناهوا في البراري ثم دولته رجع للأوردي المنصور بعد الغياب بساعة وعساكره بغاية السرور والابتهاج كاسبين غانمين وحضر مع العساكر ثلاث عشر نفر مرابيط فأمر دولته بأن أواجههم واستخبر منهم عن الدروز الذين كانوا بالحرب قدر ايش كميتهم ومن أي البلاد ومن معهم من الكبار وتلك المرابيط من أي البلاد فقرروا لنا أن جميع الذين كانوا في الحرب من جبل الشوف وكبارهم الشيخ حسن جنبلاط الذي كان مقيم في الصالحية (قرب صيدا) وناصر الدين العماد ومحمد العيد وكان معهم دليل من راشيا وأما المايتين نفر الذين حضروا كاشفين عن جماعتهم هم من جهات الخارجة فهذا ما قرره المرابيط والمرابيط كلهم من الجبل (لبنان) وحررنا أساميهم فلان الفلاني ومن أي بلدة أما ناصر الدين العماد (فقد) قتل واحضر راسه إلى الأوردي المنصور. فهذا ما حصل بالاشقياء الخاصرين وإن شا الله تعالى مرة أخرى مثل هذه إن لم يهربوا لا يبقى لهم أثر. وكذلك أناس أخر من حاصبيا حضروا خبروا أن مدير ايالة صيدا حضر بجمهور من العساكر الظافرة إلى بلاد بشارة وحط بقرية يقال لها ميس وأرسل ماية خيال لأطراف مرج عيون لبلد يقال لها المطلة فتصادفوا هم وحسين أبو عساف ومعه شرذمة من الدروز وتضاربوا مع بعضهم وانكسر حسين أبو عساف وجماعته وضلوا هاربين إلى راشيا الفخار قرب حاصبيا وقتل من جماعته خمسة عشر نفر.

فوصلت هذه المكاتبة (إلى الشام) يوم الجمعة كان نهار عيد مولد يوحنا

المعمدان (٢٤ حزيران) فيومها صار شنك بالمدافع واطمئنت الناس في خلوص (هذه) المادة.

رد السلاح لشبان لبنان:

بعده حضر أمر من محمد علي باشا إلى الأمير بشير أن النصارى جميعها التي في الجبل أنها تنقل سلاح وأرسل لهم من مصر عشرة آلاف بارودة إلى عند الأمير بشير لكي يفرقها على الزلم ومن الجملة حضر من زحلة إلى الشام أربعماية زلمة أخذوا سلاح من قلعة الشام ألف وخمسماية بندقية فاستقاموا في الشام أربع خمسة أيام وأخذوا البارود وتوجهوا.

فرج في اللجـــاه:

ومن يم (جهة) مادة اللجاه بعد ما توجه إبراهيم باشا إلى مادة راشيا صار لهم فرصة دروز اللجاه أن عاودوا تقووا وصاروا يطلعوا ينهبوا من قرايا حوران ومن الجملة حضروا إلى قرية أزرع وقرية محجة ونهبوا جميع الحنطة نحو ألف وثمانماية غرارة وصاروا ينهبوا من كل دوار (مسافر) حوران.

تشديد عزم الدروز:

وأما دروز حاصبيا وراشيا والإقليم لما نظروا المذبحة التي صارت إلى دروز الشوف كلما لها تجسمت الأمور معهم واجتمعوا كلهم وتوجهوا عصيوا (تحصنوا) في قرية في جبل الشيخ اسمها شبعا لأن موقعها (حصين) معصاة كثير.

المرسوم باعطا السلاح للبنان:

فلما حضر الأمر من محمد علي إلى الأمير بشير بنقل السلاح إلى النصارى أصدر هذا أمراً وهذه صورة مضمونة إلى العساكر العيسوية القاطنين جبل لبنان بوجه العموم تحيطون علماً أنه بحيث تحقق حبكم وطاعتكم إلى هذه الدولة السعيدة فقد صدر لنا أمر كريم من سعادة ولي النعم الخديوي الأعظم مضمونه

السامي بأنه أنعم عليكم بستة عشر ألف بندقية مع جباخانة لأجل حفظ مالكم ولكي تفتخروا بها على أقرانكم طائفة الدروز الخائنة الكافرة الناكرين وجود الله وأنبيائه وإن شاء الله تعالى يكونوا غنيمة لكم هم وأملاكهم ونقلكم السلاح (يكون) دائماً سرمداً لكم وإلى أولاد أولادكم.

تأثير اللبنانيين في حرب الدروز:

ولما حضر هذا الفرمان وتسلح الجبل ونزل الأمير خليل ابن الأمير بشير إلى عند إبراهيم باشا ومعه خمسة آلاف نفر فلما بلغ الدروز قدوم الأمير خليل وتسليح أهالي الجبل النصارى تجمعت اختياريتهم وتوجهوا لعند الأمير (بشير) تراموا عليه حتى أنه يأخذ لهم الأمان من إبراهيم باشا وأن يطلعوا (يكونوا) بكفالته وأنهم يطيعوا ويسلموا سلاحهم فقبلهم الأمير بشير وأعطاهم مكاتيب إلى ولده الأمير خليل (وحضروا إليه) وسلموه مكاتبة والده فقبلهم وأعرض عن ذلك إلى الوزير وطلب لهم الأمان فقبل وقال له مهما شئت افعل. فلما حضرت المكاتبة بالأمان قال لهم الأمير خليل روحوا لموا السلاح واحضروه ومهما صار لكم ضيم فأنا قائم به فوعدوه وتوجهوا.

معاكسة حسين أبو عساف:

وفي ليلة وصولهم صاروا يجمعوا السلاح ولأجل نحسهم حضر بوقتها لعندهم الشيخ حسين أبو عساف وهذا الآخر خرج من اللجاه ومعه شرذمة ونزل على بلاد المتاولة ومراده يهيجهم وكلما وصل إلى بلد يقطع قاطعيتها ومن الجملة وصل إلى صفد بلص اليهود باربعماية كيس ونهب بيت المتسلم والقاضي وهو خارج من صفد وقع في يده يهودي أمين عند اليهود (كان) يلم مال من اليهود لأجل المحتاجين شلحه فوجد معه أربعماية كيس فخلص من (هذه) الدورة وحضر ليلتها إلى اللجاه وهم عمالين يجمعوا السلاح فلما نظر (هذه) الحال قال لهم متى أعطيتوا السلاح يقتلكم جميعكم ويسبي حريمكم وهذا ما له أمان وصار يكبر عليهم الوهم وأنه حاضرين عليه وزراً وصحبتها ماية وخمسين ألف عسكري وصاروا في حلب فقلبهم

عن جمع السلاح وكانوا وعدوا الأمير أنهم ثاني يوم يحضروا كامل السلاح فلما (كان) ثاني يوم وما حضر السلاح أرسل لهم مرسال (يسألهم لسبب تأخرهم) فحرروا له الجواب أنهم لا يسلموا السلاح وليس عندهم إلا رصاص وبارود.

تجديد القتـــال:

فلما بلغ الأمير خليل هذا الكلام اغتاظ قوي وقال توجهوا لعند أبي ولاعبوه وحضروا عندي ومكروا في. فمن ساعتها أعرض إلى الوزير ما حصل منهم وقال له هؤلاء الأشقياء ما دواهم إلا السيف ونهض ومشى عليهم وسبق العرضي بأربع ساعات وعلق الحرب بينه وبينهم فبعد أربع ساعات نفد عليهم إبراهيم باشا من جهة ومصطفى باشا من جهة ومدير ايالة صيدا من جهة فتحاوطوهم من أربع جهات وبقي الحرب من يوم الأحد ضحى إلى ثاني يوم الساعة الأربعة فراح من الدروز نحو أربعماية زلمة واحتاطوهم من كل جانب وما بقي لهم خلاص فصاروا يصرخوا من وراء المتاريس يا أمير خليل نحن في عرضك وعرض أبوك الأمان الأمان وصاروا يرموا سلاحهم قدام العساكر.

الأمـــان والهدنة:

فلما نظر الأمير خليل رمي السلاح توجه لعند إبراهيم باشا وقال له أفندم الأمان هؤلاء حرام قتالهم وسلاحهم رموه طالبين الأمان فبوقتها أعطاهم الأمان وولج الأمير خليل بلم سلاحهم وبطل الحرب عنهم.

حرب العريـــان:

ولما نظر شبلي العريان هذا الحال هرب ومعه نحو ثلثماية زلمة فوصل إلى قرية اسمها جبى فدخل إلى القرية وصار ينهبها فركب واحد خيال من أهالي جبى غار وأخبر سليمان باشا الذي (كان) على اللجاه فأخذ (هذا) مدافع وعساكر ولاقى له في نفدة العريان وجماعته فاشتعل ضرب المدافع عليهم وراح (هلك) جميع الزلم وبقي شبلي العريان والخيالة الذي معه نحو ثلاثين أربعين خيال ما

خلصوا إلا من كدد الخيل فما وصلوهم المدافع ودخلوا اللجاه إلى عند رفاقهم.

تسليم السلاح:

فبعده إبراهيم باشا توجه إلى اللجاه وبقي الأمير خليل في راشيا يلم السلاح وينظم تلك البلاد فلما وصل إبراهيم باشا وحط على اللجاه بات تلك الليلة وثاني الأيام أرسل أحضر رجل نصراني اسمه عيسى الفلالحة شيخ قرية يصير (من طائفة الروم الكاثوليك) فقال له ادخل إلى عند الدروز وقل لهم يقول لكم أفندينا إن كان تطيعوا وتسلموا سلاحكم وتعطوا نظام يعطيكم أمان الله وعفا الله عما مضى وعليكم المشورة ثلاثة أيام وإن كان لم تطيعوا أمان ما عليكم لا قبل ولا بعد وتهيؤوا للحرب بعد ثلاثة أيام فأخذ الأمر الشيخ عيسى ودخل إلى اللجاه فلما وصل إلى عندهم لاقوه بالترحيب فأعرض المكاتبة عليهم فعملوا الشور بأنه ما بقي لهم ظهر فكانوا مطمأنين (واثقين) في دروز الجهات فجميعهم تشتتوا وطلبوا الأمان وفي أثناء دخول الشيخ عيسى عندهم حضر لهم مكاتبة من طرف الأمير بشير (بهذا الشأن) فساعتها طلبوا الأمان.

الاستسلام:

وطلع منهم أربعة مشايخ بسلاحهم واضعين المحارم في رقابهم فحالاً لما واجهوا إبراهيم باشا ارموا سلاحهم قدامه ووقعوا على أقدامه طالبين الأمان فحالاً أعطاهم الأمان وقال لهم بدي السلاح جميعه الذي راح من العسكر وبدي سلاحكم فقالوا حاضر ابعث من عندك من يجيب السلاح فوجه يومها ضابط اسمه عجاج آغا فقال لهم وجهوا السلاح إلى أفنديكم شريف باشا فدخل عجاج آغا إلى عندهم يجيب السلاح فحضر الخبر يومها إلى الشام غرة جمادى الثانية فما كانت الناس تصدق فثاني يوم قوي الخبر وحضر من اللجاه الصبح أربعة الايات خيالة فلما نظرت الناس (هذا) صدقت نصف واحدة ويومها العصر حضر سليمان الفرنساوي وضربوا له مدافع من القلعة فالنصارى صدقت مليح والإسلام يقولوا كذب فلو كان صحيح كان حضر إبراهيم باشا (لأنه) بقي باشا مقيم في اللجاه لأجل

توريد السلاح وكل يوم يورد له سلاح فبعد مجي الالايات الخيالة بثمانية أيام حضر يوم الأحد من اللجاه خمسة الايات قرابة والجميع نزلوا في القابون.

بشارة السلام التام:

وليلة الخميس الساعة أربعة من الليل حضر إبراهيم باشا ونزل في بيت علي آغا خزينة كاتبي وصباح الخميس طلوع الفجر ضربوا مدافع السلام من القلعة لأجل حضوره فباقي الناس صدقوا (حينئذ) بخلاص مادة اللجاه ومشيت الطرقات وخرجت الدروز من اللجاه إلى قراياهم.

محاولة شبلي العريان:

ومن خصوص شبلي العريان (فإنه) لما نظر هذه الحال أرسل ترامى على الوزير (يطلب) أنه يطلع إلى عنده بالأمان وأن مرامه يخدم عنده فأرسل له الوزير بيلوردي الأمان وعرفه أن يتوجه إلى طرف الأمير خليل لراشيا يعطيه سلاحه ويلزم بيته فهذا لما نظر الحال توقع على هذه الصورة ما أعجبه لأنه متخوف من التوجه إلى راشيا من الأمير سعد الدين لئلا يقتله لكونه قتل أخو الأمير بوقت مادة (موقعة) راشيا فالتفت إلى يحيى الحمدان ومراده يفسد الذي حصل ويرجعه إلى العصاوة لأن شبلي رجل من الأشرار فما طاوعه يحيى الحمدان وقال له يا شبلي الفلاحين لم عادت لا في شأني ولا في شأنك وأكثر من الذي جرى ما بقي يجري وهذه دولة سيفها طويل. فقال له أنا خائف من روحتي إلى راشيا بعد ما أعطي سلاحي يقتلني الأمير سعد الدين. فقال له دبر حالك.

يأس العريـــان:

فساعتها ركب شبلي ونادى على الدروز الذي له خاطر يتبعني فساعتها لحقه نحو خمسماية زلمه من الدروز الذين كانوا نظام وخانوا ودخلوا إلى اللجاه يوم أن قتل محمد باشا ومنهم ناس ينسبوه وخرجوا من اللجاه وهم عاصين وطرودية (فرار) وتوجهوا إلى الديماس فباتوا فيها.

شدة الضيق على العريان:

وثاني يوم حضر الخبر إلى إبراهيم باشا للشام فكان إبراهيم باشا نازل في بيت علي آغا خزينة كاتبي يومين وتوجه إلى الصالحية نزل في قصر القباقيبي فيومها بلغه خبر شبلي (العريان) فركب (في) ساعتها وتوجه لحقه وأرسل خبر إلى العساكر التي في القابون تطلع إلى بعلبك وتلاقي إلى شبلي وأرسل خبر إلى المدير (أو المديرج) وعسكر النابلسية يلاقوا له من جهة والأمير خليل وعسكر الجبل من جهة والارناؤوط يلاقوا له من جهة (وكان) شبلي (إذا) سمع أن العساكر في الجهة الفلانية ويهرب إلى غيرها يجتمع فيه عساكر غير جهة ويصير الحرب بينه وبينهم ولما ينظر أنه رايح ينزك (يضيق عليه) يقحص بفرسه ويهرب من بين العساكر لأن فرسه موصوفة (مشهورة) كأنا طير وهو فارس موصوف في الحروب وصاحب تدبير فبقيت العساكر لاحقينه ولم كانوا يحوقوا عليه (يقبضوا عليه) نحو ثمانية أيام وبعد ثمانية أيام حشروه (أحاطوا به) في قلعة جندل بالقرب من قطنا فهرب من العساكر وتوجه إلى عيحا التي بقرب راشيا.

تسليم العريـــان:

فكان بوقتها نقولا ضاهر موجود في القرية فنزل شبلي بعيد عن القرية (مسافة مشي) نصف ساعة وأرسل أخوه لعند نقولا ضاهر وكتب له إنك أوضع أخي عندك رهينة واطلع إلى عندي واجهني فوصل أخو شبلي إلى عند نقولا ضاهر قعد رهينة وطلع نقولا ضاهر إلى عند شبلي فقال له شبلي يا نقولا أنا رجل مالي عاصي (لست عاصياً) ولكن بدي أمان تام فكان نقولا ضاهر ممون من الحكم (معه تعليمات) فأخذه نقولا ضاهر إلى عند الأمير مسعود ابن الأمير خليل وقال له (شبلي) يا أمير أنا واقع في عرض جدك أبو سعدى فقال له وصلت.

فأخذه الأمير مسعود ونقولا ضاهر وحضروا فيه لعند إبراهيم باشا كأنه وكان بوقتها الوزير في قرية قطنا فدخل شبلي على إبراهيم باشا كأنه الأسد وعمل تمني وتكتف وطلب العفو فقال له إبراهيم باشا من أنت ـــ قال له ـــ أفندم عبدكم شبلي العريان ـــ فقال له (إبراهيم باشا) ايش هذه الأفعال ـــ فقال له العبد

يخطي والسيد يعفي ــ فقال له تبت ما عدت تعصي ــ فقال له أفندم أنا خدام نعل خيلك ــ فقال له طيب خاطرك روح استريح.

فتوجه (شبلي) إلى غير محل ونام وإبراهيم باشا بعد ساعة زمان ركب وقال صحوا شبلي وخلوه يلحقني للشام ولا تزعجوه فركب إبراهيم باشا وتوجه على الشام فصحوا شبلي ولما استفاق ونظر إبراهيم باشا توجه ركب وغار فحصله في سهلة الجديدة ولما وصل لعنده نزل ومشي في ركابه فقال له (إبراهيم باشا) يا شبلي يا شيخ لاي سبب ماشي فكان جوابه أفندم (ناذر على حالي إني متى حزمت الأمان أمشي في ركابك وأكون كأحد سياسك).

فقال له (إبراهيم باشا) اركب (فركب) ثم قال له أين سلاحك ــ قال له مع نقولا ضاهر ــ فقال له (إبراهيم باشا) تقلد بسلاحك واحمل مزراقك وانزل العب قدامي في هذا السهل فعمل تمني ونزل وفعل أفعال كما أفعال عنتر وكان يهجم على الخيل ويشقهم ميامن مياسر فانطرب إبراهيم باشا منه وحبه كثيراً.

الأمان التام:

فشبلي من زكاوة عقله قصد يمتحن الوزير فلما وصلوا لقرب الجديدة عمل تمني وقال للوزير أفندم عبدكم لي مصلحة في هذه القرية ومرادي في هذه الليلة أقضيها وغداً الصبح أنزل للشام وأتشرف بلثم أذيالك فقال له الوزير ما في باس واجهني في قصر القباقيبي بالصالحية فعمل تمني وتوجه على الجديدة لأنه خطر في باله فكر أنه إذا استأذنت منه وأعطاني الاذن يكون أركن من طرفي (وثق بي) وصفح خاطره صحيح وإن ما ارتضى (بالسماح) يكون مراده ينقض أمانه فبوقتها بفور في فرسي وبرجع للعصاوة فلما نظر ان خاطره صافح له (تماماً) بات تلك الليلة في الجديدة والصبح ركب وتوجه وعمل دربه على الصالحية وحول عند الوزير فأظهر له الوزير كل بشاشة وقال له في أي محل لك خاطر تنزل. فقال له في بيت عبدكم بحري بك فاذن له بالتوجه إلى دار المومى إليه فركب فرسه ونزل على الشام متقلد بسلاحه ورمحه على كتفه وبقي متوجه إلى دار بحري بك والناس واقفين (في الطريق) على الصفين (على الجانبين) ووراه خلق كثير وأغلب الناس

ما تفرجوا عليه (لكثرتهم) وراقت الأحوال وإنما الغلا كثير والقمح ينباع في بيدره الكيلة بثمانية عشر قرش ووقوف حال والصناعية أغلبهم يبيعوا خبز وخضر من قلة السبب.

إبراهيم باشا في صيدنايا:

وبعده استقام إبراهيم باشا بالشام كم يوم وأمر على لم السلاح من الإسلام والنصارى وصار تقريط (تضيق) كلي وصار جمع السلاح من القرايا ومن حوران ومن كامل البلاد وبعده توجه إبراهيم باشا لناحية شمال وليلتها بات في منين على العين وثاني يوم توجه على صيدنايا وطلع إلى دير السيدة العامر واستقام نحو ثلاث ساعات في قصر البطرك وحضرت الرئيسة قبلت اتكه وأخذ وأعطى معها في الكلام بكل بشاشة وسألها على الراهبات وكم عدتها وبأثناء الخطاب طلبت منه انعام (رخصة) أن يتعمر في الدير كم قوضه لأجل سكن الراهبات فقال لها حرري عرض (حال بذلك) وارسليه لي إلى يبرود وهناك بعلم عليه وركب (في) ساعتها وبات في (قرية) الثواني وثاني يوم توجه إلى يبرود واستقام كم يوم.

فبعدما توجه إبراهيم باشا حررت الرئيسة عرض حال واستدعت فيه بعمار خمسة عشر أوضة وأرسلته مع واحد حمصي اسمه أبو الياس المشاطي إلى الحكيم باشي فقال له (هذا) أنت روح إلى شغلك ومتى أنظر أفندينا مبسوط بعرضه عليه وبرسله للشام مشروح عليه وبعده الحكيم اعرض العرضحال على الوزير فأرسله إلى أبوه محمد علي باشا فشرح عليه سعادة المشار إليه طبق المرغوب وأرسله إلى متسلم الشام فلما وصل إلى متسلم الشام علم عليه وأرسله إلى وكيل البطرك.

ألعاب البلهوان:

وفي سنة ١٨٣٨ مسيحية حضر إلى الشام في الصيف أربعة خمسة أنفار افرنج بلهوانية وأخذوا جنينة الأفندي التي في باب توما استأجروها (مدة) ثلاثة أشهر وعملوا في دايرها ثلاثة قاطات (طبقات) خشب لأجل جلوس الناس وتركوا الوسط فاضي لأجل اللعب وصاروا يلعبوا بالجمعة يومين لأجل الرجال ويوم لأجل الحريم

ويوم الذي يلعبوا يلصقوا أوراق في جميع أسواق البلد في المصلبات في صفة اللعب الذي مرادهم يلعبوه ويكتبوا ورقة صغيرة يلصقوها جانب التصاوير مكتوب فيها بخط مشق اعلام إلى أهالي دمشق أن الفرجة على البلهوان في جنينة الأفندي الساعة بالثمانية من النهار الجالس يعطي خمسة غروش والواقف غرشين فتتوجه الناس تتفرج وجمعوا من البلد مبلغ ولكن اللعب الذي يلعبوه ونظراً لصورة اللعب الذي مصور في الورقة التي يلصقوها في شوارع البلد شي مثل السيما لأن البلهوان منهم يقف على ظهر الحصان رجله الواحدة على ظهر الحصان والثانية رافعها إلى الخلا ويديه واحدة ماسك فيها رمح والثانية سيف والحصان عمال يركد فيه بالساحة ويفتل مثل الدولاب.

لعبة ثانية: يحضروا اثنين يحملوا طرابيز كل واحد من ناح على رؤوسهم ويكون وسط الطرابيزا كاس مليان عرق فيفز البلهوان يقلب ثقله من فوق الطرابيزا يأخذ كأس العرق يشربه ويرجعه إلى الطرابيزا.

لعبة ثالثة: يجيب البلهوان راسين خيل ويوضع كل رجل من رجليه على حصان ويركدوا راسين الخيل سوا بجانب بعضهم ورجليه عليهم وهم راكضين يصير يقوص نار دائمة يدك ويفرغ.

لعبة رابعة: يجيب جسر طوله نحو عشرة أذرع وغلظه مثل مطواية الحائك يرفعه أول الحال يوقفه على صدره والثاني يرفعه يوقفه على سنه ويصير يصفق في يديه.

وينصب حبل من جلد ويلعب عليه أشكال وألوان وعلى الخيل يلعب أشكال وألوان حتى شعَّبت عقول الناس ولكن جميع طوائف البلد تفرجت الذي يكون حاله مقتدر لأن الفرجة غالية كما شرحنا ما عدا طائفة الروم ما أحد تفرج عنهم صار عليهم توصي في الكنيسة أولاً من غلاوة الفرجة ثانياً على وصف الفرجة لئلا يكون شي مشبوه وتشعَّبت (تحيرت) عقول الناس.

العودة إلى النظام:

وبعده حضر إبراهيم باشا للشام ونزل في بيت محمد آغا كلار أميني بسوق ساروجا قبل عيد الضحية بخمسة عشر يوماً سنة ١٢٥٤ (هجرية) وقبل العيد بخمسة أيام طلب من البلد نظام وكذلك من ضيع الشام من المابة واحد وبعد ما كانت الناس ركنت (ارتاحت) من مادة اللجاه عاودت الشام انخبطت وكذلك الضيع ورجع وقوف الحال أكثر من الأول وقضوا الناس عيد الضحية مثل الزفت وتعطلت جميع الأسباب وأيضاً طلب من أهالي حوران نظام لأن في السابق أعطاهم أمان بخصوص النظام أنه ما ياخذ منهم لسبب أنهم مطلوب منهم تقيم ذخاير وجمال لمشال الذخاير وعليهم فلاحة وزراعة وطلب منهم كل ضيعة نفر واحد.

العودة إلى العصيان:

فلما صدر الأمر لهم (بذلك) تركوا ضيعهم وأشغالهم ودخلوا عصيوا (تحصنوا) في اللجاه فكان إبراهيم باشا سافر من الشام إلى حماه فبهذا الداعي انقطع ورود القمح من حوران فكانت كيلة القمح تسوى سبعة عشر غرش في برهة سبعة ثمانية أيام صارت سبعة وعشرين وتعطل حال الشام كلياً فتوجه لهم مراسيم من الحكم أن يرجعوا إلى قراياهم وعليهم الأمان ما أحد يأخذ منهم نظام فجاوبوا أنهم لا يرجعوا حتى يحضر لهم أمان (من) إبراهيم باشا ويتوجه إلى عندهم علي آغا خزينة كاتب وشمدين آغا وابن سعد الدين (شهاب) يتكفلوا لهم مع أمان إبراهيم باشا فشريف باشا أعرض إلى إبراهيم باشا (بهذا) ففي الحال حضر لهم بيلوردي أمان برفع النظام وأنهم ينقلوا سلاح وترتفع عنهم البدع الجديدة ومثل ما يريدوا يحصل لهم. فلما حضر المرسوم من إبراهيم باشا إلى شريف باشا أرسله (هذا) لهم صحبة علي آغا خزينة كاتبي وشمدين آغا والأمير خليل سعد الدين فوصلوا لهم المرسوم وبقيوا غايبين ثمانية أيام فطمعوا الفلاحين وصاروا يتعنتوا ويقولوا إن عساكر لا يطلع لعندهم ولا متسلم ولا يتعمر شونة (قشلة) في اللجاه (حوران) وصاروا يتكلموا مثلما يريدوا فلما سمعوا تعنتهم ارتجعوا من دون قضي غرض وبعده كاتبوهم علماء البلد وضمنوا لهم (مطاليبهم) فقبلوا مكاتيبهم

ورجعوا إلى ضيعهم ونزلوا المشايخ إلى الحكم ولبسوا وطلعوا إلى حوران وانصرفت المادة.

التأهب إلى حرب الدولة:

ثم بعده حضرت أخبار إلى الشام على أن السلطان محمود عامل سفر (بعثة عسكرية) كبير على إبراهيم باشا والعساكر قادمة على طريق حلب من درب ارفا على أنه مراده استخلاص بلاد العرب من يد إبراهيم باشا فكان يومها إبراهيم باشا في حماه فحالا المشار إليه حرر أوامر بطلب جميع العساكر أنها تتوجه إلى حلب وعمل إقامته هناك وحرر أمر إلى الأمير بشير حاكم جبل الشوف أن يجمع عساكر من أهالي الجبل يرسلها إلى الشام لأجل المحافظة فجمع الأمير المومى إليه نحو ثلاثة آلاف نفر وتوجه معهم ابنه الأمير خليل إلى الشام واستقام في الدوالك وإبراهيم باشا صارت تورد عليه الذخاير والجباخانات والأموال من مصر في البحر إلى السويدية على حلب والنصارى في الشام انوهموا وسافر كم عيلة من المنظورين وكل يوم تحضر أخبار شكل وتربطت الدروب وتزايد وقوف الحال.

أخبار الحرب:

ثم بعده في نصف حزيران سنة ١٨٣٩ حضر تحرير من ابن قنصل الإنكليز المقيم في الشام عما توقع بين عساكر مصر وعساكر الاستانة وهذه صورته: إنه صار هجوم الأوردي المنصور السر عسكري يوم الاثنين الساعة واحدة ونصف من النهار من طرف براجيك من نواحي ماء الفرات المسمى مراد واستقام الحرب ساعتين ونصف وانتصر ولي النعم وهربوا جماعة الأوردي العثماني ومرزا باشا توفي وسعد الله باشا أيضاً صابهم طوب وحافظ باشا هرب مع أورديه والعساكر عمالين يحضروا وصاروا في تل باشر قادمين لجلب ألفين نفر حضر بعضهم مبشر بهذا الانتصار والباقي قادمين وأحضروا صحبتهم أمر كريم أن الذي يتقيد (بالنظام) بمعية قرا بيرقدار يتقيد والذي لم يريد يتقيد على كيفه وثمانية وزر يخرجوا وأخذوا (غنيمة) طوب عد ١٢٠٠ وجباخانة عظيمة وذخاير كلية وجميع الخيام تركوهم وهربوا.

هذه صحة الخبرية على موجب تقرير العساكر وإلى وقت تاريخه صار نحو ماية خيال (منهم) الجميع هذا تقريرهم.

البلاغ الرسمي:

وكذلك حضر أمر إلى شريف باشا وهذه صورته نبدي لجنابكم أنه نهار الاثنين الواقع في ١٣ سنة ١٢٥٥ توجهنا بالعساكر المظفرة المصرية على أوردي اسلامبول وكان وصولنا الساعة واحدة من النهار المذكور وبعد محاربتهم ساعتين تشتت اوردي اسلامبول وتركوا مدافعهم وبواريدهم وخيامهم وأركنوا إلى الفرار وبمنه تعالى قد رفعت هذه الغائلة فبناءً على ذلك اقتضى افادة سعادتكم بذلك لكي بوصوله تجروا واجبات الأفراح والسرور وتعلنوا ذلك إلى كافة المديرين والمتسلمين بايالة عربستان حكمدارية سعادتكم بناء أن تنضرب المدافع اعلانا لمراسيم السرور وتشتغل الأهالي بإجراء مقتضيات الأفراح والحبور يكون (معلوم) جنابكم ذلك في ١٥ ربيع أول سنة ١٢٥٥.

الزينـــة:

فلما أن سعادة شريف باشا تلى الأمر السر عسكري فحالا أمر بضرب المدافع واستقام الشنك إلى الساعة أربعة من الليل وثاني يوم طلع منادي أن يصير زينة أربعة وعشرين ساعة ليل مع نهار من يوم السبت عشية إلى نهار الأحد المساء خصوصاً الشعلة التي صارت قدام بيت بحري بك وقدام حافظ بك شي زائد الحد.

بلاغ شريف باشا:

وهذه صورة الأوامر التي حررها شريف إلى (رجال) الحكمدارية طبق الأمر الصادر له: إنه بتاريخه تشرفنا بأمر عالي من المراحم السنية السر عسكرية في ١٥ ربيع أول سنة ١٢٥٥ يتضمن منطوقه السامي أنه نهار الاثنين الساعة واحدة من النهار تحركت العساكر المنصورة المصرية بالعز والاقبال وهجمت على الأوردي الاسلامبولي وصارت موقعة استقامت ساعتين وبحمده تعالى بهمة صاحب السطوة القاهرة قد ظفرت العساكر المنصورة المصرية على عساكر الاستانة وانهزمت منهم

بالبراري والقفار وخيامهم ومهماتهم صارت أسيرة لسيف ولي النعم والذي لحقوه منهم أحضروه إلى حلب وبعونة تعالى قد شرف ولي النعم بالعز والإقبال إلى نزب وقريباً يصلكم بشارة تشريف ركابه بالعز والاقبال إلى قونيه وصدر أمره الكريم أن بوصول أمره يصير طلق المدافع ويحصل السرور والابتهاج لكافة الأهالي من الخاص والعام وأن يصير فتح الأسواق ليلة واحدة وتوقد باليل الشموع بالزينة حسب منطوق الأمر الكريم. اقتضى تحرير هذا لتكونوا مشمولين بهذه المسرة مع كافة الأهالي بطرفكم ويحصل السرور.

شتيت العصابات:

ثم صارت تحضر الأخبار من التجار في هذا الحال لكن الطرقات كلها مربطة من كل وجه ومن الجملة في (كان) واحد درزي ساكن بالميدان اسمه الشيخ حسين جنبلاط فهذا لما نظر شبلي العريان من بعد عصاوته صار دالي باش قدم جملة عروضة للحكم لكي يصير ضابط لكون المذكور ابن ناس (أشراف من الشوف) و(صار) شحاد للغاية فالحكم لم قبل يفتح عليه هذا الباب ولم يجب لمسؤوله فالمذكور عمل له عزوة وتوجه إلى ناحية سمعسع وصار يخربط ويقتل وينهب حتى أنه حضر للميدان (بدمشق) ونهب سبعين جمل وفاز فيهم.

وبوقتها كان موجود في الشام مع الأمير خليل (شهاب) رجل متوالي اسمه الشيخ حسين السلمان حاكم في بلاد المتاولة في بلاد بشارة من تحت يد الأمير بشير فأرسل معه الأمير خليل كم زلمه من أهالي الجبل وحشروه (حسين جنبلاط) في وعرة زاكية حوال (جوار) سعسع وصار الحرب فيما بينهم فقتل من جماعته أربعة أنفار وانمسك هو مع أحد عشر زلمه وأحضروهم إلى الشام مكتوفين وكان دخولهم نهار الأربعا في ٢٨ حزيران سنة ١٨٣٩ فلما وصلوا إلى السرايا قطعوا رؤوسهم أربعة من باب السرايا وأربعة في الشاغور وأربعة في الميدان.

الأمير جـــواد:

بعده (كان) رجل اسمه الأمير جواد فهذا من أمراء الحرفوش حكام بلاد

بعلبك فحينما أخذ البلاد إبراهيم باشا كان من قطاع الطريق فطمنه وعمله متسلم على بعلبك ولكونه مجنون وما كان يتوافق هو وزراع جبل الدروز (لبنان) فعزلوه من المتسلمية ووقفوا ابن عمه الأمير حمد والمذكور عقله رازن (رصين) وصاحب إدارة في الأحكام. والأمير جواد سكن في يبرود وأمر له إبراهيم باشا في كل شهر خرجية لأجل مصروفه ١٢٥٠ قرش وصار يقبضها وهو مقيم في بيته وهذا الانعام (صار له) لكونه أنه فقير وابن ناس (أشراف) وبعده صدر أمر أن تتوقف صرفيات الكتاب والمتسلمين والنظار لكون كان حاصل حرب مع السلطان والميري (مالية الحكومة) متضايق فاستقاموا جمع الخدام مقدار ثمانية أشهر موقوف أمر الصرف (لهم) ولكون (الأمير) المذكور خيّر وطفران ويده قصرت التزم أن يعمل له عزوة وحرك معه أناس من أولاد عمه الأمير خنجر والأمير محمد وصار يقطع الطرقات وصار له سمعة كلية (كبيرة) وبعده حرر تحرير إلى واحد اسمه عبد القادر آغا خطاب بأن يحضر له مرسوم الأمان فأعرض إلى الوزير وأخرج له (الوزير) مرسوم الأمان ثم كاتب (جواد) الأمير خليل (شهاب) أن يحضر إلى طرفه لدمر لأجل يدخل معه لمواجهة الوزير وخلاصة الأمر حضر إلى الشام وواجه شريف باشا واستقام كم يوم بالشام وصار يعين عنده خيالة وشريف باشا اعرض إلى إبراهيم باشا لأجل يعمله سر سواري وحينما كان يخربط قتل واحد كردي تاجر غنم وأخذ منه جملة دراهم ودفتره والكردي المذكور ينسب أحمد آغا اليوسف[١] فحضر شمدين آغا وأحمد آغا اليوسف اشتكوا عليه إلى شريف باحضار الدفتر فجاوب بأنه ما هو الذي قتل الكردي وإنما هم ناس من بيت نون نون والآن لم معروف لهم مقر وطلب مهلة كم يوم لأجل يستعلم في أي محل مقيمين ليتوجه ويطلب منهم الدفتر فشريف باشا لم قبل بل زركه شويه ومن حيث أنه رجل عزيز (النفس) وأشبه ركب وخرج خارج البلد وبعث خبر إلى أحمد آغا اليوسف أنه إذا كان له عنده حق يطلع لعنده لأجل يتصارف هو واياه و(كان) موجود بين

(١) [أحمد آغا اليوسف جد عبد الرحمان بك اليوسف لأبيه وشمدين الآغا جده لأمه وكان كلاهما من الموالين للأمير بشير شهاب ولإبراهيم باشا بل الأول كان وكيل الأمير في دمشق].

الأكراد الذين بالصالحية رجل يسمى عجاج آغا كان بوقتها متسلم جبل دروز حوران والمذكور من الرجال المشهود لهم بالفروسية فاستأذن من الوزير وأخذ جماعته وتوجه إلى ناحية النبك فبلغه أن الأمير جواد في دير عطية فلما بلغ الأمير جواد (حضوره) ركب وخرج من القرية وصار الحرب فيما بينهم فقتل عجاج آغا والأمير جواد انجرح وكبر الوهم على الأمير جواد لكون أحمد آغا اليوسف يخص الأمير بشير فتوجه إلى عند الأمير بشير فقبل وصوله أرسل (الأمير) ناس ربطوا له ومسكوه عند جسر القاضي كتفوه وأحضروه برانية للشام فلما وصل أمر شريف باشا بقطع راسه وهكذا صار.

السلطان الجديد عبد المجيد:

وفي أثناء ذلك حضر أمر من محمد علي باشا أن السلطان محمود توفي وحضر له تحرير من الصدر الأعظم وهذه صورته أنه ورد بالقائمة الواردة من سعادة الصدر الأعظم قد توضح انتقال السلطان محمود إلى دار البقا وجلوس حضرة أفندينا صاحب الشوكة ولده عبد المجيد خان وأنه عند جلوسه تفضل قائلاً إن الشيء الذي كان واقع بين المرحوم والدي وحضرة والي مصر يقتضي أن يوضع بحكم مضى ما مضى وأنه لا يريد الحرب وأنه سيرسل نيشان إلى حضرة الوالي المشار إليه. وبحسب ذلك قد ضربت المدافع بهذا الطرف ثلاثة أيام كل يوم ثلاثة مرار إعلاناً بجلوس الميمون وبطرفكم يقتضي بوصول أمرنا هذا تنبهوا على المحلات المقتضية بضرب المدافع ثلاث مرات كل يوم ثلاثة أيام إعلاناً إلى المسرات المذكورة ويقتضي أن تنبهوا على الأفندية والخطبا أن يقروا الخطبة على المنابر والجوامع باسم السلطان عبد المجيد خان كما هو لازم.

التوفيق بتسليم العمارة:

ثم بعده صارت ترد أخبار من عند إبراهيم باشا أنه بعد ما كسر الأوردي السلطاني بقيساير إلى مرعش واستقام في مرعش وملكها وكذلك ملك ارفا زيادة عما كان في يده قبلاً وكان السلطان محمود قبل ما توفي أرسل عمارة عظيمة في

البحر لأجل محاربة محمد علي فهذه قبل وصولها إلى الاسكندرية لأجل توفيق محمد علي باشا كان توفي السلطان محمود وجلس السلطان عبد المجيد ونصب وزير صدارة واحد دشمان القبطان باشي(١) ومن خوفه من الوزير المذكور لئلا يسعى في ضرره ساق العمارة إلى عند محمد علي باشا ووقع عليه فاستقبله محمد علي وزبط العمارة جميعها وموجود فيها عساكر ثلاثون ألف عسكري فلبسها (محمد علي) جميعها وراق الحال.

رجوع الثـــورة:

وكان سابقاً لما صار السفر على محمد علي وإبراهيم باشا من طرف السلطان تحركت جميع البلاد ومن الجملة أهالي حوران وجبل عجلون تزربنوا بزيادة وصار ثقلة على النصارى الذين في حوران وفي عجلون وارتبطت الطرقات وصارت الحوارنة تشلح وتقتل وتسبي وغالبهم عصيوا في اللجاه وكان مقدامهم رجل يقال له الشيخ محمود الرفاعي شيخ السجادة الرفاعية فهذا رجل صاحب جاه وصاحب نسب فهذا دخل إلى اللجاه وجسم المادة وترادي بحق النصارى وتقاسى عليهم كثير.

انفصال حلب عن الشام:

وبعده لما انتصر إبراهيم باشا أرسل من طرفه رجل حكمدار في حلب اسمه إسماعيل بك ينسب إبراهيم باشا(٢) بوصوله للشام عمل حالاً ديوان وأحضر علي آغا خزينة كاتبي وقرر عليه أنه تكلم في حق الحكم كلام غير لائق وأنه في مادة حوران حاصل منه مساعدة لأنه حينها علي آغا خزينة كاتبي توجه برفقة الشيخ خليل سعد الدين وشمدين آغا لأجل يصلحوا مادة الحوارنة ففي الظاهر يفخت (يذم) الحوارنة وفي الباطن يتكلم مع الشيخ محمود أن لا يطيع وأن هذا حكم

---

(١) [القبطان باشي أو أمير الاسطول المذكور اسمه أحمد فوزي باشا وكان عدواً لدوداً لخسرو باشا الصـــدر الأعظم حينئذ وهو عدو محمد علي باشا].

(٢) [اسماعيل المذكور ابن عم إبراهيم باشا ولما تولى حلب نال لقب باشا هو غير إسماعيل باشا ابن إبراهيم الذي خلف سعيد باشا على تخت مصر سنة ١٨٦٢].

مدته قصيرة وأوردي السلطان وصل إلى قرب حلب وعندما يدخل هذا إلى اللجاه لعنده يتكلم معه هذا الكلام سراً وبالظاهر يتكلم أن هذه الدولة سيفها طويل ويكبر عليهم الأوهام وحينما كان يتكلم معه بالسر كان موجود شيخ قرية اسمه الشيخ فاضل المحاميد فحضر إلى عند شريف باشا وقرر له ما حصل من علي آغا خزينة كاتبي فختّمه تقريره وأرسله إلى إبراهيم باشا فضاج إبراهيم باشا وحيث حكمدار حلب حاضر لهذا الطرف وكله بأن يصير ديوان بوصوله للشام ويتحقق مادة علي آغا فإن كان هذا الكلام صحيح يترتب جزاه بالقتل فلما وصل إلى الشام ثاني يوم طلب حضور أرباب المجلس وبحضور شريف باشا وبحري بك وحافظ بك أحضروا علي آغا وانمسك جرنال في مادته فثبت أنه تكلم في حق الحكم (في) غير مادة حوران وحيث أن أرباب المجلس نظروا أن شريف باشا وبحري بك مغرضين في إزالة وجوده لكونه رجل لسانه طويل ولم يعرف خاطر أحد فحكم نسيب أفندي (القاضي) أنه من حيث المذكور ثبت أنه تكلم بحق الحكم وما راعى الشرف الذي حاصل له من ولي الأمر فترتيب جزاه منوط بأولياء الأمور فلما انفك الديوان سلمه إلى واحد من أمراء اللواء الطوبجية بأن يحبسه عنده في الدوالك فبات تلك الليلة وثاني يوم عند المساء أحضره شريف باشا وقال له يا علي آغا انشا الله انبسطت ليلة مبارح بالنوم عند العساكر فشتم دين النومة وقال إن البق والبراغيث هروني فقال له طيب خاطرك الليلة بنيمك في الكشك الذي بقعد أنا فيه وهو بدار الحريم بالسرايا فبات تلك الليلة هناك وعند المسا من بعد وصول شريف باشا لبيته نبه على القواص باشي أن نهار غد الصبح خذ علي آغا واقطع راسه قدام باب السرايا قبل وصولي للسرايا فقال حسب الأمر وثاني يوم دخل القواص باشي إلى عند علي آغا وقال له قوم كلم أفندينا فلما نزل من الكشك قال له أفندينا برا في أرض السرايا وأخذه لقوضة القهوة وسكر الباب وصار يعريه وأخذ ساعته وكيس الخرجية وشق قميصه وكان بيمازار عظيم وربط له عيونه وكتفه وطالعه من قوضة القهوة إلى باب السرايا وحينما كان آخذه قال له (علي آغا) قول لشريف باشا يدير باله على ابن ابنه فبركه في باب السرايا وقطع راسه فما قاموا الناس من النوم إلا والخبر شايع بأن علي آغا خزينة كاتبي أرسل إبراهيم باشا

قطع راسه وبقي مرمى في باب السرايا طوال النهار فارتجت البلد رجة عظيمة وتروبت (ذابت خوفاً) الناس في الشام وفي غير بلاد لأنه ما كان أحد صاحب خاطر (كرامة) عند إبراهيم باشا أكثر منه لأنه كلما يحضر إبراهيم باشا للشام ينزل في بيته وينادي له بابا علي وكل الناس ترشيه وتخاف من لسانه ولما قتل طلع آخذ رشوات كثير من الناس صاروا يثبتوهم بالشرع ويأخذوهم والأغلب تحصل[١].

فصل

في قتل البادري توما الكبوشي ومحاكمة القتلة

تعريف عنه:

ثم إنه كان في الشام راهب افرنجي كبوشي اسمه البادري توما فهذا استقام في الشام في دير الكبوشية[٢] نحو خمسة وثلاثين سنة وهذا كان كاره حكيم ويدق إلى الجدري في الشام للنصارى والإسلام واليهود وكل أهالي البلد من الكبير إلى الصغير يعرفوه وكان نافع الناس في مادة الدق إلى الجدري حتى أولاد الفلاحين يحضروهم إلى عنده يدق لهم وكان عنده أجير اسمه إبراهيم امارة من طائفة الكاثوليكية فهذا رباه ولد.

اختفـــاء غريب:

فيوم من الأيام في ٢٤ كانون الثاني (شرقي) سنة ١٨٤٠ نهار الأربعاء الموافق

---

(١) [علي آغا المذكور من الأتراك قدم إلى دمشق من الاستانة بوظيفة كاتب الخزنة وبقي فيهـــا لا يرضـــى قبول وظيفة من إبراهيم باشا لكبر نفسه من أن يتهم برشوة فلذلك أحبه إبراهيم باشا حتى كان يدعوه أباه ويغدق عليه المال إلاّ أنه كان مثل كثيرين من الأتراك ــ كبار رجال حكومة مصر في الشـــام ومـــنهم شريف باشا نفسه نسيب إبراهيم باشا ــ يدسون الدسائس ضد الحكومة المصرية لإعادة الشام لحكومـــة الأتراك].

(٢) [الكبوشيون أول من قدم إلى دمشق من المرسلين وكان ديرهم فيها بقرب من دير أخوانهم الفرنسيســـكان بمكان دار الياس الزيات اليوم والبادري توما المذكور أول من أدخل تطعيم الجدري في دمشق].

للهجرة في ٢ رمضان سنة ١٢٥٥ طلع من الدير نحو الساعة عشرة وتوجه إلى حارة اليهود لأجل دق الجدري فقال له أجيره إلى أين رايح. فقال له رايح إلى حارة اليهود فتوجه الراهب وتمسى فلما نظره أجيره أنه تمسى سكر الباب وراح إلى حارة اليهود إلى المحل الذي كان قال له عليه البادري وما عاد رجع فحضروا ناس ليلتها حتى يسهروا عنده دقوا الباب لم أحد رد. فقالوا ربما يكون نايم فثاني يوم حضروا البعض حتى يصلوا وجدوا الدير مسكر دقوا الباب زيادة لم أحد رد. فتوجهوا احكوا إلى قنصل دولة فرنسا فحضر القنصل والخواجا ابودين[١] والناس معهم ونزلوا من سطوح الدير وجدوا الدير ما هو رايح منه شي والطبيخ على النار محروق فاحتاروا في هذه المادة. حفروا جنينة الدير احتساباً ليلاً يكون أحد نزل قتلهم لاجل الطمع لم وجدوا أحد. فتحوا صناديقه وجدوا عنده دراهم عين نحو ماية ألف غرش ووجدوا صندوق باسم أجيره فيه نحو عشرة آلاف فصاروا يفحصوا من نهار الخميس إلى نهار الجمعة في رمضان سنة ١٢٥٥.

امارة ودليل:

فبان (حينئذ) أن ناس شافوه في حارة اليهود ولم عاد طلع وأجيره لما كان رايح يدور عليه شافوه ناس رايح بعجله وقت المساء سألوه إلى أين رايح قال لهم معلمي توجه إلى حارة اليهود ولم رجع والدنيا أمست. رايح بطلّع عليه من هون.

الحاصــل:

فتوجه الخواجا أبودين لعند شريف باشا وقرر له ما حصل وطلب إظهار البادري وأجيره منه وحصل بذلك جرنال مطول الشرح فيه سؤالات وجوابات وانوجد البادري وأجيره والبادري قتل في بيت هراري وأجيره في بيت يحيى ماير فارحي ووجدوا لحم البادري وعضامه وطاقيته مرميين في قليط[٢] في وسط سوق الجمعة قدام بيت موسى أبو العافية حيث (القنا) الكبير مارر من بيته وعند مطالعة

(١) [كان لدولة فرنسا في دمشق قبل أن يستولي عليها إبراهيم باشا وكيل قنصل M. Beaudin ثم تعين معــه قنصلاً من الدرجة الأولى le Comte de Ratti-Menton .

(٢) مصرف المياه المالحة لمدينة دمشق.

الجرنال تنفهم المادة بالتفصيل لأنه وجد في كتبهم أن الدم عندهم يأخذوه لأجل يوضعوه في الفطير فدعوى الراهب وأجيره لها جرنال مخصوص بالسؤالات والجوابات وإنما نتكلم عن الذي ليس هو من داخل الجرنال باختصار(١).

تفصيـــل:

وهو أن البادري توجه إلى حارة اليهود في اليوم المذكور لأجل يلصق ورقة عند الكنيس في تركة واحد افرنجي حكيم اسمه السنيور طرانوبا توفي وان تركته بدها تصير (تقسيمها) يوم الأحد فالذي له خاطر يشتري شي من التركة يحضر للدير وكذلك كان مراد البادري من بعد ما يلصق ورقة في حارة اليهود يتوجه يلصق ورقة في حارة كنيسة الروم وبعدها لم عاد رجع إلى حارة الكنيسة لصق الورقة بل لما انمسك بقيت الورقة معه فلما فقد البادري وأجيره ضاجوا القناصل قونسلوس فرنسا وقونسلوس النمسا وأرسلوا خبر إلى شريف باشا بما حصل.

همة القنصـــل:

فشريف باشا احتار بأمره لأنها مادة افرنج وراهب افرنج وأجيره وكان محبوس في حبس السرايا رجل اسمه محمد التلي (من الزبداني) هذا كان قبل (ذلك) بسنة آغا خراج وطلع في بطنه للميري ألف وخمسماية غرش فانحبس لأجل يوردهم فأرسل خبر إلى قونسلوس فرنسا أن يطالعه وهو يظهر هذه المادة فترجى الباشا بإطلاقه من السجن وتعهد له بدفع الدراهم وتعهد لمحمد التلي بأنه إذا أظهر البادري يدفع له زيادة عن المطلوب منه للميري ويحضر له بزابورط من الدولة حماية (فرنسا) فهذا يرجع له الكلام.

---

(١) [يراد بالجرنال هنا التقرير الذي تضمن استنطاق الرجال المتهمين بهذه الجريمة وقد حرره رجال الحكومة أو كتابها الذين منهم المؤلف ذاته وقد أفادنا صديقنا الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف أن الخوري يوسف الحداد حرر تقرير مطول بهذه الدعوى بإيعاز أو اقتراح بحري بك ثم نشر تقارير بالفرنساوي والايطالياني كاملة وملخصة وطبع قسم منها في صراخ البري وممن كان له يد في فحص هذه الجريمة الدكتور مخائيل مشاقة وكتب عنها في تاريخه المخطوط (الجواب على اقتراح الأحباب) ما يطابق هذه المذكرات].

همة شريف باشا:

ومن خصوص شريف باشا أرسل أحضر أربعة حاخامات وسألهم عن البادري وأجيره فأنكروا فهددهم بالضرب فطلبوا مهلة أربعة وعشرين ساعة لأجل يجمعوا اليهود في الكنيس ويرموا حرم عليهم فتوجهوا ورموا حرم على كل من يقر من اليهود ولو مات تحت العذاب فبلغ الخبر إلى الباشا بأن الحاخامات رموا الحرم على كل من يقر من اليهود ولو مات تحت العذاب فبلغ الخبر إلى الباشا أن الحاخامات رموا حرم على الذي يقر فأحضرهم وحبسهم ومسك بعض أناس من معترين اليهود مقدار عشرة أنفار وصاروا يعذبوهم فلم كان أحد يقر.

محمد التـــلي:

وأما ما كان من محمد التلي فصار يتجسس ومن زود فرازته[1] توجه إلى سوق الجمعة ومعه قونسلوس فرنسا وترجمان قونسلوس الإنكليز إلى المحل الذي ملصوق به الورقة فنظر أن الورقة هذه التي (كان) مراده يوضعها جانب كنيسة الروم لأن قبلا يوم أن فقد البادري كان وضع الورقة التي تخص اليهود ونظروها جملة من النصارى. ففي جانب مكان الورقة حلاق يهودي اسمه سليمان. فسألوه من لصق الورقة فقال أنه ما كان موجود حينما التصقت ولكن كان توجه يفصد في بيت الخاخام ميمون فلما حضر (الحلاق) نظر لمة (تجمع) وعمالين يقروا الورقة وقالوا أن البادري توما حضر لصقها وتوجه فقالوا له ايش شكل البرشانات التي لصقها بها.

قال لهم إنهم خمري. فقالوا له من كون إنك ما كنت موجود فمن أين عرفت شكل البرشانات احكي لنا الصحيح.

فتغيرت ألوانه فمسكوه وأرسلوه إلى شريف باشا وقرروا له بما حصل فأحضره شريف باشا وأمر عليه بالضرب فلم يقر فوضعوا له الكعاب في مصادغه

---

(١) فراسته.

وصار القواص باشي يبرم بند السيف على الكعاب والضرب عمال على ظهره وعلى كعب رجليه.

اسحق بشوتو:

فبأثناء ذلك حضر إلى عنده واحد افرنجي اسمه اسحق بشوتو يهودي فقال له قريت أم لا. فقال له لا ما قريت ولا رميت أحد. فقال له اصحى تقر أنا طالع لعند الوزير أترجى فيك. فطلع لعند الوزير وقال له أفندم هذا لو كان معه خبر هذه المادة أما كان قر و(اذ) هم في الكلام حضر واحد تفكجي من الذين واقفين على ضرب اليهودي وأعرض للباشا أفندم أن الخواجا اسحق هو الذي لم عمال يخلي اليهودي يقر فتخلق الوزير وأمر عليه بزيادة العذاب ووضع الكعاب ثانياً بمصداغه واسحق بشوتو لما نظر الوزير تخلق نهض بسرعة وهرب ركضاً على حارة اليهود لأجل يعطي خبر للذين قتلوا البادري.

الاقـــرار:

وحينما الحلاق نظر اسحق تركه وراح أقر عن الذين قتلوا البادري وهم داود هراري واسحق هزاري وأخيهم وعمهم يوسف هراري ويوسف لينادو وموسى أبو العافية وموسى السنانكلي وانهم قتلوه في بيت داود هراري فطلبوه مع (بواسطة) أجير داود هراري وبوصوله قالوا له ادخل اذبح هذا البادري فقال لهم ما هي صنعتي. فذبحه داود هراري وكمل عليه اسحق هراري وهارون هراري وهو مسكه لهم فأرسل شريف باشا التفكجي باشي وقواص باشي مسكهم جميعهم وصار يحضرهم الواحد بعد الواحد ويسألهم وكلهم أنكروا وصاروا يعتذروا أنه بوقته جميعهم ما كانوا في بيوتهم بل في مخازنهم وكلما سأل واحد يوضعه في محل لوحده ففي الليل أرسل أحضرهم واحد بعد واحد وأحضر الحلاق وصار يسألهم والحلاق يقول لهم يا فلان أما ذبحتموه في المربع الخربان وأخذتوا دمه وكسرنا رأسه على السماط في يد الهاون وهم ينكروا.

إعادة الاقـــرار:

فثاني يوم شريف باشا أرسل مسك خادم داود هراري وسأله فانكر فرمى عليه الضرب فأقر مثل ما قر الحلاق عند المساء أحضر شريف باشا الحلاق وداود أجير داود هراري وأمر لهم بالجلوس فجلسوا وأحضر اسحق هراري فقرر الحلاق والخدام قدامه وهو ينكر ويقول نحن ناس تجار ما هي مصلحتنا ولا لنا قلب نذبح عصفور. فأمر شريف باشا أن واحد يمسكه من ذقنه وواحد يمسكه من... وصاروا يعذبو فيه فلم كان يقر فأمر أن يرموه في البحرة فرموه في البحرة فبعده استقر حكم قرار الخدام والحلاق وثاني يوم قروا الجميع ما عدا موسى السنانكلي ناكر بالكلية وانضرب كثير ما قر ومنهم موسى أبو العافية أسلم وسموه محمد أفندي أبو العافية وصار يفسر من كتب اليهود عن قبح ديانتهم (عملهم) ومسك (شريف باشا) خمسة وستين ولد من المكاتب وحبسهم.

متابعة الفحص:

ويومها نزل ميرلوا وقونسلوس الفرنساوي والخواجا شبلي أيوب ومنصور التيان والتفكجي باشي وأخذوا معهم أجير الهراري والحلاق فدّخلوا أولاً الحلاق إلى بيت داود الهراري فدلهم على المحل الذي قتلوا فيه البادري فوجدوا فيه أثر دم بالحيطان ونظروا السماط الذي كسروا عليه العضام وطلبوا يد الهاون الذي كسروا به (راسه) فإذا هي مطعّجة وطلبوا السكين الذي ذبحوا بها فأحضروا غيرها.

فطالعوا الحلاق إلى خارج البيت وجابوا أجير داود هراري فأوراهم جميع المحلات حكم ما أوراهم الحلاق فطلعوا من البيت وأخذوا الحلاق وحده وأبقوا أجير داود الهراري عند (في) البيت وتوجه سليمان (الحلاق) قدامهم إلى مصلبة سوق الجمعة وقام حجر وقال في هذا المحل رميناه ثم أحضروا أجير داود هراري وصاروا يضيعوا عليه وأخذوه من غير درب فقال ما هو الدرب من هنا ثم مشي قدامهم ودلهم حكم ما دلهم الحلاق. فنزلوا أولاد النصارى وجدوا نهر قليط جاري وماؤه قليل وبجانب الحيط في سفل الحفرة موجود عضام وطاقية البادري

وحنكه فيه كم شعرة من ذقنه فوضعوهم في قفة وأرسلوهم إلى شريف باشا فحضر أولاد الهراري (لعنده) وأوراهم العضام فعاودوا أنكروا فأرسل العضام إلى القنصل والقنصل أحضر حكما إسلام ونصارى (منهم مخائيل مشاقة) ونظروا العضام ووضعوا أختامهم أنها عضام بني آدم لئلا فيما بعد اليهود يدعوا أنهم عضام غنم أو غيرهم والقنصل غسلهم ووضعهم في صندوق وجوّخه وعمل له موكب ودفنه في دير الكبوشية(١) وصار اليهودي لم يقدر يطلع من بيته من البهدلة والضرب والبصاق في وجهه وذقنه.

حفظ الـــدم:

والقونسلوس طلب من شريف باشا الدم فسألهم عن الدم فأنكروا مادة الدم أنهم ما أخذوا دم فصار الوزير يعذبهم فأقروا أنهم أعطوه إلى موسى أبو العافية فأحضر موسى أبو العافية وسأله عن الدم فأجاب بأنه ما عنده دم فأمر عليه بالضرب فأقر أن الدم في بيته وموضوع في الخرستان من (في) داخل حلبية وراء دفة مسحورة(٢) في وسط القاعة.

فيومها أمرني الوزير أن أنزل معهم حيث كنت من جملة كتابه(٣) فركبوا موسى أبو العافية على حمار ونزل القنصل والخواجا شبلي أيوب والخواجا منصور التيان وعلي آغا النونو توفكجي باشي ودخلوا موسى أبو العافية إلى قاعته فصار يقول لحرمته افتحي الخرستان وطالعي حلبية دم البادري فصارت تلطم وتبكي وتقول له ويه. الظاهر جنيت من زيادة القتل لا في عندنا لا دم ولا غيره. داورها في الحكي التفكجي باشي لم كانت تقر فأخذه التفكجي باشي وأخذ حرمته معه إلى عند الوزير فأراد الوزير يعذبه ويعذب حرمته فأقرت أن الدم أخذه منها الديان (الحاخام)

---

(١) [لا نعلم في أي سنة انقطع الكبوشيون عن دمشق ومتى باعوا ديرهم فإن عظام البادري توما نقلت إلـــى كنيسة دير الآباء الفرنسيسكان في دمشق حيث يرى الداخل إليها إلى جهة الشمال كتابة على قبـــره تـــدل عليها].

(٢) [الخرستان خزانة من خشب والحلبية آنية لوضع الحليب ويراد بالدفة المسحورة دفة خفية لا يعلم بهـــا إلا واضعها واستعمالها كان كثيراً للخبايا].

(٣) من هنا تم استنتاج أن كاتب هذه المذكرات أحد الكتاب الرسميين.

فحالاً أبو العافية خبط لفته قدام الوزير وقال بحيث أن دين اليهود مركب على هلحال ما هو بالازم عليه وأسلم بساعتها فلففوه لفة بيضة[١] وسموه محمد أفندي أبو العافية فالحرمة بساعتها أرسلها إلى بيتها وأبو العافية رجع إلى الحبس.

وثاني يوم أحضر الوزير باقي الجماعة وقال لهم أبو العافية اقران الدم عند الحاخام وأنتم ايش تقولوا فأنكروا. عذبهم فأقروا جميعهم أن الدم عند الحاخام فأحضر الحاخام ساله فأنكر. عذبه ما أقر. فوضعوا له كعاب على مصادغه ما أقر. بعدها عقدوا المرسة وصاروا يبرموها على مصادغه ما اقر. فقام الوزير وجرد سيفه بحمق لأجل يقر ما أقر بل مد رقبته لأجل يقتله ويخلص من كل ذلك. والحلاق وأجير الهراري قاعدين يذكروه بواحدة بعد واحدة. هذا ما كان من أمر البادري.

قتل الخـــادم:

وأما ما كان من قتل أجير البادري فكان شريف باشا أثناء سؤاله الحلاق عن البادري سأله عن أجيره (ابرهيم) فقال إنه انقضى غرضه في غير محل فوقتها حيث كان الوزير ماسك تحقيق قتل البادري ما تحقق منه عن مادة قتل الأجير بل قصد أنه متى ما ظهر (أمر) البادري يتحقق على أجيره فلما ظهرت مادة البادري طلب القنصل إظهار أجيره فالوزير أحضر الحلاق وقال له كنت سألتك عن أجير البادري وقررت لي أنهم قضوا مصلحته في غير محل فيلزم أن تقول لي الصحيح فأجاب أن داود أجير داود الهراري في ليلة أن قتلوا البادري وكانوا عمالين يدفروا العضام قال له ابن معلمه: روح إلى مراد فارحي وقول له ان البادري مسكوه عندهم ومرادهم بهذه الليلة يقتلوه فلربما يحضر أجيره يدور عليه فتحايلوا عليه ودخلوه إلى محل واقطعوا فرطه (اقضوا غرضه). وانه توجه إلى عند مراد فوجد عنده اسحق بشوتو فقاموا خرجوا إلى سوق الجمعة وصاروا يكزدروا بالحارة وهو رجع إلى عند معلمه قال له إنه قال إلى مراد. ومراد قال له أنت روح على شغلك فبعده

(١) [اللفة البيضاء كانت مختصة بالمسلمين فقط دون النصارى واليهود ومن سلالة محمد أبو العافية درويش أفندي أبو العافية المهندس وأخوته وكلهم اليوم مسلمون].

رد أرسله معلمه إلى مراد فما وجده فدق على (باب) بيت يحيى ماير فارحي فطلع المذكور فتح له وقال له معلمي أرسلني لأجل استخبر منكم عن الأجير فقال له مسكناه. إن كان تريد ادخل. فدخل ومسكه معهم وذبحه مراد فارحي هو ويوسف فارحي واصلان فارحي واسحق بشوتو ويعقوب أبو العافية وهارون اسلامبولي.

هذا ما قرره له أجير داود هراري فأحضر المذكور وسئل عن ذلك فقرر مثل ما قرر الحلاق فالوزير أرسل كمش يحيى ماير واصلان فارحي وموسى فارحي أبو مراد والباقي هربوا فاصلان فارحي أخذ مرسوم أمان من الوزير وقرر بخطه وختم طبق تقرير الحلاق والخادم وماير فارحي لم كان يقر وكذلك موسى فارحي وانمسك روفائيل دويك كاتب مراد فارحي لأجل يقر عن مراد فما أقر فضربوه ضرب مؤلم. ومن الجرنال ينفهم ماذا حصل. ومات يوسف هراري ويوسف لينادو واثنين آخرين أحدهم حارس والثاني شهد أنه نظر يومها البادري توما ناحية السروجية. هذا ما انتهينا إليه من مادة البادري توما واجيره[١].

العفــو:

وبعده حضر أمر من محمد علي بإطلاق اليهود جميعهم فأطلقهم شريف باشا. وصار فرح عظيم من اليهود وعملوا عراضات يومها وشتموا النصارى كثير حتى صار عليهم شكاوات إلى الحكم فارتجعوا[٢].

---

(١) هناك تفصيل لهذه الحادثة في كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود.

(٢) [لم يتوسع المؤلف بكلامه عن استعمال اليهود للدم ولا لذكر ما أفضت إليــه هــذه الجريمــة الواضــحة الفاضحة وقد أهاج أمرها اليهود في جميع العالم واهتم بها أغنياؤهم وكبار رجالهم في جميــع الممالــك وأرسلوا وفداً إلى مصر لمقابلة محمد علي باشا مسلحاً بسلاحهم الظافر المعروف وطلب رجال هذا الوفد إعادة فحص هذه الدعوى والمتهمين بها لكن محمد علي باشا آثر أن يصدر أمره بالعفو عن جميع الــذين اشتركوا واتهموا بها وهذه صورة المرسوم المذكور:

إنه من التقرير الذي رفعه إلينا الخواجات مونتيفيوري وكارنيو

الطاعون والكورنتينا:

وفي سنة ١٨٤٠ مسيحية صار طاعون بالشام وكان ابتداء من نصف الصوم الكبير فأخذ الحكم جنينة عاصم وجنينة عبد الرحمان هاشم وعمل فيهم كورنتينا ووضعوا عسكر في الجناين فجنينة عاصم عملوها للمتلوتين وجنينة هاشم إلى المنصابين فصار الذي ينطعن في بيته واحد يأخذوا المطعون إلى بين المطاعين وباقي أهل بيته يأخذوهم لعند الملوتين ويسكروا البيت الذي صار فيه الطاعون وصار حكما الافرنج يحكموا في الناس مثلما يريدوا لأنه متى ما دخل إنسان إلى الكورنتينا يصير طلوعه صعب وحكموا أن كورنتينا المطعون أربعين يوم والملوّت ثلاثين يوم وإذا صدف أن أحد الملوتين وجعه راسه يعيدوا كورنتينته وكذلك المطعون لأن في (يوجد) أناس من استقاموا أربعة أشهر وأكثر حتى من الجملة وقع سقط بالعرض من العسكر بالجناين فلما نظروا وجوه النصارى ذلك اجتمعوا وعملوا ترتيب (اذ) أخذوا جنينة هاشم إلى خاصة طوائف النصارى فعملوا قاطع من دف ما بين الضعفا الملوتين ورفعوا العسكر من بينهم وصار يقعد خارج الجنينة أربعة نصارى إذا مات أحد يحملوه ويتوجهوا يدفنوه.

فصل
في ثورة لبنان وأسباب الرحيل

إعادة جمع السلاح من لبنان:

وفي بحر هذه المدة أرسل محمد علي أمراً إلى الأمير بشير أن يجمع سلاح الجبل بعد ما كان في السابق أنعم عليهم بستة عشر ألف بارودة أنها تكون مؤبدة

الذين جاءا لطرفنا مرسلين من جل عموم الاروباويين التابعين لشريعة موسى اتضح لنا أنهم يرغبون الحرية والأمان للذين صار سجنهم من اليهود والذين فروا هرباً من الفحص في حادثة البادري توما الراهب الذي اختفى في دمشق في ذي الحجة سنة ١٢٥٥ مع خادمه إبراهيم وبما أنه بالنظر لعدد هذا الشعب الوفير لا يوافق رفض طلبتهما فنحن نأمر بالافراج عن المسجونين ونطمن الهاربين عند رجوعهم. هذا مرسومنا اعتمدوا عليه].

لهم فحالاً الأمير بشير أرسل حوالات (عسكرية) إلى كل ضيع الجبل في لم السلاح فلما نظرت أهالي الجبل ذلك عملوا جمعية (من) الأمرا والمشايخ واعتمدوا أن لا يعطوا سلاح وتحرك الجبل جميعه وضربوا الحوالات وقاموا صوت واحد[١].

قيام الثورة العامة:

فلما درى الحكم (بهذا) أرسل العساكر عليهم والأمير بشير وأولاده مع الحكم وصار الحرب بين أهالي الجبل والحكم وراح عالم كثير من العساكر وقليل من أهالي الجبل واستقامت المادة نحو أربعين يوماً وصار الأمير بشير يرسل يبرطل الناس لأجل يفختوا (يفسدوا) بعضهم وصار حسب مرغوبه وصاروا يقدموا سلاحهم أول بأول إلى أن أخذ سلاح الجبل جميعه وصار يأخذ الخيل وبعده صار يمسك الأمراء والمشايخ نصارى ودروز أصحاب الحركة حتى مسك من الجبل خمسة وتسعين زلمه وخشبهم ونزلهم في المراكب وأرسلهم إلى مصر ومحمد علي أرسلهم إلى بلاد سنار ومات منهم أميرين أحدهم يسمى الأمير يوسف (أرسلان) والثاني يسمى الأمير علي (أبو اللمع) أمير برمانا وبعده راق الجبل إلى الأمير بشير برهة جزئية هذا ما كان من أمر مادة الجبل.

تدخل الإنكليز:

وأما ما كان من مراكب الإنكليز فهو أنه في أول صيام السيدة (أول آب) سنة ١٨٤٠ نفد مراكب انكليز نحو خمسين مركب حربجية وربطوا على بيروت وسبب ذلك أنه من ظرف ستة أشهر من بعد ما توفى السلطان محمود وجلس ولده السلطان عبد المجيد على التخت شرع في ترتيب جديد في حكمه[٢] وأرسل أوامر

---

(١) [كان يقال للجندي حوالي لأن الحاكم كان يحوله بأكله وشربه وعليق فرسه على من يريد طلبه].

(٢) [المراد بها الاصلاحات التي أراد إدخالها في الممالك العثمانية المعروفة بالتنظيمات الخيرية التي أعلنها السلطان عبد المجيد بخط كلخانة في ٣٠ ت ٢ سنة ١٨٣١.

إلى محمد علي باشا أن يمشي على موجبها فما أجرى منها ولا واحدة(١) وأيضاً كان أخذ العمارة في البحر بوقت وفاة والده بسبب خون القبودان باشي فلما جلس السلطان أرسل طلب من محمد علي باشا أن يرسل العمارة لكونها راحت إلى عنده بالخيانة فما قبل فحرر السلطان عن ذلك إلى دول النصارى لأن السلطان محمود لما قارب على الموت وكل (وصى) المسكوب(٢) والإنكليز والنمسا وبروسيا أن يكونوا نظار على ابنه والمملكة. فالملوك كاتبوا محمد علي بأن يرجّع العمارة فما رجعها فلما نظروا أنه ما امتثل (لهم) عول رأيهم أن يقيموه مع (عن) بلاد سوريا وتبقى مصر خلافة له (وراثة لأولاده) نظراً لأتعابه وتبقى عكا وايالتها معه بالأجرة (ضمانا) إلى حين وفاة محمد علي وختموا على هذا الرأي وإن خالف محمد علي يسعفوا الأربعة ملوك إلى السلطان ويخلصوا منه جميع البلاد(٣) فأرسلوا أوامر إلى محمد علي عندما رواه ما سلم أن يعطي شي ولهذا السبب تصدرت الإنكليز وتعهدت بتخليص السواحل من محمد علي ونفدت مراكبهم على بيروت.

عمل الإنكليز في السواحل:

فلما ربطوا مراكبهم على بيروت أرسلوا خبر إلى متسلم بيروت بأن السلطان عبد المجيد بده بلاده يستخلصها من محمد علي فإذا سلّم البلد وارحل. فجاوبهم أني أنا رجل عبد مأمور فإن حضر لي أمر من أسيادي بتسليم بيروت بسلمكم إياها وإن ما حضر لي أمر لم يمكني ذلك وأخذ منهم مهلة لحينما يعرض. واعرض إلى محمد علي وإبراهيم باشا فحضر الجواب أنهم لا يسلموا ولا بلد فلما نظرت

---

(١) لعل المؤلف يريد مضمون المعاهدة التجارية بين الدولة العلية والإنكليز المعروفة بمعاهدة بالطة ليمان في ١٨ آب سنة ١٨٣٨ التي تعهدت فيها الدولة بمنع الاحتكار التجاري في جميع ممالكها سواء كانت بادارة محمد علي باشا أو سواه وكان غرض الإنكليز منها القضاء على محمد علي باشا والتضييق عليه بالمالية إذ يحرم بهذه المعاهدة نصف مدخوله].

(٢) المسكوب أي الروس والنسب إلى موسكو التي تلفظ مسكوفا.

(٣) [هذا مضمون معاهدة لندرا في ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ التي فيها تعهدت دول أوربا بسلامة حدود السلطنة العثمانية وقد نال الإنكليز فيها مرامهم من أضعاف شأن محمد علي باشا الذي كان موالياً لفرنسا وكانت سياسة الدولتين المذكورتين متعاكسة على ضفاف البحر المتوسط كما هي اليوم].

المراكب هذا الحال صار الحرب على بيروت بضرب المدافع والقنابر ثلاثة أيام حتى خربوا أغلبها وتوجهت المراكب على صيدا وضربوا كم مدفع فهرب المتسلم وباقي أهل البلد سلمت وطلعت عساكر العثملي اليها ونادوا باسم السلطان عبد المجيد وتوجهوا ملكوا صور وضبطوا كل ذخايرها وفرقوها على الفقراء.

القتال بكسروان:

وطلع على صيدا ثلاثة وزر وعلى جون[١] ومعهم نحو عشرين ألف أرناؤوطي وكان إبراهيم باشا حاطط على جون عساكر فكسروهم وتسلموا مطرحهم.

وكان شيخ من مشايخ بيت الخازن اسمه الشيخ بشارة فهذا لما مسك الأمير بشير الاماري والمشايخ وأرسلهم إلى مصر هرب إلى قبرص فبمرور عساكر السلطان على قبرص نزل إلى عندهم هذا الشيخ وطلع مع عسكر السلطان إلى جونة[٢] ولبسوه الوز اميرالاي وأرسل خبر إلى جبل كسروان فنزلوا أهل جبل كسروان إلى عنده ولبسوا سلاح ونزل إلى عندهم الأمير عبد الله (حسن شهاب) حاكم كسروان ابن أخو الأمير بشير وصاروا يرسلوا مراسيل إلى أهالي الجبل لأجل ينحرفوا معهم لأن الأمير بشير كان منحرف مع إبراهيم باشا.

(١) [المراد بها جونة أو جونية وهي اسكلة بحرية في كسروان فإن العساكر العثمانية بمساعدة الأهالي انتصروا على العساكر المصرية واستولوا عليها وعلى كسروان في الوقت الذي كانت مراكب الإنكليز تعمل أعمالها في بيروت وصور وعكا].

(٢) [هرب مع الشيخ بشارة إلى قبرص أخوته وابنا عمه ورجعوا جميعاً مع الجيش العثماني وكان سر عسكر كسروان الشيخ فرنسيس الخازن وكان المستر ريشار ود Mr Richar Wod الإنكليزي ترجمان سفارة الإنكليز في الاستانة قد حضر إلى كسروان بحجة انه يريد أن يتعلم العربية عند الخوري ارسانيوس الفاخوري في كسروان وقضى هناك سنتين يدس الدسائس ضد حكومة إبراهيم باشا على مهل بكل اخفا وهدو كما هو شأن رجال سياسة الإنكليز في كل عصر ومن ثم استطاع أن يميل إليه بطريرك الموارنة يوسف حبيش واكليروسه وجميع مشايخ كسروان من بيت حبيش والخازن والبعض من بيت الدحداح مع جميع الدروز وإذ نجحت سياسة المستر ود بقيام أهل لبنان على إبراهيم باشا فمن بعد رحيل إبراهيم باشا عن الشام صار المستر ود قنصل الإنكليز في دمشق ذا نفوذ كلي حتى انه كان مراقباً لأعمال الولاة في الشام ثم ترقى حتى صار نائب الملك في تونس].

فلما نظر إبراهيم باشا هذا الحال أخذ عساكره وطلع إلى الجبل واستقام عند عين صنين وطلع بحري بك إلى بتدين واستقام عند الأمير بشير وصاروا يهدو الناس ويعطوا غروش. ووزر العثملي يرسلوا يستميلوا البلاد إليهم ويشجعوهم وأنهم ينزلوا إلى عندهم يأخذوا سلاح حتى يحاربوا إبراهيم باشا ويخلصوا منه.

بيت شهاب:

حتى من الجملة نزلوا مقدار ثمانين نفر من أهالي بيت شهاب (شباب) تسلحوا وطلعوا وصاروا يقوصوا وكان موجود الأمير مسعود الشهابي في محل يسمى بحرصاف بجانب قرية بكفيا لما نظر أن أهالي بيت شهاب نزلوا تسلحوا أرسل خبر إلى إبراهيم باشا فحضر إبراهيم باشا ونهب الضيعة وشغل الحريق بها فأهالي الضيعة تركوا أمتعتهم وهربوا فبقيت العساكر ثلاثة أيام تنهب وتحرق حتى من الجملة غالب أهالي بيروت واضعين أرزاقهم هناك انتهبوا حتى من الجملة الديورة[١] والكنائس نهبوها وحرقوها. دير واحد فيه خمس راهبات ماتوا بالحريق ودير آخر فيه كم راهب راحوا بالحريق لأنه حصل شي يرتى له والله الحمد لم كان موجود في الضيعة حريم.

انتقال الحرب:

وبعده تجمعوا أهالي الجبل واجوا على إبراهيم باشا وصار الحرب بينه وبينهم فراح (قتل) شرذمة من عساكره وكسروه من عين صنين إلى عين حزير فوق زحلة وصار أهالي الجبل صوت واحد.

حيلة السياسة:

وتوجه إبراهيم باشا لعند الأمير بشير لأجل يعملوا تدبير وبوصوله أرسل أحضر مشايخ دروز الشوف وقال لهم هل تقدروا تتعهدوا في تدمير نصارة الجبل فقالوا له نتعهد وإنما بشرط (أن) نظام ما نعطي وفردة ما نحط وسلاح دايماً يبقى معنا ولا نحط غير مال الميري المرتب من زمان العثملي فأعطاهم أمر بذلك

(١) الأديره.

وأعطاهم سلاح وأعطاهم جامكيات (معاشات) وقام من بتدين ومعه ثلاثين نفر وخيل فما وصل معه للاوردي غير سبعة أنفار وكان لما بلغ نصارة الجبل هذه الرابطة أرسلوا كامل وجوه النصارى خبر إلى دروز الشوف بأن كل درزي قام مع إبراهيم باشا نحرق بيته ونقطع رزقه ونسبي حريمه فتخوفوا من ذلك وحضروا إلى عند الأمير بشير وقالوا له نحن ما يمكنا نحط أهالي البلاد في ضهرنا لأنه بلغهم الرابطة التي حصلت. والدروز كاتبوا النصارى وتحالفوا أن قولهم واحد وضربتهم واحدة. فلما نظر الأمير بشير البلاد جميعها اتفقت بصوت واحد وكان عنده بحري بك قال له قوم روح إلى عند باشتك (وقل له) لم عاد فائدة البلاد جميعها صارت صوت واحد فأرسل معه كم خيال نصارى وصلوه لقريب الأوردي ورجعوا.

فلما نظره إبراهيم باشا حاضر سأله عن سبب حضوره فقال له إن الأمير بشير خان ونزل إلى صيدا لعند وزر السلطان. فلما سمع ذلك صار مجنون وجهز الابين وقام لأجل يتوجه إلى بتدين يحرقها. فلما نظر بحري بك قال إلى إبراهيم باشا أفندم إلى أين راح هذه بلاد كبيرة. داخل إليها ملايين. فهذا ما هو رأي وشار عليه بالرجوع فامتثل ورجع وقام من هناك إلى عين حزير فحضر أبو سمرا من ناح والأمير عبد الله وابن الخازن من ناح وصار الحرب بينهم فكسروه من عين حزير إلى أن أوصلوه إلى المعلقة عند زحلة[١].

تسليم بيروت:

ومن خصوص سليمان باشا لما بلغه أن إبراهيم باشا انكسر والأمير بشير

---

(١) [وإن لم تنتصر جنود إبراهيم باشا في جرود كسروان على اللبنانيين فإن انسحابه من كسروان إلى المعلقة والبقاع كان يقصد به سحب الجيش العثماني ومن معهم إلى معركة كبيرة في السهل البقاع حيث يتمكن جيشه من الحركات الكبيرة.
ولهذا كانت موقعة شتورة وبالاً على العسكر اللبناني والعثماني ومعلوم أن رجال زحلة لم يقوموا حينئذ على إبراهيم باشا ولهذا السبب تمكن بحري بك من منع إبراهيم باشا عما كان ينويه من خرابها وخراب دار الأمير بشير في بيت الدين].

سلم قال إلى الأميرالاي الذي في بيروت افتح عينك حتى أتوجه انظر إبراهيم باشا في أي محل. فلما توجه سليمان باشا نزل أميرالاي الطوبجية وسلم بيروت ونزل إلى عند المراكب في المدافع والعسكر وطلب منهم الأمان فأخذوه إلى عندهم وباقي العسكر لما نظر ذلك هرب بقي حاضر إلى الشام وطلعت عساكر السلطان إلى بيروت وملكوها ولبسوا متسلم السيد فتيحه(١) ونادوا باسم السلطان وراقت بيروت ورجعت أهلها إليها.

تسليم الأمير بشير:

ومن خصوص الأمير بشير لما نزل إلى صيدا استقبلته الوزر بكل بشاشة وأبقوه عندهم ونصبوا ابن عمه على الجبل واسمه الأمير بشير أبو طحين ابن الأمير قاسم لكون المذكور جاهد مجاهدة كلية. وأما الأمير بشير الحاكم السابق فزركنوه إلى مالطة مع أولاده وأرزاقه التي في الجبل بقيت تبعه وأقام عليها وكيلاً(٢).

تسليم باقي السواحل:

وبعد أن حضر بحري بك إلى عند إبراهيم باشا واستقام يومين حضر محمود بك محافظ بيروت إلى عند الوزير فحضر للشام هو وإياه ومحافظ بيروت توجه إلى عكا لأجل تحصينها وشاع الخبر من بحري بك وخلافه أن إبراهيم باشا قاموه أهالي الجبل إلى تحت زحلة وصارت باقي السواحل مثل طرابلس واللاذقية يسلموا وكذلك بلاد عكار وجميع السواحل سلموا للسلطان ما بقي غير عكا فقط.

---

(١) [هو عبد الفتاح بك حمادي وهو مصري الأصل والد خليل باشا حمادي ناظر الأوقاف في أول عهد الدستور العثماني ومحمد بك حمادي مدير صالون كمرك بيروت سابقاً وكانت الحكومة العثمانية تستعين حينئذ بالمصريين وأصحاب الخبرة من رجال حكومة مصر لأنها عولت على أن تجري في سبيل الاصلاحات على طريقة حكومة محمد علي باشا].

(٢) [المال والمجوهرات والأمتعة الثمينة أخذها معه واستودع في دير المخلص ثلاثين صندوقاً تسلمها بعد ذلك بواسطة وكيله وأرزاقه الثابتة وضع أيديهم عليها أولاده وأحفاده وامرأته التي ابتاعت منها الحكومة السرايا الكبيرة المعروفة في بيت الدين].

تسليم عكـــا:

ثم من بعد ما جميع المين[١] صارت بيد السلطان توجه من مراكب الإنكليز واحد وعشرين مركب حطوا على عكا وصاروا يرسلوا للذين فيها فما كانوا يسلموا وبقيوا ثلاثة أيام يراسلوهم لم كانوا يسلموا ففي اليوم الثالث شغلوا الحرب عليها بالكلل والقنابر وكان ذلك في ٩ رمضان سنة ١٢٥٦ ما استقامت ثلاثة ساعات إلا ربع من الساعة سبعة إلى الساعة عشرة إلا ربع حتى صارت مبوظة وصادف الحال أن الجباخانة التي بجانب البرج حكمها كلة وغلغلت فيها وبعد ساعة طارت في الجو و(كان) موجود على ظهرها شرذمة من العسكر مقدار ألف وخمسماية صاروا يتطايروا في الجو وهرب المدير ومحافظ بيروت وحكمدار حلب وأخذوا خزينة مقدار ستة آلاف كيس وهربوا إلى قانون من أعمال نابلس وبقي في عكا قبطان تبع إبراهيم باشا فنزل إلى عندهم (الإنكليز) وقال إن جميع الحكام هربوا وأنا بقيت وحدي وطلب الأمان فأعطوه الأمان وحالاً طالعوا معه ماية وعشرين زلمه فطلعوا إلى عكا وحالاً مسكو منافد البلد الخربانة والباب فما عاد أحد خرج من عكا إلى ثاني يوم طلع القبطان باشي (الإنكليزي) إلى عكا والعساكر الافرنجية طلعت بلكات بلكات في الاي معتبر وطالعوا منادي في اسم السلطان عبد المجيد بالأمان وأخذوا جميع العساكر (المصرية) التي بقيت نزولها في المراكب وبعد يومين حضر وزير إلى عكا وأرسل مراسيم إلى جميع بلاد نابلوس والقدس والجميع أرسل لهم سلاح ونادوا باسم السلطان عبد المجيد وراقت الأحوال في ذلك الطرف.

أحوال الشام:

ومن حينما بدت هذه الأحوال تخربطت الطرقات ولا عاد حضر قفول[٢] وكل عاصي والديه صار له كلام ووقف الحال بالشام وبغيرها ولا حضر صرة ولا حجاج ولا بزركان اسلامبول ولا صار بيع ولا شراء في رمضان كالعادة وتعطلت جميع

---

(١) الموانئ.
(٢) قواقل.

الأرزاق وأهل الشام من زيادة الخوف لم عادت افتكرت في وقوف الحال. الله يجعل النهاية إلى خير.

الأمر بالرحيل:

ومن بعد ما خلصت المراكب من عكا توجهوا ربطوا على الاسكندرية ومرادهم يحاربوهم لأن عكا أخذوها بثلاثة ساعات يمكن الاسكندرية يأخذوها بساعة فتعارضهم الفرنساوي لأنه بقي صاحب مع محمد علي وإنما خاتم مع الملوك. فتواسط المادة فقالوا له الرؤسا (القناصل) ابنه بعده في بلاد سوريا لم كان يقوم فتكلم مع محمد علي أن يرسل خبر لابنه يقوم من بلاد سوريا وان ما أرسل قامه يأخذوا منه الاسكندرية ومصر فحالاً كتب محمد علي إلى ابنه بأن حالاً يجمع العساكر ويترك بلاد العربية جميعها ويحضر.

التدبيــر:

فلما وصلت مكاتبة أبوه كان مقيم في معلقة زحلة فأرسل طلب بحري بك فتوجه لعنده وأوراه المكاتبة وصارت مشورة معه فقال له الرأي إلي (عندي) شور والدك وقدم واخر له وأخبره أن شريف باشا حضر ابن عمه فردوس بك[1] بالسر واجتمع معه وتوجه بالسر إلى أوردي السلطان والظاهر أنه مراده يخون. فإذا قمت الشام وذخّرت حالك منها لحينما تحضر العساكر من ناحية شمال تقوم من الشام بجميع عساكرك فهذا الرأي الموافق عندي فقبل رأيه وقام من المعلقة.

---

(١) [فردوس بك قدم إلى بيروت مع جيش الاحتلال العثماني ثم حضر إلى دمشق بطريق حاصبيا متنكراً لابساً أثواب لبنانية برفقة الأمير خليل شهاب أخي الأمير سعيد الدين وفردوس بك ابن علي آغا مملوك ناصيف باشا أحد قواد الأتراك الذين حضروا لمحاربة الفرنساويين في مصر سنة ١٨٠١ وعلي آغا تزوج ابنة ناصيف باشا وولد له منها عاكف بك وفردوس بك وامرأة شريف باشا أختها. والذي بلغ بحري بك بقدوم فردوس بك واجتماعه بشريف باشا في بيت دار عاكف بك هو الحافظ بك ابن عبد الله باشا العظم متسلم دمشق المذكور مراراً بهذه المذكرات وحقق له ذلك ابن عاكف بك بحديث طويل لا محل لنقله هنا. وبحري بك بلغ ذلك لإبراهيم باشا ولا يخفى أن كبار رجال حكومة إبراهيم باشا كانوا من الأتراك أو من الألبانيين فكانوا على اتصال مع رجال الحكومة العثمانية ويميلون إليهم].

نقولا ضاهر:

ودخل للشام في ٢٨ رمضان سنة ١٢٥٦ وبيومها رمى رقبة نقولا ضاهر الذي كان معتمد امارة حاصبيا لأنه كان عليه مبلغ إلى الميري فهرب يوم طوشة الجبل (لبنان) الأولية إلى الجبل إلى عند العصاة فلما راقت مادة الجبل مسكه الأمير بشير وأرسله إلى الشام فحبسوه فتم باقي إلى يوم أن حضر إبراهيم باشا فترجى فيه شبلي آغا العريان. فلما طلع لملاقاته شريف باشا قال له إلى الآن ما قتلت نقولا ضاهر. الظاهر ترجاك فيه إبراهيم طنوس[١] حتى الآن ما قتلته بدي بمروري الآن في باب السرايا انظر رأسه مرمي فحالاً شريف باشا أرسل ناس من طرفه بسرعة وقطع رأسه وبيقولوا انه أسلم قبل أن قتل فقبروه المسلمين عندهم.

اشتداد الحركة:

وثاني يوم قتلوا أمين آغا الشاهبندار بالبلطة لكونه تكلم في حق الحكم وكذلك قتل ابن أغاة النور فالمذكور أرادوا يوضعوا عسكر في بيته فشتم الحكم فقطعوا رأسه بالبلطة وقتل يومها خمس زباط من عساكره بينباشية[٢] كان مسك عليهم خيانة.

حضور العساكر:

وثاني يوم من وصوله طلع منادي أن العساكر التي في الشام جميعها تطلع إلى المزة ونصب أورديه في المزة لأن قبل ما يحضر صدر أمر إلى أهل المزة أن تفضي جميع بيوت المزة وأيضاً أهل كفرسوسة وأرسل أوامر إلى جميع العساكر من كولك بوغاز إلى أدنة. إلى حلب. إلى مرعش. إلى أورفا تورد جميعها إلى الشام فكان وصول أول العساكر نهار الجمعة ثالث عيد رمضان وبقيت الفرجة من الضحى إلى المسا وتورد العساكر أشكال وألوان ومدافع أشكال وألوان نحو ماية مدفع وأكثر

---

(١) [إبراهيم طنوس كان من كتاب ديوان شريف باشا حمصي الأصل من طائفة الروم الارثــوذكس ولهــذا السبب شفع بنقولا ضاهر لدى شريف باشا].
(٢) البنباشي رتبة عسكرية.

وكل مدفع له صندوق على عربانة وحدها وكل مدفع ساحبينه ثلاثة أجواز بغال وكل صندوق مثله والطوبجية حوالا (حول) كل مركبة وجباخانة متصلة ونهار السبت من الضحى إلى المسا مثل أول يوم وأزود وثالث يوم نهار الأحد في ٥ شوال سنة ١٢٥٦ بقيت الجباخانة والمدافع والعساكر تنجر من الضحى إلى المسا ومن الجملة الاي مدرعين خيالة يسمى الاي الزرخلية (أو الزردخلية) هذا دخل بالأول وبعده ثلاث الايات قرابة كل الاي أربعة آلاف شرك والاي الزرخلي ألف خيال بعده صارت تنجر المدافع الكبار كل مدفع مسحوب على أربعة أجواز بغال وكل صندوق جباخانة مسحوب على أربعة أجواز بغال وكمية المدافع قدر الذي دخلوا أول يوم وثاني يوم ونهار الاثنين أيضاً طول النهار تنجر باقي العساكر حتى أنها صفيت وما بقي ولا عسكري بناحية شمال وكل هذه العساكر انشحنت في المزة وفي الشام.

الاستعداد للرحيل:

وكل الأفران تخبز بقسماط وجميع الطواحين التي في الشام يطحنوا للميري وغالب الناس صاروا (لذلك) يخبزوا على الصاج وصار نفاق على الأكل والشرب ولحمد لله ما صار زيار على الشام من العساكر لأنه على ثلاثة أيام كل يوم يطلع منادي في الأمان وإنما على يومين صاروا العسكر يسخروا دواب يوم أن طلعوا من الشام على المزة لأجل مشال حريم العسكر وعفشه والدابة التي تتسخر ما تعود ترجع إلى صاحبها حتى أخذوا جملة دواب فبعد هذين اليومين طلع منادي وارتفعت السخرة.

اليغما من العسكر:

وأخبروا أن معرة النعمان نهبها العسكر بمروره فهذه لها سبب وهو أن العسكر لما حضر من كولك بوغاز مر على المعرة وسكروا في وجهه ولم يرضوا يعطوه ذخره فلما نظر الصاري عسكر ذلك أعطى العسكر يغما عليها فنهبوها.

وأيضا بوصول العسكر إلى حمص دخل إلى البلد بقصده بشتري شي ياكل

فسكروا دكاكين الأكل والشرب في وجهه فحالاً نزل يغما على الدكاكين نهبها ونهب كم دكان للبيع والشرا ونهبوا كم بيت في أطراف البلد فلما بلغ ذلك أحمد باشا الذي حاضر صحبة العسكر قتل أربعة خمسة أنفس من الذين نهبوا وهديت المادة وارتد بوقتها بعض الشي من الذي انتهب ولما حضر إلى الشام العسكر الذي نهب من حمص صار يدور في البضاعة من فوط حمام وقلايل حرير ووصلات كريشة.

اليغما من الأهالي:

وبعده تجمع من دروز اللجاه والعرب الذين في اللجاه ومن دروز الإقليم نحو ألف وخمسماية زلمه وحضروا إلى سعسع ونهبوا الذخيرة فبلغ الخبر إلى إبراهيم باشا أنه في سعسع أوردي وأنهم رابطين الطريق عليه وأنهم طردوا العساكر ونهبوا الذخيرة فأخذ الابين نظام وعرب الهنادي والارناؤوط وستة مدافع وخلى الليل حتى صار وقسم عليهم العساكر ثلاث فرق واشتغل الحرب فلم نفد منهم إلا كل طويل العمر وبقي غايب أربعة أيام وأرسل إلى الشام آذان الذين قتلوا وأرسل منهم مرابيط إلى الشام وبوصوله للشام أمر على اثني عشر زلمه بقطع رؤوسهم وهكذا صار ورموهم من باب السرايا إلى الدرويشية.

الضيق الأخير:

وفي أثناء ذلك والعرضي في المزة نزلت أمطار من نهار السبت إلى يوم الخميس الصباح ليل مع نهار في شتا سخي مع زمهرير قوي فصار زيار كلي على الأوردي من الشتا والبرد ويوم الخميس كان عيد دخول السيدة إلى الهيكل (٢١ ت٢ سنة ١٨٤١) سربت (تفرقت) جميع العساكر التي في الأوردي بأمر إبراهيم باشا إلى الشام وأخذوا الدكاكين من حد السنانية إلى بوابة الله على الجانبين مع البيوت الموجودة على الشارع وجميع جوامع البلد ما عدا الجامع الأموي وجامع السنانية وقهاوي البلد جميعها وأيضاً بعض دكاكين في الميدان حتى تنظر حال البلد شي يبكي القلب لأن الإنسان في أي (مكان) مشي (يجد) العساكر حواليه لأن يمكن (يكون عدد) العساكر الذين دخلوا الشام (حينئذ) أكثر من أهالي الشام زلمها

وعيالها ونزل عسكر في بعض خانات الصنعة وخانات المدينة ولا عاد انوجد خبز ولا طحين لأن جميع الطواحين أخذها الميري كما مر الشرح لأن رطل الخبز وصل إلى الستة غروش.

زيـــادة الرهبـــة:

وأيضا توجه من العساكر ثلاثة ألايات خيالة إلى عربين وإلى جوبر وإلى دوما نزلوا بهم ولما نزل العسكر إلى الشام قطعوا الناس الاياس (قطعوا اليأس) وأن العسكر لا بد مشي بالشام فازداد وهم أهل الشام لأن جميع المحلات التي نزل بها العساكر جميع أخشابها قلعوها ووقدوها حتى أخشاب الجوامع والمواذن وقدوها.

وأيضاً أرسلوا إلى جميع القرايا التي بداير الشام كل ضيعة أرسلوا لها ألف زلمه والبعض خمسماية والأكل والشرب وعليق خيولهم من أهالي القرية لأن الذي صار بالشام شي يرثى لها.

وفي أثناء ذلك توجه إبراهيم باشا وأخذ جانب عسكر إلى أرض المرج فوصل إلى حران العواميد فخرج شيخ البلد قابله فقال له إبراهيم باشا لازم ذخاير. فقال له أفندم مقدّمين سابق قمح هلقدر والآن لم بقى عندنا شي فلما سمع كلامه أمر عليه بالشنق فشنقوه وتوجه إلى العبادة بحال أن وصل إلى القرية فكان نازل بها جانب عرب فلما علموا أن وصل الوزير فلم عاد أمكنهم أن يهربوا فخبوهم أهالي الضيعة ونزل إبراهيم باشا بالضيعة فأهالي القرية نصف الليل هرّبوا العرب فوشى واحد إلى الوزير أنه كان في الضيعة عرب وهربوا بالليل وكان الوزير لما حضر إلى الضيعة سأل عن العرب فأنكروا عليه فلما بلغه ذلك أحضر شيخ القرية وشنقه بالليل وثاني يوم أعطى يغما على البلد فدخلتها العساكر ونهبوها إلى آخرها وتنظر العساكر ثاني يوم واردة على الشام وصحبتها البقر والطرش والفرشات بجميع عفش القرية.

أخبار البريد بالرحيل:

وحينما كان الوزير في أرض المرج حضرت بوسطة من بيروت إلى واحد انكليزي (نمساوي) مقيم في الشام اسمه الخواجا جستينياني ومعرفته القناصل الذين في بيروت على أن محمد علي تصالح مع السلطان عبد المجيد بواسطة الفرنساوي وغيره على أن يبقى في يده مصر والاسكندرية خلافة (وراثة) إلى ولد الولد. وكامل بلاد سوريا وغيرها التي استولى عليها من جديد ترجع إلى السلطان وأنه حاضر من عند محمد علي معتمد اسمه سامي بك وأنه طلع إلى بيروت إلى عند صاري عسكر السلطان في تثبيت هذه المادة وأنه محضر أوامر صحبته من محمد علي باشا إلى إبراهيم باشا لأجل يترك البلاد ويتوجه إلى مصر وأنه إما أن يحضر سامي بك للشام (حيث) يقيم إبراهيم باشا وإما يرسل له الأوامر التي صحبته فحالاً التاجر المذكور أخذ البوسطة إلى شريف باشا وأفاده عن ذلك فحالاً شريف باشا حرر إلى إبراهيم باشا وهو بأرض المرج عن هذه الكيفية.

التعويل على الرحيل:

فثاني يوم حضر المشار إليه إلى الشام وجد في تحصيل المطاليب الباقية له في القرايا وفي الشام وصرّف جميع الموجودات عنده من حديد وأخشاب وخلع وما شابه ذلك إلى أرباب الحرف بالناقص عما تسوى فصارت أهالي القرايا تورد القرش والقرية التي تعطي جواب أنه لم بقي عندها شي يرسل ينهبها ومن الجملة انتهبت أربعة خمسة قرايا بالكامل.

نهاية شريف باشا:

وفي أثناء ذلك أمر شريف باشا أن يجهز عياله للسفر وقصده أن يحقق ما أعرضه له بحري بك بوقت أن طلع لعنده إلى المعلقة عن حضور فردوس بك من عرضي السلطان واجتماعه مع شريف باشا بالسر ورجوعه ثانياً للعرضي فلما قال له جهز عيالك للسفر اعتذر بأنه لا يمكنه ذلك حيث الآن أوان شتا ويحصل ثقلة للحريم والأولاد. فلما جاوبه هذا الجواب تحقق أنه خاين ومراده يبقي حريمه

بالشام ويتوجه برفقته (وحده) وبعده يهرب من الطريق ويحضر للشام فبوقتها عمل ديوان وزر (من كبار القواد) وهم سليمان باشا الفرنساوي وعثمان باشا وأحمد باشا السنكلي وأحمد باشا الزرخلي وفتح له مادة حضور فردوس بك للشام واجتماعه فيه ورجوعه بالثاني إلى أوردي السلطان فكان جوابه الانكار وإن لم (يكن) عنده خبر فردوس بك حضر للشام إلى الآن ولو كان بلغه ذلك كان رمى القبض عليه فإبراهيم باشا والوزر لم قبلوا كلامه وأحضر خدام من أتباع عاكف بك ابن بنت ناصيف باشا وتهدده بالضرب فأقر أن شريف باشا حضر إلى بيت ناصيف باشا واجتمع هو وفردوس بك بالليل وصدر الأمر على شريف باشا الذي كان حكمدار عربستان بموجب فرمان أن يحبس في الدوالك فأخذه عثمان باشا إلى الدوالك وحبسه وفي دخولهم إلى الدوالك طلب منه عثمان باشا السيف فلم قبل يسلمه فبلغ ذلك إبراهيم باشا فقال له ما في باس خلي سيفه يخلصه فلما بلغه ذلك احتمق الحكمدار وقام السيف ورده إلى عثمان باشا وقال... وبقي محبوس إلى نهار الذي إبراهيم باشا نبه على الرحيل فكان أول من سافر شريف باشا وعثمان باشا وشريف باشا طلع مقيد وما مر في البلد بل طلع من قفا الدوالك على صف الجوز.

الرحيـــل:

ونهار الاثنين في ١٦ كانون الأول سنة ١٨٤٠ الواقع في ٥ ذي القعدة سنة ١٢٥٦ صارت العساكر تتوجه من الصبح إلى المسا وثاني يوم كذلك توجه جانب عساكر ومن الجملة بحري بك والخواجا حبيب ابن أخيه جرمانوس وعيال بحري بك بقيوا في الشام وحافظ بك وأولاده رحلوا والكتبة جميعاً وكامل وأعيان الدولة المصرية الجميع رحلوا بذلك النهار وإبراهيم باشا في هذين اليومين لم قعد في الأرض ولم كعي بل رايح جايي من السرايا للميدان ومن الميدان للسرايا وينظر العساكر كل الاي بألايه وكل بلك بكله وليلة الأربعاء مساء دخل على الحبس وأطلق المحابيس وركب وبات في العسالي ونهار الأربعاء لم بقي أحد من دولة مصر بالشام.

التنبيه الأخير:

وقبل توجهه بثلاثة أيام عمل ديوان وقال إلى أعيان البلد انتخبوا لكم واحداً ولبسوه متسلم فاختاروا واحد من القنوات اسمه حسن بك الكحالة ونبه عليهم وقال أنا رايح وحياة راس محمد علي وحياة راسي ان قطعت عن البلد خمسة أيام وبلغني أنه تقاصص نصراني أو يهودي أو مسلم برجع بكوّم الروس مثل البطيخ وبخرب الشام حجر على حجر ويوم الذي رحل تسلم القلعة عبد القادر آغا خطاب وطلع منادي من قبل الشرع في الأمان وكل من يمشي في حده.

الفلتـــة:

وثاني يوم (الذي كان) الخميس طاشت البلد وقتلوا ثلاث مشايخ حارات الإسلام وقتلوا واحد نصراني معتر مجنون اسمه خليل الصيدناوي في حارة اليهود لأنه كان خمرجي (سكري) ومتحمضين (حاقدين) عليه المعترين فصارت هذه الفرصة قتلوه وصاروا يرذلوا (يهينوا) النصارى وكل من نظروه لافف لفة بيضة يضربوه ويشقوها إلى نهار الخميس العصر.

فصل
في عود الأتراك

المتسلم العثماني:

حضر (حينئذٍ) متسلم للبلد من قبل الدولة العلية رجل اسمه أحمد آغا اليوسف. فهذا بيته بالشام وكان معتمد الأمير بشير فلما فاوز الأمير بشير بالجبل هرب من الشام إلى بيروت إلى عند السر عسكر العثماني فلبسه متسلم على الشام بقي جالس خارج عن الشام إلى أن توجه إبراهيم باشا (راحلاً عنها) ودخل نهار الخميس وصحبته مقدار ألفين خيال من أهالي الجبل وأكراد وبوصوله للشام دار في البلد وكل من نظره مسلحاً يمسكه. وطالع منادي أمان واطمئنان وأنه لا أحد ينقل سلاح.

تشكيلات والعودة إلى القديم:

وثاني يوم رتب ديوان مشورة من مفتي ونقيب وأغاوات وتجار ومن الجملة اثنين نصارى الخواجا حنا عنحوري (روم كاثوليك) والخواجا جبران ميداني (روم ارثوذكس) وواحد يهودي وأول الترتيب الذي عمله الديوان أن النصارى لا يكون عندهم جواري ولا يلفوا أبيض ولا يركبوا الخيل ولا ينقلوا السلاح وأنه من بعد سبعة أيام الذي عنده جارية أو دابة وما يبيعها يقع عليه القصاص وطالعوا خلاصة في هذه المادة وكل ذلك (كان) من دون إذن المتسلم فلما بلغ النصارى ذلك اجتمعوا في محل وأرسلوا واحد نصراني اسمه الخواجا موسى صدقة[١] من أعيان طرابلس النصارى. هذا كان ثاني كاتب في ديوان تحارير شريف باشا (وهو) رجل جسور وله معرفة بالمتسلم فتوجه إلى عند المتسلم قايم لفته ولافف كفية حرير ومن دون جبة فلما نظره المتسلم (هكذا) ظن أنه مسافر وحاضر ليودعه فقال له يا خواجا موسى الظاهر مسافر فقال له لا. وإنما امتثالاً لأمر أرباب المجلس بأن النصراني لا يلف أبيض ولا يكون عنده جواري ولا يركب خيل التزمت أني أقمت اللفة ولفيت كفية لأنه بلغ طوائف النصارى أن أمس تاريخه عند المسا نسيب أفندي ومحسن أفندي (المفتي) اثنينهم كانوا عمالين يحرروا خلاصة بذلك بخط نسيب أفندي (القاضي) والآن حضروا إلى بيت المعلم إبراهيم طنوس وجوه النصارى ومعتمدين أنه نهار غداً يسافروا من الشام إلى غير محل لأن بلاد السلطان متسعة وهم رعابا مولانا السلطان وما هم رعايا نسيب أفندي ونقيب أفندي. فلما بلغ المتسلم ذلك كان موجود عنده النقيب فسأله هل هذا صحيح فجاوبه أنه صحيح لأن النصارى خرجوا عن حدهم وصاروا يقلدوا الإسلام بجميع بجميع أمورهم. فقال له بإذن من حررتم هذه الخلاصة هل أنتم حكام. ثم أرسل أحضر نسيب أفندي وطلب منه الخلاصة وأنه لازم يختموها لأجل يرسلها إلى السر عسكر و(اذ) هم في الكلام والا حاضر رجل حكيم أفرنجي اسمه فرنسيس صهر الخواجا مخايل الصولي

---

(١) [بيت صدقة اشتهر أفراد كثيرون من هذا البيت القديم في طرابلس بالوجاهة وخدمة الحكومة ومنهم المطران مكاريوس صدقة في بيروت الذي ترشح للبطريركية الانطاكية بعد وفاة سلفستروس القبرصي].

ترجمان قنصل الإنكليز بالشام وخبط لفته قدام المتسلم وطلب منه شرفه لأن المذكور كان مارر في (حارة) العمارة فنظره واحد من أولاد العمري فخربط له لفته وقال له غير مرة إن عدت لفيت بيضة بقطعها على رأسك.

وكذلك قبل هذا كان ماررًا واحد اسمه يني الخياط قبرصي لافف لفة بيضة حربقها في رقبته فبعد أن حضر صهر الترجما اشتكى حضر المذكور وفعل كما فعل ذلك لأن اثنينهم (حماية) واحد انكليزي والآخر فرنساوي فلما نظر المتسلم ذلك قال للأفندية ما قولكم أنتم أما عرفتم أن مولانا السلطان مآمر أن النصراني واليهودي والمسلم رعايا ويكونوا حال واحد كل منهم في مقله ومن دون تمييز أو ما صار عندكم معلوم أن إبراهيم باشا ما قام إلا بسيف الأربع دول وتخلق كثير وحبس الاثنين الأفندية وكامل أرباب المجلس وأرسل أحضر ابن العمري الذي فعل ذلك فهرب وبعده توجه أهله لعند الخواجا بودين وترجوه فقال لهم أرسلوه لعندي ما بيصير عليه شي وأخذه إلى عند المتسلم وأحضروا الاثنين (حماية) الافرنج وصالحوهم مع بعضهم جميعاً وقال لهم ما تقوموا من هنا حتى تحضروا الخلاصة وتختموها وأرسلها إلى السر عسكر والذي يجرى به أمره أنفذه فيكم.

عودة نشر المساواة:

و(اذ) هم في الكلام حضر أمر من أحمد زكريا باشا أنه صار سر عسكر ومرسل له أمر أنه يكون وكيله فانحط المتسلم منه وأمر بضرب الأطواب وطالع منادي مشاع أن النصراني يقني جواري ويلف لفة بيضة ويركب ويشرب عرق وخمر ويكون مثل أيام إبراهيم باشا وزيادة ولا أحد يتعارضه بشي من ذلك وكل من يتعارض نصراني يترتب قصاصه وصار فرح عظيم عند النصارى.

وانتهت (هكذا) خلوص الدولة المصرية وكان دخولها للشام في ١٥ محرم سنة ١٢٤٨ وخلوصها في ٥ ذي القعدة سنة ١٢٥٦.

عودة علو باشـــا:

وبعد حضور المتسلم للشام بكم يوم حضر وزير للشام علو باشا الذي إبراهيم

باشا كان طرده من الشام فهذا بحضوره للشام بعد ثلاثة أيام عمل ديوان ولبس أعيان البلد حورانيات ولبس المعلم روفائيل (فارحي اليهودي) مباشر خزينة الشام وسلم الحكم إلى كيخيته وصار طوال النهار حاطط السجادة يصلي وكيخيته يظلم الناس والقواص يقطع خدمة في المواد الكلية والجزية ثلثماية غرش وما كمل الشهر (حتى) انعزل الوزير لأن قنصل الإنكليز كتب إلى الاستانة بأن هذا الوزير ليس هو خرج حكم بل خرج دروشة فأرسلوا عزلوه ولبس قائمقام أحمد آغا اليوسف وصار يحكم بالعدل ويلاحظ أمور الرعايا.

نجيب باشا:

ثم حضر أمر من الدولة أن والي الشام نجيب باشا وحضر إلى الوزير بأن يكون وكيل بالشام لحينما يحضر نجيب باشا لأن هذا نجيب باشا شاع خبر بأنه كان قبو كيخية محمد علي باشا والي مصر وقبو كيخية أربعة عشر وزير وأنه رجل أكابر.

وفي ٦ صفر سنة ١٢٥٧ طلع محمد نجيب باشا على بيروت وفي ١٨ صفر سنة ١٢٥٧ نهار السبت العظيم الموافق ٢٩ آذار سنة ١٨٤١ دخل الوزير المشار إليه للشام وصحبته دفتردار وارد معه من اسلامبول لأجل يرتب الأموال الأميرية وحضر صحبته المعلم عبد الله نوفل(١) باشكاتب وابن أخيه الخواجا نوفل(٢) وولده الخواجا سليم بالغ من العمر مقادر ثلاثة عشر سنة فالمذكورين من أهالي طرابلوس.

ونهار الاثنين (الفصح) في ٢٠ صفر سنة ١٢٥٧ عمل ديوان وقرى فرماناته والأوامر التي حاضرة صحبته وفي نهار دخوله للشام دخل من القنوات وطلع على

---

(١) من هذه العبارة يستنتج الباحث أن كاتب المذكرات هو عبد الله نوفل الذي لقب نفسه بالمعلم بسبب ذكره اسم ابن أخيه نوفل وولده سليم البالغ من العمر ثلاث عشر سنة.

(٢) [هو صاحب كتاب صناجة الطرب في تقدمات العرب وسياحة المعارف وكشف اللثام في تاريخ مصر والشام وقد اشتهر أفراد كثيرون من أهل اليت في طرابلس بالوجاهة وخدمة الحكومة المصرية والعثمانية في مصر والشام ومنهم الكونت سليم نوفل في روسيا المذكورة أعلاه].

الدرويشية على باب السرايا ونزل في بيت شريف باشا بالقنوات لأن أهالي البلد كانوا ظانين أنه يدخل على باب السريجة فزينو بالقناديل والشموع وطلعوا الملاقية من باب السريجة والعساكر النظام لم كانوا يعرفوا مراده من أي محل يدخل فصاروا العساكر رايحين جايين من باب السرايا إلى الدرويشية وصار حشرة قوية للخلق وفي وقت الظهر نفد من القنوات في الاي معتبر حاطط نيشان ذهب.

بعد السـلام:

وفي يوم أن عمل الديوان بعد الظهر توجه متوديوس البطريرك الأنطاكي إلى عنده وقوي حصل له إكرام منه وتوجه إلى عند الدفتردار المار ذكره وسلم عليه واحتفل به. والوزير من بعد الديوان نزل دار في البلد ونبه على تنضيف البلد من الزبالة. والمعلم روفائيل الصراف له عادة أن يلبس مع أعيان الشام فلما لبس أعيان الشام فما لبس المعلم المذكور فمن بعد ذلك توجه إلى عند سليمان أفندي كلار أميني وترجاه بأن يترجى الوزير أن يلبسه ويفهمه أن له عادة أن روفائيل يلبس مع الأعيان كونه براءتلي (صاحب براءة) ومن بعد رجوع الوزير من الدورة أعرض له ذلك فصدر الأمر بتلبيسه حورانية بنفسجي فلبس وتوجه إلى الخزنة (وكان) مغموم عما حصل له في الأول من عدم تلبيسه وإنما حينما لبس انسر نوعاً.

تبديل الكتَّاب:

ونهار الخميس في ٢٣ صفر انعزلوا نظار الكمارك الذين من جماعة علو باشا ونزل نظار جدد من جماعة الدفتردار إلى الكمارك ونبهوا على كتاب الكمارك أن يخصموا حساباتهم لغاية نهار الخميس ونهار الجمعة المذكور ابتدوا يأخذوا أعشار على الأرزاق ويومها أمهلوا أخذ الأعشار ونهار الجمعة المذكور صار ديوان حكم العادة ورتبوا مجلس مشورة من أعيان وأفندية وتجار وصار مباشر (ناظر) كتابة الديوان رجل نصراني مصري يسمى يوسف عيروط(١) والخواجا روفائيل بقي

(١) [كان يوسف عيروط مع أخوته من كبار كتاب الديوان الخديوي في مصر وهو والد حضرة الوجيه الكريم الخواجا عبد الله عيروط أحد أعيان طائفة الروم الكاثوليك المشهور في بيروت وقد استحضره من مصر نجيب باشا ليستعين به على إنشاء الديوان على طريقة ديوان مصر إذ كان يعرف جدارته لهذا من حينما كان معتمداً أو قبو كيسجية محمد علي باشا في الاستانة].

مباشر الخزينة وعبد الله نوفل الذي حضر مع الدفتردار ما استفاد شي لكون أعيان

(بياض في الأصل)

وأن يحضر الوزير والدفتردار بالديوان وأن جميع المصالح من ميرية وغيرها تصير بمحضر الجميع.

وقبل تاريخه بيومين تحرر مراسيم بطلب المتسلمين والكتاب من المقاطعات لأجل يحضروا الترتيب ويأخذوا استمارات لأجل يمشوا على موجبها.

ونهار الجمعة نزل الوزير صلى في الجامع الأموي وصحبته الدفتردار وكيخيته وانسحب قدامه ثلاث بلكات من الخيل الجياد بكسميات مطرزين بالصرما والطرق (قصب) وأشكال الخيل زرق وبيومها شاع الخبر بالشام أن في حلب مشي ترتيب جديد وأخذوا على طاقة القطني ثمانية غروش وخمسة وعشرين فضة فمن هذه الخبرية ضاجت الخلق وصاروا يتندموا (يتأسفوا) على أيام إبراهيم باشا قبل ما يحصل ترتيب بالشام والناس لم عارفين كيف مراد الحكم يمشي الترتيب وكل من يتحذر حذر. الله تعالى يلطف بعباده.

ونهار السبت في ٢٥ صفر سنة تاريخه (سنة ١٢٥٧) حضر الصرة أميني للشام وذلك لأجل أن علو باشا الذي كان بالشام قبل نجيب باشا يأخذ معه الصر من الصرة أميني المرتب إلى عربان طريق الحج يدفعه لهم كونه صار وزير في مكة والصرة أميني يستقيم في الشام إلى الحج القادم ويطلع صرة أميني. هذا الذي تحققناه من أرباب الخبرة.

وفي هذا النهار صار ديوان في دار الخزنة بالسرايا في وسط الخزينة القديمة والوزير والدفتردار احضروا قرآن وتوراة وإنجيل وحلف المسلمين على القرآن والنصارى على الإنجيل وروفايل اليهودي على التوراة بأن لا أحد منهم يرتشي أو يراغي عن الحق وطلع تنبيه مشاع أن الحكم مراده يلزم الأقلام الميرية وأن الذي له خاطر يلتزم يتقدم للمزاودة وطلب قرض من تجار البلد ألف كيس.

ونهار الاثنين في ٢٧ صفر سنة ١٢٥٧ حضر الوزير والدفتردار وباقي أرباب المجلس وصار المزاد في الأقلام مثل سوق الخيل وسوق الحمير وقلم التزام النور وغيره وأفهموا الملتزمين أن لا يأخذوا زيادة عما كان يؤخذ في مدة إبراهيم باشا والذي انفهم أن كمرك الحرير وكمرك الأمتعة وخان الزيت وكمرك الأخشاب والدفعة (؟) توجه لهم الأمر أن يأخذوا أعشار يعني يثمن الرزق ويؤخذ من كل عشرة قروش قرش واحد.

ونهار الخميس في غرة ربيع أول سنة ١٢٥٧ أرسل الدفتردار طلب المعلم عبد الله نوفل وأمره أن يستقيم في خدامته.

(بياض في الأصل)

وفي أبواب دمشق من عساكر النظام العثمانية وصار كل من أذنب يوضعوا له جنزير ويدور يكنس في السرايا وفي البلد وارتفع ضرب العصي واللومان والقتل.

وطهمزوا أهالي البلد على النصارى وصاروا أهالي سوق السلاح كلما نظروا نصراني لافف لفة بيضة يخربطوها له من الجملة خربطوا لفة واحد نصراني اسمه الياس التيان أخوه كاتب عند الخواجا جستنياني التاجر النمساوي وخربوا لفة إبراهيم (أيوب) أخو شبلي أيوب وواحد اسمه داود الحمصي فتوجهوا أعرضوا ذلك إلى قنصل دولة الإنكليز السنيور ود فأعرض ذلك للوزير فمسك الذين تطاولوا فواحد منهم ادعى انه مسودن فأرسله إلى المرستان وخلافه حبسهم في السرايا ونهار العيد طالع العساكر إلى المزة وفي آخر عيد رمضان صار نار دايمة لأن البلد كان مرادها تتحرك في العيد (لعمل فتنة) فلما نظروا العساكر نقلت إلى المزة تحسبوا وكل من لحمس على رقبته.

وفي ابتداء شهر رمضان سنة ١٢٥٧ أهالي الزبداني قاموا وهدوا كنيسة الروم التي ابتنت في مدة إبراهيم باشا و(كان) قبل ذلك حضروا إلى الشام قنصل دولة روسيا في بيروت وقنصل دولة اليونانيين فقنصل دولة اليونانيين استقام كم يوم في الشام وتوجه إلى بيروت وليلة وصوله إلى الزبداني قاموا أهل البلد وخربوا الكنيسة

وحرقوها فرجع ثانياً إلى الشام واعرض للوزير هو وقنصل دولة روسيا فحالا الوزير أرسل رمى القبض على شيخ البلد والاختيارية وسجنهم وأعطى سند عليه بأنه لازم من عمارة الكنيسة من مال الذين خربوها من بعد إجراء قصاصهم واستقاموا شهر رمضان جميعه في الحبس فكان قنصل روسيا أعرض للسلطان والوزير اعرض (وصاروا) بانتظار الأمر فلما نظروا أهالي الجديدة أنه ما حصل شي على أهالي الزبداني قاموا خربوا سقف الكنيسة التي في قريتهم لأنها كانت ابنتنت في أيام إبراهيم باشا فاعرض البطريرك للحكم فأرسل الحكم أوده باشي ورمى (القبض) على الشيخ والاختيارية والخطيب وبعد يومين ثلاثة حضر فرمان من الدولة العلية أن كنيسة الزبداني تتعمر من كيس الذين خربوها وبعد ذلك يرسلوا إلى اللومان ثلاث سنين فطلب الوزير وكيل البطرك وقراه الفرمان فأخبره ذلك للبطرك بأنهم يطلعوا يعمروا ويسمح عن لومانهم فالوزير حرر سندات عليهم أن يعمروا الكنيسة بظرف عشرة أيام فطالعوهم من الحبس هم وأهالي الجديدة من وصولهم ابتدأوا بالعمار وأما أهالي الزبداني تزربنوا ولم قبلوا يعمروا وانعرض ثانياً للحكم من طرف شيخهم فأرسل الحكم مسكهم وإلى غرة شهر ذي القعدة بعدهم قاعدين في الحبس.

خاتمة

[إلى هنا انتهى الكتاب ويظهر أنه ناقص الأخير وفيه بياض في مواضع كثيرة منه إلا أنه في أول الكتاب ملأ محل هذا الفراغ القس انطون بولاد المخلصى الدمشقي لكنه لم يتمم ذلك إلى آخره ومن ثم يظهر أن الكتاب ليس بخط يد مؤلفه وهو بخط ناسخ تاريخ الخوري مخائيل بريك لأن الخط متشابه تماماً].

ملحق رقم (١)
في تحقيق شخصية كاتب المذكرات

إن عدم ذكر الكاتب اسمه على مذكراته كان بالتأكيد خوفه على نفسه سواء من الجهات التي قد لا يعجبها ما جاء في المذكرات أو لأن المذكرات أعدت لترسل إلى جهات أوربية مسؤولة فلو وقعت هذه المذكرات بأيدي السلطات المحلية اعتبر كاتبها خائناً. ومصيره في الحالَيْن الموت.

بدأ التحري عن شخصيّة الكاتب من قبل الباحث الخوري قسطنطين الباشا المخلصي عندما نشر المذكرات لأول مرة وقد استنتج أن كاتب المذكرات دمشقي يعمل كاتباً في الحكومة المحلية بدمشق.

وجاء في مقدمته حول هذا الموضوع ما يلي:

«ومهما يكن الأمر من ذلك فإن صاحب هذه المذكرات لم يحب أن يعرّفنا باسمه إما خوفاً من أن يلحقه ضرر بظهور اسمه في صدرها لئلا يتهم بالعدوان واما لأنه مات ولم يدعه الأجل المحتوم أن ينجز عمله ويرتب مذكراته وينقح عبارتها ولعله لم يكن يقصد أن ينشرها بالطبع إذ لم يكن أثر للمطابع في دمشق في زمانه. وقد بحثنا البحث الوافي فيما وصل إلينا من الكتب المطبوعة والدفاتر المخطوطة وكذلك سألنا كثيرين ممن نعرفهم من العلماء الأفاضل عمن يمكن أن يكون مؤلفها فلم نظفر بطائل.

إلا أننا من مطالعتها علمنا أن صاحبها دمشقي من لهجة كلامه فيها فإنها لهجة خاصة بأهل دمشق ومن رسوخ قدمه بمعرفة هذه المدينة ودورها وحاراتها حتى لا تخفى عليه منها خافية.

ومنها علمنا أنه من طائفة الروم الارثوذكس لذكره مراراً البطريرك والبطركية

والكنيسة بالأفراد وبدون إضافة كلمة إليها تتخصص بها وهذا لا ينطبق إلا على طائفة الروم الارثوذكس فيما نرى.

وكذلك علمنا منها أنه كان من الكتاب الممتازين في ديوان الحكومة المصرية والتركية التي حلت محلها بعد ذلك على ما صرح بذلك في كلامه عن قتل البادري توما الكبوشي إذ يقول إن الحكومة كلفته أن يحرر استنطاق بعض اليهود الذين اتهموا بقتل البادري المذكور وخادمه ومن حيث أنه قد وقف بذاته على خبايا هذه الدعوى تيسر له أن يشرح مفصلا كل أسرارها وكلامه فيها حجة لا تنقض كما نرى.

ولهذا السبب استطاع أن يثبت في مذكراته بلاغات الحكومة بنصها وتواريخها مع ذكر من أرسلها ومن أرسلت إليه مع الإفادات الجمة عن بحري بك رئيس ديوان الحكومة المصرية ورجاله وكذلك استطاع أن يصف وصفاً تاماً تقلبات ثورة دمشق ضد سليم باشا مع بيان أسبابها وما نتج عن ذلك من ضيق الحال والحريق والخراب والقتل وتمادي الفوضى فيها باستبداد بعض الخاصة من أهلها واستقلالهم بالسلطة ثم حكى بعد ذلك خبر قدوم إبراهيم باشا لفتح عكا والشام وحروبه مع الأتراك فيها وقيام حكومته وانتشار الأمن العام والحرية والعدل في أيامه ثم أتى على ذكر قيام الثورات عليه في البلاد ولا سيما ثورة فلسطين وحوران وأعمال الحكومة في سبيل قمعها سريعاً بقوة سطوتها وبطشها وغير ذلك من تاريخ دمشق وسوريا ولبنان وأحوال الحكومة فيها وما انتابها من غلاء ووباء وأفراح وألعاب إلى أن قضت السياسة الدولية بعودته إلى مصر وإعادة الشام إلى حكم الأتراك.

وهو لا يذكر في كتابه إلا ما وقف عليه بنفسه في دمشق وما اتصل إليه خبره بالبلاغات الرسمية والنقل الصحيح المتواتر ولم يتجاوز كلامه ما وراء هذه الحوادث ولم ينظر في أسبابها ومقدماتها بل اكتفى بمجرد ذكرها كما وقعت طبعاً إذ لم يكن غرضه في تحريرها إلا حفظ هذه الحواديث المهمة في دفتره ليعود إلى مراجعتها وذكرها لدى ذويه فإن الرجل العاقل يحلو له دائماً أن يذكر أيامه السالفة».

إلا أن ما جاء بأقوال قسطنطين الباشا لم يكف أو يقنع البعض كما لم يوقف البحث عن شخصية الكاتب.

لذلك نرى الباحث «عيسى اسكندر المعلوف» يتصدى لبحث الموضوع فينشر مقالاً في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد السادس صفحة ٢٢٨ وما بعدها يؤكد فيه أن كاتب المذكرات هو عبد الله نوفل الطرابلسي فيقول بمقاله:

«عثرت على كتب كثيرة لم يذكر مؤلفوها أسماءهم فيها أما لأغراض سياسية منعتهم فأحجموا أحجام المتحذر الخائف من طائلة القصاص ولا سيما إذا كانوا قد تعرضوا لذكر مظالم الولاة ووصف سوء إدارتهم خاصة في الأمور الأخيرة. وأما لأنهم أرادوا التكتم لأسباب أخرى. وأما أن بعض النساخ أو الحاسدين أرادوا اخفاء أسمائهم غمطاً لعملهم أو انتحالاً لكتبهم إلى غير ذلك من الأغراض المتلونة التي نزلت بكثير من المؤلفات فأفقدتها أسماء واضعيها وأصبحت غفلاً منهم يتكهن المطالعون في إظهار مصنفيها.

ولقد بحثت مراراً في كثير منها حتى أعدتها إلى نصابها ورجحت أسماء مؤلفيها باستقراءات واستنتاجات مهمة ذكرتها بمقالة في مجلة الكلية الغراء (منذ سنتين) ونشرت الآن (المذكرات التاريخية) في حوادث دمشق في أوائل القرن الماضي وما حدث فيها من الفتون والمحن والحروب والنكبات ولا سيما حوادث الدولة المصرية من سنة ١٨٣١ ــ ١٨٤٠م.

ولقد جرت مناظرة أدبية بيني وبين ناشر هذه المذكرات الصديق الباحث الخوري قسطنطين الباشا بشأن مؤلفها الذي وقفت على ترجمته المطولة وأخبار أسرته المهمة التي نشأ منها مؤلفون وكتاب في الحكومات المصرية والسورية وأدباء عرفوا في خدمة النهضة العربية. وكنت أبحث عن تاريخه الذي عرفت أنه ألفه وذلك لما كنت مدرساً في مدرسة كفتين بقرب مسقط رأسه طرابلس الشام المعروفة بأدبائها من الطائفتين الإسلامية والمسيحية، وهذه حكاية مؤلف الكتاب التي اتفق لي أن عرفتها وبقيت متابعاً إياها إلى أن ظهر الكتاب فجاءت الأدلة على صحتها من الكتاب نفسه مزكية ما ظننته وإلى قراء المجلة الكرام أبسط كلمتي:

كان في دمشق في أوائل القرن الماضي وما قبله أسرة إسرائيلية أندلسية الأصل جاءت الأناضول على أثر حوادث التفتيش سنة ١٤٩٢م وانتقل قسم منها إلى دمشق يعرف (بآل فارحي) وكان كثير منهم كتاب الحكومات في عكا والشام وخزان الأموال وبعضهم في الاستانة يرفدون أخوانهم هنا بمعاضدتهم فارتفع شأنهم ونبغ منهم أخوان هما حاييم بن شحادة فارحي وروفائيل، فحاييم كان مديراً لخزينة أحمد باشا الجزار وخلفه سليمان باشا واشتهر بدهائه وحصافة عقله وذكائه حتى مدحه شعراء عصره مثل نقولا الترك وبطرس كرامه وغيرهما ومات بلا عقب وشقيقه روفائيل كان صرافاً لخزينة دمشق واتصل بالحكومة المصرية في الشام ولم يكن بأقل نفوذاً من أخيه، ومن أولاده داود الذي خدم الحكومة وانتقل بعضهم إلى مصر.

وكان لهم ابن عم اسمه حزقيال كان في دوائر المالية بالاستانة يدافع عنهم ويقوي نفوذهم وابن عم آخر اسمه سلمون فكانت شؤون الحكومات المالية ودواوينها بيدهم مدة طويلة وكان بنو البحري من حمص كتاباً في دواوين دمشق فتحامل عليهم آل الفارحي وزاحموهم بوظيفتهم فكانوا يتراوحون بين التنصيب والعزل وكان بنو صروف المسيحيون الحمويو الأصل الدمشقيو المولد والوطن كتاباً للحكومة في دمشق ولا سيما جرجس وولداه مخائيل ويوسف. وكان آل فارحي يبغضون الكتاب المسلمين والمسيحيين الذين يتقربون من الحكومة ويشون بهم للولاة لإبعادهم واحتكار دواوينها لهم. ولقد ذكر بعض المؤرخين استفحال العداوة بين بعض آل البحري كتاب حكومة دمشق وآل فارحي مزاحميهم ولا سيما إبراهيم العورا في تاريخ سليمان باشا المخطوط في خزانتي وما كان بين المعلمين عبود البحري الحمصي وأخيه جرمانوس وحاييم شحاده فارحي الدمشقي وأخيه من قصة طويلة.

وفي سنة ١٨٢١ مسيحية كان أبو سليم عبد الله بن جرجس نوفل الطرابلسي (عم نوفل نوفل المؤلف المشهور) كاتباً في دواوين دمشق وبقي إلى سنة ١٨٤١ حين خروج الدولة المصرية في سورية. وهذا الرجل هو رابع أخوته ممن اشتهروا بالكتابة للحكومة في عكا وطرابلس ودمشق في ذلك العهد.

وآل نوفل أسرة عربية حورانية قديمة عرفت باسم النحو والترجمان واشتهرت باسم أحد أبنائها المسمى نوفل المتطبب وقد ورد ذكره في مخطوطات كثيرة في القرن السابع عشر للميلاد ورأيت خط حفيده موسى الجميل في كتب كثيرة أخذت مثالاً منه بالتصوير الشمسي فكانت الكتابة موروثة فيهم والانشاء طبيعياً وخدمة الحكومة مهنتهم زمناً مديداً.

وأبو سليم هذا هو الذي اشتهر ابنه سليم دي نوفل في بطرسبرج بمؤلفاته ومقامه السامي بين علمائها وتدريسه العربية في كلياتها.

كان أبو سليم يكتب باللغة البسيطة لأنه أصغر أخوته فلم يتسن له (وقد فجع بقتل اثنين منهم بوشاية بعض خصومهم) أن يتقن الانشاء مثلهم وهما أكبرهم نصر الله وثانيه نعمة الله والد نوفل المؤلف المشهور. فنشأ أسلوب كتابته عامياً.

وكانت مناظرة في طرابلس الشام بين آل الغريب الأسرة المعروفة فيها من المسيحيين وبين آل نوفل للتزاحم على الكتابة في الدواوين وكان مصطفى آغا بربر حاكمها قد قرب آل الغريب وأبعد آل نوفل.

فذهب أبو سليم عبد الله (مؤلف المذكرات) إلى دمشق وتديرها وكتب لحكامها وتربت أسرته فيها وتزوج منها بعد موت زوجته الثانية ورزق أولاداً تربوا في دمشق وهجروا موطن أبيهم طرابلس لأسباب سياسية.

وكان عبد الله حصيف العقل ذكياً حسن الإدارة والسياسة فنال منزلة لدى حكام دمشق في المدة المشار إليها ولم يستطع بنو فارحي أن يقووا عليه لكنهم عزلوه مرة فعاد بعد قليل إلى منصبه وزاحمه يوسف عيروط من طائفة الروم الكاثوليك وكبير كتاب محمد علي باشا في مصر ولم يثبت في دمشق أكثر من أسبوع وعاد القلم إلى نوفل بمعاضدة يوسف زرديل اليهودي صديق أسرته في مصر. وعدو آل فارحي.

فكان نوفل هذا بين خصوم يجب أن يتحذر منهم فكتب حوادث دمشق بكل تحفظ في هذه (المذكرات) المنشورة حديثاً وحيثما ورد اسمه فيها ذكر نفسه باسم

المعلم أحياناً وترك بياضاً أمامه ليكتب متى زالت الموانع (إنه مؤلف الكتاب) ويشرح بعض الشؤون. ولقب نفسه بالمعلم عن عادة عصره ليخفي نفسه ويتنصل وكذلك نجده ذكر اسم ابن أخيه نوفل نعمة الله وولده (سليماً) المار اسمه قريباً وعين عمره وهذا لا يهم غيره كما يهمه لأنه ابنه ثم ذكر الكاتب الثاني تحت يده وهو موسى صدقه من وطنه طرابلس كان قد رباه وخطب له ابنته فتوفيت قبل تزويجها فخطب له ابنة إبراهيم الطنوس أحد كتبة الحكومة الدمشقية في ذلك العهد من مشايخ مقعبرة في حصن الأكراد. والكتاب هو بلغة العامة ويظن حضرة ناشره أنه بلهجة دمشقية لا طرابلسية مع أن الصديق المؤرخ جرجي أفندي يني كتب إليَّ أنه رأى نحو تسعين كلمة فيه مما يستعمله الطرابلسيون اليوم وليس بعجيب أن يكون المؤلف كاتباً بلهجة دمشقية وهو قد بقي في تلك المدينة نحو ربع قرن أو أكثر يشافه سكانها ويخدم حكومتها ويربي أسرته. وزوجته دمشقية أيضاً فضلاً عن أن اللهجات العامية لا يظهر اختلافها بالكتابة دائما بل باللفظ.

وبعد البحث لم أجد غيره كتب مذكرات عن هذه الشؤون لأن زوجة ابن أخيه نوفل وهي انجلينا الغريب أخبرتني منذ بضع وثلاثين سنة أن لعم زوجها هذا كتاباً في الحروب المصرية في سورية وكذلك نسيبه المرحوم انقولا بك نوفل أخبرني ذلك وعرفت أن الكتاب أحرقته خادمة ابن المؤلف المرحوم حبيب على أثر وفاته سنة ١٨٩٣م وبالطبع أحرقت المسودة وبقيت المبيضة منسوخة بقلم بعض كتاب ديوانه ولعله موسى صدقه أو من بني صروف الذين كتب لم منهم جرجس ومخائيل صروف وقد جرى مثل هذا لزين الدين عمر بن سهلان الساوي مؤلف كتاب (البصائر النصيرية) في المنطق فإنه أحرقت مسودته بعد وفاته حداداً عليه كما يذكر المؤرخون.

ولكنني كنت في صباي أصلح تجاربه (بروفاته) ليطبع بالمطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) ولم يكمل من طبعه أكثر من ثلثه ولكن نشره بحواش وضبط العلامة الشيخ محمد عبده المصري في مصر. فبقيت مبيضته التي طبع عنها الكتاب ولو أحرقت مسودته.

ومؤلف (المذكرات) ولد في طرابلس الشام سنة ١٧٩٧م وتوفي في خدمة داود باشا أول متصرفي لبنان سنة ١٨٦٦م.

أما المذكرات فهي مفيدة في تفصيل الحوادث وقد خدمها بعض الخدمة حضرة ناشرها بحواش قليلة وكان من الصواب أن يضع تفاسير الكلمات بحواش ليبقى المتن الأصلي متميزاً وهناك أشياء كثيرة تحتاج إلى شرح وتفسير لأنها بلغة صارت اليوم بعيدة عنا. ولعله يستدرك ذلك في طبعة ثانية ويخدم الكتاب خدمة كاملة».

ومن دراسة التقرير السابق نرى أن كاتب البحث لم يذكر لنا السبب الذي يجعله متأكداً من صحة نسب الكتاب إلى عبد الله بن جرجس نوفل الطرابلسي. وإن الفرض والتخمين لا يكفي لاعتباره حقيقة ساطعة.

المفتاح لمعرفة اسم المؤلف هو ما يذكره المؤلف بذاته من أنه كان كاتب ضبط في كشف جرى على مكان قتل البادري توما.

وبالرجوع لكتاب «الكنز المرصود» وهو الكتاب الذي يتوسع بذكر الحادثة نرى أنه كتب عن ذلك الكشف وذكر بعض الأسماء الحاضرة في الكشف ولكنه لم يذكر الكاتب.

ورغم ذلك فقد حاولت العثور على ملف الدعوى والقرار الصاد، إلا أن مديرية الوثائق التاريخية بدمشق لا تملك ملف الدعوى كما لم أعثر على قرار المحكمة التي أصدرت الحكم على قتلة البادري توما.

وأخيراً فانه مما لا شك فيه أن لدى حكومة فرنسا وإنكلترا والنمسا صوراً عن كافة أوراق الدعوى تبلغتها حينها ولا بد أن إحدى هذه الأوراق تحمل الجواب القاطع عن اسم مؤلف «مذكرات تاريخية».

ملحق رقم (٢)

توزيع جنود محمد علي في سوريا

«جنود نظامية»

موقـــع	جنود مشاة	فرسان	مدفعية	مهندسون	الجملة
ادلـــب	—	—	—	٧٥٨	٧٥٨
أدنــــه	٥٨٠١	٦٧٨	—		٦٤٧٩
أنطاكية	٣١٣١	—	—		٣١٣١
أورفـــا	٦٩١٩	١٦٣١	—		٨٥٥٠
حلـــب	١١١٨٢	—	١٩٤٩		١٣١٣١
حمـــاة	٢٩٢٥	—	١٣٧٢		٤٢٩٧
حمص	—	—	٩٨٢		٩٨٢
داريـــا	٢٥٥٥	—	—		٢٥٥٥
دمشق	—	١٤٨٢	١٠٠٧		٢٤٨٩
طرابلس	١٦٤١	—	—		١٦٤١
طرسوس	—	١٤٠٤	—		١٤٠٤
عكـــا	٢٠٤٩	٧٦٨	٣٣٧	٨١٢	٣٩٦٦
عينتاب	٧٦٢٥	—	—		٧٦٢٥
القدس	١٧٥٥	—	—		١٧٥٥
كلـــس	٤٩٢٦	٧٥٦	—		٥٦٨٢
اللاذقية	—	٧٩٦	—		٧٩٦
مرعش	٥٢٣٨	—	—		٥٢٣٨
مع القائد العام	١١٥٢	—	—		١١٥٢
	٥٦٨٩٩	٧٥١٥	٥٦٤٧	١٥٧٠	٧١٦٣١
جنود غير نظامية	١٩٣٥	٩١٨٤	—	—	١١١١٩
	٥٨٨٣٤	١٦٦٩٩	٥٦٤٧	١٥٧٠	٨٢٧٥٠

[Blank Page]

مصادر التحقيق

١ ــ تاريخ حسن آغا العبد ــ طبع وزارة الثقافة ١٩٧٩ ــ تحقيق يوسف جميل.

٢ ــ ثمار القاصد في ذكر الساهر ــ يوسف بن عبد الهادي ــ طبع المعهد العلمي الفرنسي ١٩٧٥ ــ تحقيق محمد أسعد طلس.

٣ ــ حوادث دمشق اليومية ــ أحمد البديري الحلاق ــ القاهرة ١٩٥٩ ــ تحقيق أحمد عزت عبد الكريم.

٤ ــ أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ــ محمد بن طولون الصالحي الدمشقي ــ وزارة الثقافة ١٩٦٤ ــ تحقيق محمد أحمد دهمان.

٥ ــ قاموس المنجد ــ قسم الاعلام,

٦ ــ أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع ــ خليل مردم بك ــ مؤسسة الرسالة ١٩٧٧.

٧ ــ منتخبات التواريخ لدمشق ــ محمد أديب آل تقي الدين الحصيني ــ دار الآفاق ١٩٧٩.

٨ ــ تاريخ الدولة العثمانية ــ الدكتور علي حسون.

٩ ــ الكنز المرصود في قواعد التلموذ ــ ترجمة يوسف حنا نصر الله.

١٠ ــ تاريخ الدولة العلية العثمانية ــ محمد فريد بك المحامي.

١١ ــ الإدارة العثمانية في ولاية سورية ــ عبد العزيز محمد عوض.

١٢ ــ بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ــ د. محمد عبد الكريم رافق.

١٣ ــ خطط الشام ــ محمد كرد علي.

١٤ ــ يقظة العرب ــ جورج أنطونيوس.

١٥ ــ تاريخ حوادث الشام ولبنان ــ نشره لويس معلوم اليسوعي.

١٦ ــ الوحدة العربية في تاريخ الشرق المعاصر ــ د. أحمد طربين.

١٧ ــ تاريخ الأقطار العربية الحديث ــ لوتسكي.

١٨ ــ أزمة الحكم في لبنان ــ د. أحمد طربين.

فهرس الكتاب

فصــل
في حرب إبراهيم باشا للدروز

فصـــل
في قتل البادري توما الكبوشي

فصـــل
في ثورة لبنان وأسباب الرحيل

فصـــل
في عودة الأتراك